المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير

التناسق الموضوعي في سورة لقمان

بحث مقدم لنيل درجة (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة: ماريخ بنت ناصر العلي

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور : عثمان المهدي صديق

حفظه الله تعالى

العام الجامعي

١٤٣٥ / ١٤٣٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فقد اشتملت رسالة **التناسق الموضوعي في سورة لقمان** على الآتي:

أولاً: مقدمات تتعلق بالسورة، وهي كالآتي:

- ❖ اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ النزول
- ❖ مكي السورة ومدنيتها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ووجه اختصاصها بما اختصت به.
- ❖ أسباب النزول للسورة، ومقاصدها، وأهدافها.

ثانيًا: ما احتوت عليه السورة في داخلها، مثل:

- ❖ مناسبات السورة لموضوعها.
- ❖ مناسبة فاتحتها لموضوعها.
- ❖ موضوعات السورة وتناسقها.
- ❖ تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

ثم خلصت إلى نتائج وتوصيات من دراستي الكلية للسورة.

والله الموفق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ABSTRACT

Praise be to Allah, and prayer and peace be upon the Prophet Mohammed. And after:

The search included **The substantive consistency in Surah Luqman** on tow things :

1 - Introductions related surah as follows:

- Surah name, virtues, number of verses, and the date descent.
- Makki Surah and Madani Surah, suitability to the face before and after, and what is unique to its jurisdiction.
- The reasons for the descent of Surah and its purposes and objectives.

2 - What it contained within it:

- Surah appropriate of its subject.
- Appropriate for the subject matter for its opening.
- Surah topics and consistency.
- Interpretation of the verses of Surah in the light of the consistency of the objective.

Then I concluded the results and recommendations of my total study.

May Allah bless our Prophet Mohammed and his family.

شكرٌ وتقدير

أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره على ما منَّ به علي من نعمٍ جليلةٍ، وأنْ أعانني على إتمام هذا البحث، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، المعلِّم الأول، وهادينا إلى طريق الرشاد، ﷺ.

ثمَّ أثنِّي بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى، وعلى وجه الخصوص كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم الكتاب والسنة.

وأشكر وأقدِّر شيخنا **الدكتور عثمان المهدي** المشرف على هذه الرسالة، فقد كان لتشجيعه وتحفيزه، وتوجيهه ونصحه، وسماحة نفسه، وكرم خلقه، أبلغ الأثر في إنجاز الرسالة. فجزاه الله خيرًا، ورفع قدره في الأولى والأخرى.

والشكر موصولٌ للجنة المناقشة الكريمة لقبولها مناقشة هذا البحث، وتقويم هذا العمل، وإبداء الملاحظات عليه، وستكون بإذن الله محلَّ تقديرٍ وعنايةٍ، فجزاهم الله خيرًا.

وأشكر كلَّ من أعانني وأفدتُ منه في دراستي وبحثي، من أساتذةٍ وأستاذاتٍ، ومؤلِّفين ومؤلِّفات، وإخوةٍ وأخواتٍ، أجزل الله لهم المثوبة والأجر.

ولا يفوتني أنْ أسطِّر الشكر والتقدير للأهل الكرام:

* والديَّ الحبيبين، النبع المتدفِّق بالعطاء، فقد كان لدعائهما وتشجيعهما ورعايتهما الفضل بعد فضل الله، ولا أجد أجدر من الدعوة الربانية لهما: ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾[1].

* شريكِ حياتي، زوجي الكريم، وصديقي المعين، أسعده الله في الدارين وجزاه خيرًا.

* عمِّي الفاضل (سعيد) بارك الله حياته كلَّها، ووفَّقه لما يحب ويرضى.

* فلذة كبدي، ولبِّ فؤادي، ومهجة حياتي، صغيرتي (ليان). أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يبارك فيها، ويسهِّل أمرها ويتمِّم عافيتها.

وإني بعد شكرهم والدعاء لهم، أهديهم هذا البحث المتواضع، ليشاركوني قطف الثمرة، كما شاركوني في زرع البذرة. أسأل الله أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن الكريم.

---

(١) سورة الإسراء: من الآية ٢٤

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد :

فإنَّ الله ﷻ قد أنزل القرآن إخراجًا للعباد من الظلمات إلى النور، وقائدًا لهم إلى طريق النجاة والسعادة والسرور، ومبيناً لهم ما يحتاجونه في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم من الأمور، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (٤). فالقرآن دوماً هو سبب نهضة الأمة وتقدمها ورفعة شأنها.

وإنَّ أعظم ما تُقضى فيه الأعمار، وتُبذل فيه الأوقات: دراسة كتاب الله ﷻ، وتدبر آياته، والغوص في موضوعاته: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٥) ، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: آية١

(٣) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

(٤) سورة إبراهيم: آية١.

(٥) سورة البقرة: آية٢.

﴿ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [1] ، فالعيش مع القرآن نعمة عظيمة، لا تضاهيها نعمة، ولا يعرفها إلا من ذاقها، ووُفِّق إليها.

وقد أكرمني الله ﷻ بالالتحاق بشعبة التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسنة، وكان عليَّ أن أختار موضوعًا لرسالة الماجستير، فأحببتُ أن أشرف بدراسة **سورة لقمان دراسة موضوعية**، أبيِّن من خلالها قضايا السورة المتعدِّدة، وأهدافَها العامة، ومقاصدَها الأساسية، وأوجهَ الترابط والتناسق بين آياتها، وهو المشروع الذي أقرَّه مجلس القسم تحت عنوان: **التناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم**، فكان عنوان بحثي :

" التناسق الموضوعي في سورة لقمان "

وإني لأرجو الله تعالى أن يوفقني في تناول هذا الموضوع بما يثري المكتبة القرآنية العامرة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١- التناسق الموضوعي يظهر جانبًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم في تركيبه، ونظمه، وترابطه، ويبيّن انسجام آيات السورة القرآنية، وتماسكها، وتآلف موضوعاتها، حيث تسري فيها روح واحدة، مهما تعددت موضوعاتها، وتنوعت أغراضها.

٢- معرفة تناسق السورة الموضوعي يسهل على الدارس لكتاب الله تعالى فهم السورة، وحفظها، ويعين على تدبرها أحسن تدبر، وعلى الغوص في مكنوناتها وأسرارها.

٣- تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي فيه دحض لشبهات المغرضين الطاعنة في القرآن الكريم، وسوره، من ناحية ترتيبها، وتنوع موضوعاتها.

---

(١) سورة فصلت: آية٤٢.

دواعي اختيار الموضوع :

(١) أهمية الموضوع وفوائده كما تقدم ذكرها.

(٢) ثناء عدد من العلماء والمشايخ على هذا اللون من الدراسات القرآنية.

(٣) الإسهام في نشر الكتب والدراسات التي تتناول سور القرآن من ناحية تناسقها الموضوعي.

(٤) الرغبة في نيل شرف خدمة كتاب الله تعالى الكريم.

(٥) استجابة للتوجيهات الكريمة من قسم الكتاب والسنة حين أخرجت هذا المشروع (مشروع التناسق الموضوعي) لطلاب وطالبات الدراسات العليا.

(٦) المزايا التي اشتملت عليها سورة لقمان، ومنها :

- دوران رحى معاني السورة الكريمة وموضوعاتها حول قضايا رئيسة كبرى، وهي: التوحيد، والحكمة، والشكر، والإحسان، ويتعدد الخطاب في ذلك، وتتعدد المشاهد.
- اختصاص هذه السورة بموعظة لقمان لابنه، التي جاءت في ثوب حِكَمٍ متناسقة، ومواعظ متوافقة.
- اختصاص السورة بختام مهيب في التذكير بجوامع الغيب التي اختص الله وحده بعلمها سُبحانه.
- ذكر كثير من أسماء الله الحسنى في السورة، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آية:٩، وقوله: ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ آية:١٢، وقوله: ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ آية:١٦، وقوله: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ آية:٢٨، وقوله: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ آية:٣٠، وقوله: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ آية:٣٤

أهداف البحث:

١. إظهار التناسق الموضوعي لسورة لقمان من خلال البحث العلمي.

٢. معرفة اسم السورة، وتاريخ نزولها، ومناسبتها للسورة التي قبلها والتي بعدها.

٣. بيان أصحِّ ما ورد في فضل السورة، وأسباب نزولها، ومكيِّها ومدنيِّها.

٤. معرفة مقاصد السورة، وما اختصت به من موضوعات.

٥. الوقوف على بعض أوجه الإعجاز القرآني من خلال التناسق الموضوعي في السورة، وبيان الترابط الوثيق بين موضوعاتها، واسمها، ومقصودها.

٦. تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي عن الدراسات السابقة وجدتُ كتبًا ودراساتٍ أفردت سورة لقمان بالتأليف، وكتبًا أخرى تفسِّرُ القرآنَ الكريم تفسيرًا كاملاً مراعيةً الجانب الموضوعي في السور.

المؤلفات التي استقلَّتْ بدراسة سورة لقمان :

- **تفسير سورة لقمان من الزاوية التربوية.** تأليف: مصطفى كالندر، ماجستير، جامعة مرمرة، بتركيا.
- **الدعوة إلى الله تعالى في سورة لقمان.** تأليف: رائد بن عوض بن علي بالخير، ماجستير، جامعة آل البيت، بالأردن.
- **التوجيهات العقائدية والعبادية والتربوية في سورة لقمان.** تأليف: صالح محمد خضيري، ماجستير، أكاديمية الدراسات الإسلامية في جامعة ملايا بماليزيا.
- **المنهج التربوي في سورة لقمان.** تأليف: حيدر تقي فيصل، ماجستير، جامعة صدام (جامعة النهرين) بالعراق.

وهذه الدراسات جميعها ركَّزت على جوانب معينةٍ من السورة الكريمة، كالجوانب التربوية والدعوية، والعبادية، وليستْ دراسةً لبيان التناسق الموضوعي في السورة.

ومن المؤلفات أيضًا:

- **التناسب البلاغي في سورة لقمان.** تأليف: موسى درباش الزهراني، ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد فيه إضاءة لمعنى التناسب، ثم ثلاثة فصول، تحدث الباحث في الفصل الأول عن التناسب بين سورة لقمان وجارتيها: (الروم والسجدة)، وتحدَّث في الفصل الثاني عن التناسب بين فاتحة السورة ومقاصدها وخاتمتها، وتحدَّث في الفصل الثالث عن التناسب بين المباني والمعاني والأساليب البلاغية التي جاءت في السورة، كالذكر والحذف، والتنكير والتعريف، والقصر، والالتفات، والفصل والوصل، وتناسب المتشابه، وتناسب التقابل، وغيرها، ثم خاتمة وفيها تلخيص لمحتوى الرسالة وبيان لأهم النتائج والمقترحات، وهي دراسةٌ فريدةٌ في بابها البلاغي.

لكن الذي أسعى إلى بيانه في بحثي هو التناسق الموضوعي، وفضل السورة وعدد آياتها، ومناسبة اسمها لموضوعاتها، وبيان الموضوعات التي اختصت بها سورة لقمان ووجه اختصاصها بهذه الموضوعات، وتقسيم السورة إلى موضوعات مترابطة وتفسيرها بما يكشف هذا الترابط بين آياتها.

❖ **سورة لقمان بين حكمة التنزيل وتناسب الترتيب**. تأليف: محمد رأفت سعيد

يقع الكتاب في نحو ٩٠ صفحةً. وقد حوى في تمهيده – باقتضابٍ – على بيان أسماء السورة، وسبب نزولها، وتعريفٍ بلقمان، في نحو ٦ صفحاتٍ.

ثمَّ كان جلُّ اعتناء المؤلف فيه على بيان الوحدة الموضوعية للسورة، والتركيز الشديد على معنى الحكمة ومعالمها.

أما هذا البحث – الذي نحن بصدده – فإنَّه يركز على التناسق الموضوعي، وبيان الموضوعات التي اختصت بها سورة لقمان ووجه اختصاصها بها، وتقسيم السورة إلى موضوعات مترابطة وتفسيرها بما يكشف هذا الترابط بين آياتها. إضافةً إلى التوسع قليلاً في بيان فضل السورة، وعدد آياتها، ومكيِّها ومدنيِّها، وصحيح وضعيف أسباب نزولها.

❖ **فتح الرحمن في سورتي الفاتحة ولقمان**. د. علي العريض، دار الإصلاح، السعودية.

حوى الكتاب على مقدمة في علم التفسير، ثم مبحثين في الاستعاذة والبسملة، يليها التفسير التحليلي لسورة الفاتحة، ثم التفسير التحليلي لسورة لقمان.

❖ **فتوحات الرحمن في تفسير سورة لقمان**. د. محمود لطفي، مطبعة الحسين الإسلامية.

هي دراسة في تفسير سورة لقمان، نهج فيها المؤلف المنهج التحليلي، على نحو معايير معيَّنة ذكرها المؤلف في مقدمة الكتاب، وهي تختلف عن الدراسة التي قمتُ بها.

❖ **التفسير الأدبي لسورة لقمان**. د. كامل سلامة الدقس، دار الشروق بجدة.

تناول المؤلف فيها سورة لقمان بالعرض والتحليل، ليكشف عن أسرارها البيانيَّة والفكرية كما ذكر في مقدمة الكتاب، فهو مؤلَّفٌ عُنِي بما تضمَّنته السورة من أساليب ومعانٍ أدبيَّة وبلاغيَّة.

والذي أرمي إليه في هذه الدراسة هو التركيز على جانب التناسق الموضوعي للسورة، وإبراز الترابط بين آياتها وموضوعاتها واسمها ومقصودها.

❖ **فيض الرحمن بتفسير سورة لقمان**، د. فؤاد الحطاب.

وهي دراسة تفسيرية نحوية، ذكر المؤلف منهجه في مقدمة الكتاب فقال: " نقف أمام كل لفظ بالقدر الذي يزيل مبهمه، ويوضح ما فيه من وجوه الجمال والدقة والتناسب الحاصل بينه وبين غيره في التركيب، وبين مناسبة الآيات لبعضها البعض، وذكر الوجوه الإعرابية، والقراءات القرآنية، مع توجيهها توجيهًا نوحيًا أو صرفيًا ".

وبهذا يتبيَّن أن جميع الدراسات التي وقفت عليها ركَّزت على جوانب معينة من السورة الكريمة، كالجوانب التربوية والدعوية والعبادية والأدبية والبلاغية والتفسيرية التحليلية، ولم أجد – في حدود مُكنتي – من قام بدراسة سورة لقمان دراسةً تبيِّن تناسقها الموضوعي في مؤلَّفٍ مستقلٍّ على النحو الذي سرت عليه.

أما المؤلفات التي تناولت سورة لقمان بالإضافة لغيرها من السور، فمنها:

❖ **في ظلال القرآن**. تأليف: سيد قطب رحمه الله.

جهده المبارك واضحٌ في تقرير الوحدة الموضوعية في السورة، وبيان تناسقها الموضوعي وأهداف السورة ومقاصدها، لكن عمله بحاجة إلى استدراكٍ وتوسُّعٍ.

ومن خلال اطلاعي على سورة لقمان في هذا الكتاب وجدتُ مقدِّمةً للسورة تشتمل على القضية التي تعالجها السورة، وهي قضية العقيدة، وبيَّن بإيجازٍ مجال عرض القضية في آيات السورة، وقسَّم آياتها إلى أربع جولات، ثم تناول هذه الجولات بالتفصيل بعد الإيجاز.

❖ **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**. إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم (جامعة الشارقة).

وقد بيَّن الدكتور مصطفى مسلم في مقدمة الكتاب الخطوات المنهجية التي سيتمُّ السير عليها في تفسير السور، وهو باختصار كما يلي :

– بين يدي السورة: يذكر في هذه المقدمة أسماء السورة وفضائلها ومكيِّها ومدنيِّها وعدد آياتها ومحور السورة ومناسباتها، وذلك في حدود صفحتين إلى خمس صفحات.

– تفسير مقاطع السورة تفسيرًا إجماليًا، ثم بيان الهدايات المستنبطة من المقطع، على أن يتراوح ذلك ما بين خمس إلى سبع صفحات لكل صفحة من المصحف.

وقد اطَّلعت على تفسير سورة لقمان في هذا الكتاب، وملاحظاتي على ذلك ما يلي:

١– ذكر الباحث مقدمةً بين يدي السورة في صفحتين ونصف فقط، وهذا فيما يبدو قد لا يفي بالغرض المقصود.

٢– ذكر الباحث أنَّ محور السورة هو بيان الآيات والنعم، والدعوة إلى الإيمان والشكر، وخطة بحثي قائمة على النظر إلى آيات السورة باستيعابٍ أكثر، والنظر لها نظرة تحليلية، وبيان العلاقة بين موضوعاتها دون النظر إلى قضية بارزة واحدةٍ فيها، وعدم حصر النظر فيها.

٣– لم يتطرَّق الباحث لتاريخ نزول السورة، ولا لخصائصها.

٤– لم يذكر الباحث مقاصد السورة وأهدافها.

٥– بلغ عدد صفحات تفسير سورة لقمان إحدى وعشرين صفحة، وهي دراسة غير مشبعةٍ لسورةٍ متوسِّطة الطول والحجم، كهذه السورة.

ورغم ما سبق ذكره من ملاحظاتٍ على المؤلفات السابقة، إلا أنَّ المشاريع العلمية تتكامل، ويُفيد بعضها من بعضٍ، فقد استفدتُ ممَّا جاء فيها بنحوٍ أو بآخر، بحمد الله تعالى، وجزاهم الله خيرًا.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في **مقدمة، وبابين، وخاتمة** .

المقدمة :

وتشتمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة له، وخطة البحث، ومنهجه.

الباب الأول

التناسق الموضوعي: مقدّمات تعريفية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحًا. وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول**: التعريف بالتناسق لغةً واصطلاحًا
- **المطلب الثاني**: التعريف بالموضوعي لغة واصطلاحًا
- **المطلب الثالث**: التعريف بالسورة لغة واصطلاحًا
- **المطلب الرابع**: تعريف التناسق الموضوعي في السورة والألفاظ ذات الصلة
- **المطلب الخامس**: بدايات التناسق الموضوعي ومراحله

➢ **الفصل الأول: اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها**، وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول**: اسم السورة الكريمة المشهور، وما ذُكِر لها من أسماء. وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول**: اسم السورة الكريمة المشهور
  - **المطلب الثاني**: ما ذُكِر لسورة لقمان من أسماء
  - **المطلب الثالث**: التعريف بلقمان الحكيم
- **المبحث الثاني**: **ما ورد في فضل السورة ، أو بعض آياتها**. وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأول**: مزايا معرفة فضائل السور

ـ **المطلب الثاني**: ما ورد لسورة لقمان من فضائل

- **المبحث الثالث**: عدد آيات السورة، واختلاف العلماء في ذلك. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: طريق معرفة الآية، والخلاف في ذلك

ـ **المطلب الثاني**: عدد آيات سورة لقمان، والخلاف في ذلك

- **المبحث الرابع**: تاريخ نزول السورة الكريمة. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: أهميَّة معرفة تاريخ نزول القرآن

ـ **المطلب الثاني**: تاريخ نزول سورة لقمان وترتيبها

➢ **الفصل الثاني: مكيّ السورة ومدنيِّتها، ومناسبتها لما قبلها، ووجه اختصاصها بما اختصت به**، وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول**: مكيُّ السورة ومدنيُّتها. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: المراد بالمكي والمدني، وطريق معرفتهما وفوائد معرفتهما. وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المراد بالمكي والمدني

الفرع الثاني: طريق معرفة المكي والمدني

الفرع الثالث: فوائد معرفة المكي والمدني

ـ **المطلب الثاني**: المكي والمدني في سورة لقمان. وفيه فرعان:

الفرع الأول: سورة لقمان مكيَّةٌ في الجملة

الفرع الثاني: الخلاف في مدنيَّة بعض آياتها

- **المبحث الثاني**: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: معنى المناسبة، وحكمها، وفائدتها. وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى المناسبة

الفرع الثاني: حكم المناسبة وموقف العلماء منها

الفرع الثالث: فائدة معرفة المناسبة

ـ **المطلب الثاني**: مناسبة سورة لقمان لما قبلها وما بعدها. وفيه فرعان:

الفرع الأول: مناسبة سورة لقمان لما قبلها

الفرع الثاني: مناسبة سورة لقمان لما بعدها

- **المبحث الثالث**: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات.

➢ **الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها وأهدافها**، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: أسباب النزول الواردة في السورة. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: معنى سبب النزول، وطريق معرفته، وفائدته. وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى سبب النزول

الفرع الثاني: طريق معرفة سبب النزول

الفرع الثالث: فوائد معرفة سبب النزول

ـ **المطلب الثاني**: أسباب النزول الواردة في سورة لقمان. وفيه فرعان:

الفرع الأول: ما ورد في سبب نزول السورة إجمالاً

الفرع الثاني: ما ورد في سبب نزول آياتٍ من السورة

- **المبحث الثاني**: مقاصد السورة وأهدافها. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: المراد بمقاصد السور وأهميتها.

ـ **المطلب الثاني**: المقاصد والأهداف في سورة لقمان.

الباب الثاني

التناسق الموضوعي: دراسة تطبيقية

➢ **الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة**. وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: دلالة أسماء السور على مسمَّياتها.

ـ **المطلب الثاني**: مناسبة اسم سورة لقمان لموضوعاتها.

- **المبحث الثاني**: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها. وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

ـ **المطلب الثاني**: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

➢ **الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها**، وفيه ستة مباحث:

- **المبحث الأول**: موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. وهو بمثابة فاتحة السورة، ويشمل الآيات: (١ – ٩).
- **المبحث الثاني**: دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. ويشمل الآيات: (١٠– ١١).
- **المبحث الثالث**: لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. ويشمل الآيات: (١٢– ١٩).
- **المبحث الرابع**: تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس حيال ذلك. ويشمل الآيات: (٢٠ – ٢٤).
- **المبحث الخامس**: إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق، واستحقاقه للعبادة. ويشمل الآيات: (٢٥ – ٣٢).
- **المبحث السادس**: الدعوة إلى تقوى الله، وبيان اختصاص المولى بمفاتح الغيب، وهو بمثابة خاتمة السورة (وعظ وتذكير). ويشمل الآيات: (٣٣ – ٣٤).

➢ **الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي**. وفيه ستة مباحث:

- **المبحث الأول**: تفسير آيات الموضوع الأول: موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. وهو بمثابة فاتحة السورة. ويشمل الآيات: (١ – ٩).
- **المبحث الثاني**: تفسير آيات الموضوع الثاني: دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. ويشمل الآيات: (١٠– ١١).
- **المبحث الثالث**: تفسير آيات الموضوع الثالث: لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. ويشمل الآيات: (١٢– ١٩).
- **المبحث الرابع**: تفسير آيات الموضوع الرابع: تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس حيال ذلك. ويشمل الآيات: (٢٠ – ٢٤).

- **المبحث الخامس:** تفسير آيات الموضوع الخامس: إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق، واستحقاقه للعبادة. ويشمل الآيات: (٢٥ – ٣٢).
- **المبحث السادس:** تفسير آيات الموضوع السادس: الدعوة إلى تقوى الله، وبيان اختصاص المولى بمفاتح الغيب، وهو بمثابة خاتمة السورة (وعظ وتذكير). ويشمل الآيات: (٣٣ – ٣٤).

الخاتمة : وتشتمل على الخلاصة ونتائج الدراسة.

الفهارس : تشتمل على ما يلي:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث النبوية
٣. فهرس الآثار.
٤. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥. فهرس الألفاظ المشروحة
٦. فهرس المصادر والمراجع.
٧. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكتُ المنهج التحليلي، وذلك بتحليل الموضوعات التي اشتملت عليها السورة مع بيان ما بينها من تناسق وترابطٍ ومناسبةٍ. فقسَّمت السورة إلى ست موضوعات، ووضعت عنوانًا مناسبًا لكلِّ موضوعٍ.

وقمت بتفسير آيات الموضوع الواحد تفسيرًا إجماليًا، ليس بالقصير المخلِّ، ولا بالطويل المملِّ، مع بيان وجوه التناسب بين الآيات، والتناسق بين موضوعات السورة، وبيان المفردات الغريبة فيها، ونقل كلام المفسِّرين بما يخدم الجانب الموضوعي للسورة ويكشف عن معاني الآيات.

وراعيت في البحث الآتي:

١. إيراد الآيات وفق الرسم العثماني، مع عزوها لسورها.

٢. تخريج الأحاديث والآثار، مع بيان حكم العلماء عليها كلما وجدتُه، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فإنِّي أكتفي بالعزو إليهما.

٣. توثيق الأقوال الواردة في البحث بنسبتها إلى مصادرها الأصلية قدر الاستطاعة.

٤. شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية التي بحاجةٍ إلى شرحٍ وإيضاحٍ.

٥. عزْو الأشعار إلى أصحابها، مع الإحالة على أماكن وجودها.

٦. ترجمة الأعلام بإيجازٍ، دون المشاهير من الصحابة رضي الله عنهم.

والله الموفِّق الأكرم، وهو تعالى أعلى وأعلم.

الباب الأول

التناسق الموضوعي:
مقدّمات تعريفية

وفيه تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد

التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول	التعريف بالتناسق لغةً واصطلاحًا
المطلب الثاني	التعريف بالموضوعي لغة واصطلاحًا
المطلب الثالث	التعريف بالسورة لغة واصطلاحًا
المطلب الرابع	تعريف التناسق الموضوعي في السورة والألفاظ ذات الصلة
المطلب الخامس	بدايات التناسق الموضوعي ومراحله

المطلب الأول	التعريف بالتناسق لغة واصطلاحًا

"**التناسق الموضوعي**" مركَّبٌ وصفيٌّ، مكوَّنٌ من مفردتين أو جزأين:

- "**التناسق**" وهو الموصوف.
- و"**الموضوعي**" وهو الصفة.

والطريقة الصحيحة لتعريف المركبات أن يتمَّ تعريف كلِّ جزءٍ على حِدةٍ؛ لأنَّ العلم بالمركَّبات يتوقف على العلم بالمفردات.

التناسق لغة: التناسُق مصدر تَنَاسَقَ، ومادته الثلاثية "نَسَقَ"، والنون والسين والقاف أصلٌ صحيح يدلُّ على تتابُعٍ في الشَّيء، يقال: ناسَقَ بين الأمرين أي: تَابَع بينهما، وكلُّ شيءٍ اتَّبع بعضُه بعضًا فهو نَسَقٌ له.

و"**النَّسَقُ من كل شيء**": ما كان على طريقة نظامٍ واحدٍ، و"تناسقتِ الأشياء": انتظم بعضُها إلى بعض. **وحروف العطف** يسمِّيها النُّحاةُ **حروف النسق**؛ لأنَّ الشيء إذا عطَفْتَه على شيءٍ صار نظامًا واحدًا.

ومن المجاز: "كلامٌ مُتناسِقٌ": وهو ما جاء على نظامٍ واحدٍ، عُطِف بعضُه على بعض، ويقال للكلام الذي سُجِعَت فواصِلُه: له نَسَقٌ حَسَنٌ[(١)].

وقد ورد **الاتساق** في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾[(٢)]، أي تمَّ واجتمع واستوى، وهو افتعال من الوَسْقِ الذي هو الجمع، يقال: وسَقْتُه فاتَّسق، كما يقال: وَصَلْتُهُ فاتَّصل، ويقال: أمْرُ فلانٍ متَّسق: أي مجتمع على الصلاح منتظمٌ، ويقال: اتَّسَقَ الشيءُ: إذا تتابع[(٣)].

---

(١) انظر مادة "**نسق**" في جمهرة اللغة لابن دريد ٨٥٣/٢، تهذيب اللغة للأزهري ٣١٣/٨، الصحاح للجوهري ١٥٥٨/٤، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢٠/٥، أساس البلاغة للزمخشري ٢٦٦/٢، لسان العرب لابن منظور ٣٥٢/١٠، القاموس المحيط للفيروزآبادي ٩٢٥/١، تاج العروس للزبيدي ٤١٨/٢٦، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٢٠٣/٣.

(٢) سورة الانشقاق: آية ١٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧١/٢٢، تفسير البحر المحيط لأبي حيَّان ٤٣٧/٨.

فالتناسق من جهة اللغة يدور حول: الانتظام والملاءمة والتتابع.

التناسق اصطلاحًا:

لا يبعد معنى **التناسق** في الاصطلاح كثيرًا عن معناه اللغوي. **فالكلام الحسن المتناسق** يعني: "أَنْ يأتي المتكلِّم بكلماتٍ متتاليةٍ معطوفةٍ، متلاحمةٍ تلاحمًا سليمًا مستحسَنًا، بحيث إذا أُفردتْ كلُّ جملةٍ منه قامت بنفسها واستقلَّ معناها بلفظها"(١).

ولم أجد في حدود مُكْنتي وبحثي عن تعريفٍ للتناسق باعتباره مصطلحًا عند علماء التفسير وعلوم القرآن المتقدِّمين، ومع ذلك فما غفل الأوائل عن استعمال هذا المصطلح في ثنايا تفاسيرهم لآيات القرآن العظيم، إذْ جاء ورودٌ لهذا اللفظ عند بعضهم، من أولئك:

أ - **الزمخشري** رحمه الله(٢)، أشار في تفسيره "الكشَّاف" إلى **التناسق** عند تفسير قول الله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾(٣) بقوله: ((﴿الٓمٓ﴾ جملةٌ برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلَّةٌ بنفسها، و ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ جملةٌ ثانيةٌ، و﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ ثالثةٌ، و﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ رابعةٌ، وقد أُصيب بترتيبها مِفصَل البلاغة، وموجب حسن النَّظْم، حيث جيء بها **متناسقةً** هكذا من غير حرف نَسَقٍ؛ وذلك لمجيئها متآخيةً آخذًا بعضها بعنق بعضٍ، فالثانية متَّحدةٌ بالأولى معتنقةٌ لها، وهلمَّ جرًّا إلى الثالثة والرابعة)) (٤).

---

(١) الكليَّات للكفوي ص(٤١٠).

(٢) **هو**: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزَّمَخشَري، لُقِّب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانًا، كان واسع العلم، كثير الفضل، غايةً في الذكاء، متفنِّنًا في كلِّ علمٍ، معتزليًّا، حنفيًّا، من مؤلفاته: "الكشَّاف" في التفسير، "الفائق" في غريب الحديث، "المفصل" في النحو، توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٦٩٧/١١، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ٢٧٩/٢، طبقات المفسرين للداوودي ٣١٤/٢.

(٣) سورة البقرة: آية ١-٢

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١٤٩/١.

ب - ابن عطية الأندلسي رحمه الله[١]، أورد في تفسيره "المحرر الوجيز" ما يشير إلى معنى التناسق، وذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾[٢]. قال: (("الغنيُّ" صفة ذاتٍ لله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه تبارك وتعالى لا يفتقر إلى شيءٍ من جهةٍ من الجهات، ثمَّ تليت هذه الصفة بقوله "ذُو الرَّحْمَةِ"، فأردف الاستغناء بالتفضُّل وهذا أجمل **تناسقٍ**، ثمَّ عقَّب بهذه الألفاظ المضمَّنة الوعيد، المحذِّرة من بطش الله عزَّ وجلَّ))[٣].

ج - أبو حيَّان الأندلسي رحمه الله[٤]، قال في تفسيره "البحر المحيط" - بعد تفسيره لهذه الآيات: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[٥] إلى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[٦] - : ((فجمعت هذه الآيات بين الوعيد والوعد، والترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير، وصار فيها استطرادٌ من شيءٍ إلى شيءٍ، وإخبارٌ بمغيَّبٍ بعد مغيَّبٍ، **متناسقةً تَنَاسُقَ اللآلئ** في عقودها، مُتَّضحةً اتضاح الدراري في

---

(١) **هو**: أبو محمد عبد الحقِّ بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطيَّة الغرناطي الأندلسي، الإمام الكبير، القاضي، كان فقيهًا عارفًا بالأحكام والحديث والتفسير، أديبًا بصيرًا بلسان العرب، له يدٌ في الإنشاء والنظم والنثر، من مؤلفاته: المحرر الوجيز في التفسير، توفي سنة ٥٤١هـ. انظر: تاريخ قضاة الأندلس للمالقي ص(١٠٩)، طبقات المفسرين للداوودي ٢٦٥/١، طبقات المفسرين للأدنه وي ص(١٧٥).

(٢) سورة الأنعام: من الآية ١٣٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤٦٤/٣.

(٤) **هو**: أبو حيَّان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجَيَّاني، عالمٌ في النحو والتفسير والحديث والقراءات والتراجم، اتّفق أهل عصره على تقديمه وإمامته، من مؤلفاته: تفسير البحر المحيط، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، توفي سنة ٧٤٥هـ. انظر: الدرر الكامنة ٥٨/٦، طبقات المفسرين للداودي ٢٨٧/٢، طبقات المفسرين للأدنه وي ص(٢٧٨).

(٥) سورة البقرة: من الآية ٩٧.

(٦) سورة البقرة: من الآية ١٠٣.

مطالع سعودها))[١].

وممن تكلم عن التناسق في القرآن الكريم من المتأخرين:

أ - الزُّرْقاني رحمه الله[٢]، ذكر في كتابه "مناهل العرفان" أنَّ جودة سَبْك القرآن، وإحكامَ سَرْدِه من خصائص أسلوب القرآن، وقال: ((ومعنى هذا أنَّ القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجُمَله وآياته وسوره، مبلغًا لا يدانيه فيه أيُّ كلامٍ آخر، مع طول نفسه، وتنوُّع مقاصده، وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد، وآيةُ ذلك أنَّك إذا تأمَّلتَ في القرآن الكريم وجدت منه جِسْمًا كاملًا تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولمحْتَ فيه رُوحًا عامًّا يبعث الحياة والحس على تشابكٍ وتساندٍ بين أعضائه، فإذا هو وَحْدةٌ متماسكةٌ متآلفةٌ، على حين أنَّه كثرةٌ متنوعةٌ متخالِفةٌ، فبيْنَ كلمات الجملة الواحدة من التآخي **والتناسق** ما جعلها رائعةً التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وَحْدةً صغيرةً متآخذةَ الأجزاء، متعانِقةَ الآيات))[٣].

ب - محمد عبد الله دراز رحمه الله[٤]، يقول في " النبأ العظيم": ((إنَّك لتقرأ السورة الطويلة المنجَّمة يحسبها الجاهل أضْغَاثًا من المعاني حُشِيَتْ حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا، فإذا هي -لو تدبرت- بِنْيَةٌ متماسكةٌ، قد بُنِيت من المقاصد الكليَّة على أسسٍ وأصولٍ،

---

(١) تفسير البحر المحيط ١/٥٠٥.

(٢) **هو**: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، نسبته إلى (زُرْقان)، وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، من علماء الأزهر، عمل بتدريس علوم القرآن والحديث وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ. من مؤلفاته: مناهل العرفان في علوم القرآن. انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢١٠، كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم د.خالد السبت ١/٤٤-٤٨.

(٣) مناهل العرفان ٢/٢٤٨.

(٤) **هو**: محمد بن عبد الله دراز، فقيه متأدِّب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، اشتغل بالتدريس، اختير في عدد من المؤتمرات الدولية والعلمية ممثلاً لمصر والأزهر، توفي سنة ١٣٧٧هـ، من مؤلفاته: دستور الأخلاق في القرآن، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية.، انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢٤٦، ترجمة في موقع المكتبة الشاملة على الانترنت http://shamela.ws/index.php/author/1119.

وأقيم على كلِّ أصلٍ منها شُعَبٌ وفصولٌ، وامتدَّ من كلِّ شعبةٍ منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجراتٍ وأفنيةٍ في بنيانٍ واحدٍ، قد وضع رَسْمه مرةً واحدةً، لا تحسُّ بشيءٍ من تناكرِ الأوضاع في التقسيم **والتنسيق**، ولا بشيءٍ من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريقٍ، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامِّ والالتحاق، كلّ ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمرٍ من خارج المعاني أنفسها، وإنَّما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كلِّ غرضٍ ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا))[١].

ج - سيِّد قُطْب رحمه الله[٢]، من ذلك قوله: ((**التناسق** ألوانٌ ودرجاتٌ، منها **التنسيق** في تأليف العبارات، بتخيُّر الألفاظ، ثمَّ نظمها في نَسَقٍ خاصٍّ، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها، ومنها ذلك الإيقاع الناشئ من تخيّر الألفاظ، ونظمها في نَسَقٍ خاصٍّ، ومنها النكت البلاغية التي تنبَّه لها الكثيرون من التعقيبات المتَّفِقة مع السياق، ومنها التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ... ومع أنَّ هذه الخصائص حقيقيةٌ وقيِّمةٌ، إلا أنَّها لا تزال أولى مظاهر التناسق التي يلمحها الباحث في القرآن))[٣].

وقال - عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾[٤] - : ((**التناسق** المطلق الشامل الكامل هو الظاهرة التي لا يخطئها مَنْ يتدبَّر هذا القرآن أبدًا، ومستوياتها ومجالاتها ممَّا تختلف العقول والأجيال في إدراك مداها،

---

(١) النبأ العظيم ص(١٩٥)

(٢) **هو**: سيِّد قُطْب بن إبراهيم، مفكِّر إسلامي مصري، تدرّج في عدد من الوظائف، كتب في بداياته عن النقد الأدبي، ثم كتب في الدراسات الاجتماعية والقرآنية، وعكف على تأليف الكتب وهو في سجنه حتى صدر الحكم بإعدامه عام ١٣٨٧هـ. من مؤلفاته: خصائص التصوّر الإسلامي، مشاهد القيامة في القرآن، في ظلال القرآن. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٧/٣، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ص(١٠٠).

(٣) التصوير الفني في القرآن باختصار ص(٨٧-٨٩).

(٤) سورة النساء: آية ٨٢.

ولكنْ كلُّ عقلٍ وكلُّ جيلٍ يجد منها- بحسب قدرته وثقافته وتجربته وتقواه- ما يملك إدراكه))[١].

وعرِّف **التناسق في السورة القرآنية** بما يأتي:

◆ **هو**: "تسلسل الألفاظ والمعاني الواردة في السورة وتتاليها بحيث تكون كلُّ جملةٍ آخذةً بعُنُق الأخرى إلى أن يتلاحم بعضها ببعضٍ، فلا يكون منها شيءٌ خارج السياق"[٢].

◆ أو **هو**: "البحث في ترابط موضوعات السورة وانتظامها"[٣].

يتحصَّل في نهاية المطاف – بعد التأمُّل في استخدامات المفسِّرين لمفردة التناسق، والاطلاع على بعض التعريفات المعاصرة، وسؤال أهل الاختصاص – أنَّ تعريفات التناسق اصطلاحيًّا بينها تقاربٌ شديدٌ، إذْ كلُّها تدور في فَلَكٍ واحدٍ.

◆ وإذا جاز أن أصوغ تعريفًا موجزًا **للتناسق** فهو:

تتابع ألفاظ القرآن وتآلفها، وانسجام معاني آياته بانتظامٍ وإحْكامٍ. والله تعالى أعلم.

---

(١) في ظلال القرآن ٢/٧٢١.

(٢) التناسق الموضوعي في سورة الأحزاب أ. محمد القرشي ص(٢٢)، التناسق الموضوعي في سورة المجادلة أ.ناهد سريجي ص(٢٧)، التناسق الموضوعي في سورتي التحريم والمعارج أ. عمر السلمي ص(٣١)، وجميعها رسائل ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.

(٣) التناسق الموضوعي في سورة الأنفال أ.بدر الذيابي ص(٢٦)، التناسق الموضوعي في سورة الجمعة والمنافقون والتغابن أ.أحمد محمد رشاد ص(٣٠) وهما رسالتا ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.

المطلب الثاني | التعريف بالموضوعي لغة واصطلاحًا

الموضوعي لغةً: نسبةٌ إلى الموضوع، وهو اسمُ مفعولٍ مِنْ "وَضَعَ"، والواو والضَّاد والعين: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الخَفْض للشيء وحَطِّه.

وتأتي بمعنى التثبيت: وَضَعَ الشيءَ في المكان: أَثْبَتَه فيه(١)

و"**الموضوع**" هو مادَّةٌ يبني عليها المتكَلِّمُ أو الكاتبُ كلامَه، ويدلُّ عليه فحوى الكلام(٢).

فالمعاني اللغوية **للوَضْع** تدور على جَعْل الشيء في مكانٍ ما، سواء كان بمعنى الحَطِّ والخَفْض أو بمعنى الإلقاء والتَّثبيت (٣).

- ومن استعمالات القرآن الكريم لمفردة "**الوضع**" بمعنى إثبات الشيء في مكانه قولُه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٤).

الموضوعي اصطلاحًا: لم أقفْ على اصطلاحٍ للمتقدمين من علماء التفسير وعلوم القرآن لمفردة " **الموضوعي**"؛ إذ لم يظهر شيوع هذا الاصطلاح إلَّا في العصور المتأخرة، وفي الكتابات المعاصرة، وهو وَصْفٌ يتعلَّق بموضوعات القرآن.

ويعنون **بالموضوع القرآني: القضية التي تضمَّنتها آيةٌ أو آياتٌ أو سورةٌ أو سورٌ من القرآن الكريم**(٥).

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر مادة "**وضع**" في: الصحاح ١٢٩٩/٣، معجم مقاييس اللغة ١١٧/٦، لسان العرب ٣٩٩/٨، تاج العروس ٣٤٦/٢٢، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٦٨١/٢.

(٢) انظر مادة "وضع" في: المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٠٤٠/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٤٥٧/٣.

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي د.مصطفى مسلم ص١٥.

(٤) سورة الأنبياء: من الآية ٤٧، انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي د.عبد الستار فتح الله سعيد ص(٢٢).

(٥) انظر: التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه د.زياد الدغامين ص(٢٥)، التناسق الموضوعي في السورة القرآنية د.محمد بازمول ص(١٠).

المطلب الثالث	التعريف بالسورة لغة واصطلاحًا

السورة لغة:

للسورة في نطقها لغتان:

الأولى: بلا همزٍ "**سورة**"، وهو الأشهر، بمعنى المنزلة والشرف، وما طال من البناء وحَسُن. وسُمِّيت **السورةُ سورةً**؛ لارتفاع منزلتها وشرفها؛ ولكونها محيطةً بآيات وأحكام إحاطَة السُّوْر بالمدينة(١).

والثانية: بهمزٍ "**سؤرة**" من "أسْأرْتُ" أيْ: أبقَيْتُ، و"**السُّؤْر**" البقيَّة التي تبقى من شرب الشارب في الإناء، وسُمِّيت "**سؤرة**" بهذا الاسم؛ كأنَّها قطعةٌ مفردةٌ من جملة القرآن(٢).

السورة اصطلاحًا:

هي: طائفةٌ مستقلَّةٌ من آيات القرآن ذاتُ مطلَعٍ ومقطَعٍ(٣).

وقيل **هي**: قرآنٌ يشتمل على آيٍ ذوات فاتحةٍ وخاتمةٍ، وأقلُّها ثلاثُ آيات(٤).

وهما تعريفان صادقان على توصيف معنى السورة في القرآن. **والله تعالى أعلم**.

---

(١) انظر مادة "**سور**" في: الصحاح ٦٩٠/٢، معجم مقاييس اللغة ١١٥/٣، تاج العروس ١٠٢/١٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص(٣٤)، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٣٢٦/١.

(٢) انظر مادة "**سأر**" في: لسان العرب ٣٣٩/٤، تاج العروس ٤٨٥/١١، غريب القرآن ص(٣٤)، المفردات في غريب القرآن ٣٢٧/١.

(٣) مناهل العرفان للزرقاني ٢٨٥/١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢٦٤/١، والتعريف فيه منسوب للجعبري رحمه الله .

المطلب الرابع	التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة، والألفاظ ذات الصلة

عُلِم ممَّا سبق ذكره في المطلبين الأول والثاني تعريف المفردتين[١]:

- **التناسق: هو تتابع ألفاظ القرآن وتآلفها، وانسجام معاني آياته بانتظامٍ وإحْكامٍ.**
- **الموضوعي** (القرآني): **هو القضية التي تضمَّنتها آيةٌ أو آياتٌ أو سورةٌ أو سورٌ من القرآن الكريم.**

وبإعادة تركيب اللفظين معًا تركيبًا وصفيًّا، وجمع مُحدِّدات المفردتين معًا يكون تعريف

◂ التناسق الموضوعي

هو: تتابع القضايا وانتظامها وترتيبها في القرآن الكريم بين آياته وسوره[٢].

وممَّا قيل في تعريف **التناسق الموضوعي في السورة** خاصَّةً هو:

تلاحم موضوعات السورة، وتماسك بنائها، وذلك بترابط ألفاظ الآية وتناسب معانيها[٣].

وهو تعريفٌ موفٍ بالمقصود، محقِّقٌ للمراد.

الألفاظ ذات الصلة:

إنَّ الدارس لمسائل التناسق الموضوعي يلحظ وجود مقاربةٍ لهذا المصطلح، من جهة اللفظ أو المعنى. من هذه المصطلحات:

---

(١) انظر: ص (٢٤، ٢٥).

(٢) انظر: التناسق الموضوعي في السورة القرآنية د.محمد بازمول ص(١٠).

(٣) التناسق الموضوعي في السورة القرآنية ص(١١)، وحدة النسق في السورة القرآنية د.رشيد حمداوي ص(١٤٠).

- **الوحدة الموضوعية.**
- **المناسبات (التناسب).**
- **التفسير الموضوعي.**

المصطلح الأول: الوَحْدة الموضوعية للسورة

ومعناها: "المحور الأساس الذي يجمع المواضيع المتشعِّبة في السورة الواحدة"(١).

ومن المصطلحات القريبة من **الوَحْدة الموضوعية** مصطلح "**وَحْدة النَّسَق**"، وهو يعني: تماسك بناء السورة القرآنية، واتِّسَاق معانيها المتشعِّبة التي تتضمَّنها ضمن غرضٍ محوريٍّ واحدٍ دون تنافُرٍ أو تفكُّكٍ(٢).

ويرى جملةٌ من الباحثين أنَّ **الوَحْدة الموضوعية** نوعٌ من أنواع التفسير الموضوعي إلَّا أنَّ دائرته أضيق حيث يبحث عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة(٣).

المصطلح الثاني: المناسبات

وهي علمٌ تُعرف منه عِلَلُ ترتيب أجزاء القرآن بعضها ببعض(٤).

أو بعبارة أخرى: "هي بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدِّدة، أوبين السورة والسورة"(٥).

وبين هذين المصطلحين و**التناسق الموضوعي** نوعٌ من الالتقاء.

فمن خلال التعاريف الآنفة الذكر يتَّضح الآتي:

---

(١) تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية د.محمد بازمول ص(٥٥) .

(٢) وحدة النسق في السورة القرآنية ص(١٣٨).

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص(٢٨)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه د. فهد الرومي ص(٦٨).

(٤) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٦/١. وسيأتي مزيد بيان عن المناسبات في مبحث مناسبات السورة ص(٩١).

(٥) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص(٩٢).

(أ) أنَّ **التناسق الموضوعي** يتداخل مع **علم المناسبات**، و**الوحدة الموضوعية**، إلَّا أنَّه أعمُّ من مصطلح **الوحدة الموضوعية**، وأخص من مصطلح **التناسب** [١].

(ب) أنَّ **التناسب** بين آيات السورة، **والتناسق** بين موضوعاتها يوصلان للموضوع الرئيس أو الموضوعات الرئيسية التي تدور حولها السورة، ولا يلزم أن يكون للسورة موضوع واحد، بل قد يكون لها عدة مواضيع رئيسة تدور حولها السورة، فالسور القرآنية على نوعين: سور ذات موضوع واحد، لا تعدد للموضوعات فيها، فهذه لا ينظر فيها من جهة إبراز التناسق الموضوعي، إنما من جهة المناسبات والروابط اللفظية والمعنوية. والنوع الثاني: سور ذات موضوعات متعددة، فهذا يطلب لها إبراز التناسق الموضوعي[٢].

وأشار الإمام الشاطبي رحمه الله[٣] لمثل هذا، فقال: ((غير أنَّ الكلام المنظور فيه تارةً يكون واحدًا بكلِّ اعتبارٍ، بمعنى أنَّه أنزل في قضيةٍ واحدةٍ طالتْ أو قصرتْ، وعليه أكثر سور المفصَّل، وتارةً يكون متعدِّدًا في الاعتبار، بمعنى أنَّه أنزل في قضايا متعدِّدةٍ؛ كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، واقرأ باسم ربك، وأشباهها))[٤].

ومن جميل ما يُذكر هنا – في مبحث الألفاظ ذات الصلة – قولُ ابن العربيِّ رحمه الله[٥]:

---

(١) انظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية ص(١٠١-١٠٨)، التناسق الموضوعي للسورة القرآنية ص(١٢-٢٤)، وفيهما بسط للفروق بين هذه المصطلحات.

(٢) انظر: التناسق الموضوعي في السورة ص(٣١)، الموافقات ٢٦٦/٤.

(٣) **هو**: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي، المحقق الفقيه الأصولي، له استنباطات لطيفة وأبحاث شريفة، مع صلاح وعفةٍ وورعٍ، واتباع السنة واجتناب البدع، له مصنفاتٌ نفيسةٌ، منها: الموافقات، الاعتصام، المقاصد الشافية شرح الخلاصة الكافية. توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: نيل الابتهاج ص ٤٨، وشجرة النور الزكية ص ٢٣١.

(٤) الموافقات ٢٦٦/٤.

(٥) **هو**: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافِري الأندلسي المالكي، من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الاجتهاد، ولي قضاء إشبيلية، ثم صرف عنه وأقبل على نشر العلم، من مؤلفاته: أحكام القرآن، والعواصم من القواصم، وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي، توفي سنة ٤٥٣هـ. انظر: تاريخ قضاة الأندلس ١٠٥/١، طبقات المفسرين للأدنه وي ١٨٠/١، الأعلام للزركلي ٢٣٠/٦.

((ارتباطُ آيِ القرآن بعضها ببعضٍ حتى تكونَ كالكلمة الواحدة متَّسِقةَ المعاني، منتظمةَ المباني، علمٌ عظيمٌ))[١].

فجاء وصف ''**اتساق المعاني**'' قريبٌ من مصطلح **التناسق الموضوعي**، ووصف ''**انتظام المباني**'' قريب من مصطلح **المناسبات**، ووصف ''**حتى تغدو كالكلمة الواحدة**'' قريب من مصطلح **الوحدة الموضوعية**.

المصطلح الثالث: التفسير الموضوعي

من المصطلحات القريبة لفظًا من **التناسق الموضوعي** مصطلح **التفسير الموضوعي**، وهو يعني: "جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية"[٢].

ويتضَّح من خلال التعريف أنَّ التناسق الموضوعي مغايرٌ لمصطلح التفسير الموضوعي. **والله تعالى أعلم**.

---

(١) نقله الزركشي في البرهان ٣٦/١، البقاعي في نظم الدرر ٦/١، والسيوطي في الإتقان ١٨٣٧/٥ منسوبًا إلى كتابه الموسوم بـ (سراج المريدين).

(٢) محاضرات في التفسير الموضوعي للدكتور عباس عوض الله عباس ص(٢٠). وتعددت تعاريف الباحثين المعاصرين للتفسير الموضوعي، وجلّها تدور حول المعنى المذكور، للاستزادة انظر: مباحث في التفسير الموضوعي د.مصطفى مسلم ص(١٦).

المطلب الخامس | بدايات التناسق الموضوعي ومراحله

ليس الكلام في **التناسق الموضوعي** بِدْعًا من القول، بل إنَّ النبيَّ ﷺ دمغ اليهود حينما حاولوا إنكار **التناسق** في القرآن.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسولَ الله ﷺ نَفرٌ من اليهود، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حقٌّ من عند الله عزَّ وجلَّ؟ فإنَّا لا نراه **متناسقًا** كما **تَنَاسَقُ** التَّوراة؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «أمَا والله إنَّكم لَتَعْرِفُونَ أنَّه مِنْ عندِ الله تَجِدُونَه مكْتُوبًا عندَكم، ولو اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ على أنْ يأتُوا بِمِثْلِه ما جاءُوا به» (١).

ولا شكَّ أنَّ هذا النظم القرآني، بتآلف ألفاظه وتناسق موضوعاته وقوَّة سلطانه ونفوذه من أعظم وجوه إعجازه، فالسورة القرآنية وإنْ تعدَّدت موضوعاتها، إلَّا أنَّها آيةٌ في التلاحم والانسجام، لا ينكر ذلك إلَّا جاحدٌ أو معاندٌ.

ومصطلح **التناسق الموضوعي** يعدُّ جديدًا في بابه من جهة الإطلاق والتعريف، لا من جهة المضمون والتطبيق، فقد كان للعلماء اهتمامٌ مبكِّرٌ بالنَّسَق القرآني، ودراسة أسرار النظم القرآني تحت مسمَّى إعجاز النَّظم، أو مناسبات الآيات.

وكانت تلك الدراسات بمثابة اللبنات الأولى لهذا النوع من الدراسات القرآنية المعاصرة، والتي تُعْنَى بالنظم القرآني، وإبراز تماسك بناء السورة، وتلاؤم موضوعاتها. ثمَّ طفق هذا الفنُّ يزهو ويربو، ويزدهر ويتطوَّر، حتى استوى على سُوْقه في الأعصر المتأخِّرة.

ويمكن عرض الاعتناء بهذا اللون من التفسير في مراحله وحِقَبه وفق الآتي:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧٦/١٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤١/٩) إلى ابن إسحاق والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم، وممن ذكرها: ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٧٧/٩، الشوكاني في فتح القدير ٣٥٩/٣، وقال ابن كثير معلقًا على الرواية: ((وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة مكيَّة وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة، فالله أعلم)). وصحح سند الرواية د. حكمت بشير في موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٢٨٥/٣.

أولًا: مرحلة الإشارة إلى معاني النَّظْم أو النَّسَق القرآني

ومن الأقوال المذكورة قديمًا في ذلك[١]:

(أ) ما ذكره الإمام **الباقلاني** رحمه الله[٢] في كتابه "إعجاز القرآن" حيث عدَّ الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن الكريم: ((أنَّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحدِّ الذي يعلم عجز الخلق عنه))[٣].

وذكر في موضعٍ آخر كلامًا جميلاً يبرهن فيه على النظم البديع لسورة النمل، ويُدْخِل فيه التناسق الموضوعي، فيقول: ((تأمَّل السورة التي يذكر فيها "النمل"، وانظر في كلمةٍ كلمة، وفصلٍ فصل، بدأ بذكر السورة، إلى أنْ بيَّن أنَّ القرآن من عنده، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٤]، ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام، وأنَّه رأى نارًا: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٥]، وقال في سورة طه في هذه القصة: ﴿لَعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[٦]، وفي موضع ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٧]، قد تصرف في وجوه، وأتى بذكر القصة على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، ولهذا قال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ

---

(١) تقدَّمت الإشارة قريبًا إلى بعض المفسرين الذين تطرقوا لذكر التناسق في تفاسيرهم، انظر: ص(٢٠).

(٢) **هو**: أبو بكر محمد بن الطيِّب بن محمد الباقلاني، أشعري المذهب، من أهل البصرة، وسكن بغداد، كان بارعًا في علم الكلام، واضح البيان، سريع الجواب، له عنايةٌ بالرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، من تآليفه: التقريب والإرشاد، التمهيد، إعجاز القرآن توفي سنة ٤٠٣، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٦٤/٣، وفيَّات الأعيان لابن خلّكان ٢٦٩/٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٦٣/٩.

(٣) إعجاز القرآن ص(٣٥).

(٤) سورة النمل: آية ٦.

(٥) سورة النمل: آية ٧.

(٦) سورة طه: من الآية ١٠.

(٧) سورة القصص: من الآية ٢٩.

مِّثْلِهِۦ ﴾[١]، ليكون أبلغ في تعجيزهم، وأظهر للحجة عليهم، وكل كلمة من هذه الكلمات، وإن أنبأت عن قصة، فهي بليغة بنفسها، تامة في معناها، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] فانظر إلى ما أجرى له الكلام، من علو أمر هذا النداء، وعظم شأن هذا الثناء، وكيف انتظم مع الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية، وما دلَّ به عليها من قلب العصا حيَّةً، وجعلها دليلاً يدله عليه، ومعجزة تهديه إليه، وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة، ثمَّ ما شفع به هذه الآية، وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء – عن نور البرهان – من غير سوء، ثمَّ انظر في آيةٍ آية، وكلمةٍ كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم، وبديع الرصف؟ فكلُّ كلمة لو أفردت كانت في الجمال غايةً، وفي الدلالة آيةً، فكيف إذا قارَنَتْها أخواتها، وضامَّتْها ذواتها، ممَّا تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها، ثمَّ من قصةٍ إلى قصةٍ، ومن بابٍ إلى بابٍ، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصوَّر لك الفصل وَصْلًا، ببديع التأليف، وبليغ التنزيل))[٣]. وهذا الحديث النفيس عن وصف آي القرآن العظيم، هو موضوع التناسق الموضوعي الرئيس.

(ب) ما ذكره **الجرجاني** رحمه الله[٤] في معرض حديثه عن إعجاز القرآن، حيث قال: ((أَعجَزَتْهم مزايا ظهرتْ لهم في نَظْمه، وخصائصُ صادفوها في سياق لفظه، وبدائعُ رَاعَتْهم من مبادئ آيهِ ومقاطِعها، ومجاري ألفاظِها ومواقعها، وفي مضربِ كلِّ مثل، ومساقِ كلِّ خبر، وصورة كلِّ عظة وتنبيه، وإعلامٍ وتَذكيرٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ، ومع كلِّ حُجةٍ وبُرهانٍ، وصفةٍ

---

(١) سورة الطور: من الآية ٣٤.

(٢) سورة النمل: آية ٨.

(٣) إعجاز القرآن ص(١٩٠).

(٤) **هو**: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، كان شافعيًّا، عالماً، أشعريًّا، ذا نسكٍ ودينٍ، آيةً في النحو، من مؤلفاته: دلائل الإعجاز، المغني في شرح الإيضاح، العمدة في التصريف، توفي سنة ٤٧١هـ، وقيل ٤٧٤هـ. انظر: بغية الوعاة ١٠٦/٢، سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٨.

وتبيانٍ، وبَهرهُم أنَّهم تأمَّلوه سورةً سورةً، وعَشْرًا عَشرًا، وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمةً يَنْبو بها مكانها، ولفظةً يُنكرُ شانُها، أو يُرى أنَّ غيرها أصلحُ هناك أو أشْبَه، أو أحرى وأخْلَق، بل وجدُوا اتِّساقًا بَهَرَ العقول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا))[1].

(ج) الإمام **الزمخشري** رحمه الله، وكان ممَّن اهتمَّ بالنظم القرآني، فالذي يقرأ في تفسيره يرى أنَّه حريصٌ على إبراز بلاغة القرآن وجمال أسلوبه وكمال نظمه في حُلَّةٍ بديعةٍ، وقد تقدَّم قريبًا ذكر مثال على ذلك[2].

(د) الإمام **الرازي** رحمه الله[3]، وكان يعتني بذكر المناسبات بين آيات القرآن وسوره، وأسرار ترتيبها. ويظهر التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية في تفسيره بوضوحٍ وجلاءٍ.

من ذلك عند تفسيره قول الله تعالى في أواخر سورة فصلت: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ**﴾[4]، قال: ((وكلُّ مَنْ أنْصَفَ ولم يتعسَّف علم أنَّا إذا فسَّرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه، صارت هذه السورة مِنْ أوَّلِها إلى آخرها كلامًا واحدًا منتظِمًا مَسُوقًا نحو غرضٍ واحدٍ، فيكون هذا التفسير أولى ممَّا ذكروه)) [5].

ثانيًا: مرحلة الحديث عن التناسق والتناسب ضمن فصول الكتاب

بعض الكتب المصنَّفة في ''علوم القرآن'' أفْرَدَت مباحث للحديث عن تناسب الآيات والسور:

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني ص (٣٩).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي ٣١٣/١. وانظر المثال ص(٢٠).

(٣) **هو**: أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي الشافعي، المفسِّر المتكلِّم، ولد بالريِّ، كان واعظًا بارعًا باللغتين العربية والفارسية، من تصانيفه: مفاتيح الغيب (في التفسير)، معالم أصول الدين، المحصول (في أصول الفقه)، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ص٢١٣، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٨٠/٨.

(٤) سورة فصلت: من الآية ٤٤.

(٥) مفاتيح الغيب ١٣٥/٢٧.

◆ كالزركشي في "البرهان في علوم القرآن" خصَّص النوع الثاني للحديث عن المناسبات(١).

◆ وكالسيوطي في "الإتقان"، تحدَّث عن مناسبة الآيات والسور في النوع الثاني والستين(٢).

ثالثًا: مرحلة تأليف كتبٍ متخصِّصةٍ في التناسب والتناسق

وُجدتْ مؤلفاتٌ مستقِلَّةٌ عُنِيتْ بذكر المناسبات، ومقاصد السور. من أمثلة ذلك:

◆ "نظم الدرر"، و"مصاعد النظر" كلاهما للبقاعي رحمه الله (٣).

◆ و"البرهان في تناسب سور القرآن" لابن الزبير الغِرْناطي رحمه الله (٤).

◆ و"قطف الأزهار في كشف الأسرار" للسيوطي رحمه الله(٥).

◆ وفي العصر الحديث، تكاملت صورة التناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية بشكلٍ أكبر، وظهرت العديد من الدراسات التي تناولت هذا اللون من التأليف(٦). **والله تعالى أعلم.**

❁ ❁ ❁

---

(١) انظره في: ١/٣٥.

(٢) انظره في: الإتقان ٥/١٨٣٦.

(٣) **هو**: أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط البقاعي، من البقاع بسورية، مؤرخ أديب مفسر، من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، من مصنفاته: مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران، توفي سنة ٨٨٥هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ص١٩، الأعلام ١/٥٦.

(٤) **هو**: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي المالكي، إمامٌ حافظٌ عالمٌ بالتفسير والحديث والنحو، من مصنفاته: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، توفي عام ٧٠٨هـ. انظر: الدرر الكامنة ١/٨٩، طبقات المفسرين للداودي ١/٢٦.

(٥) **هو**: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخُضيري السيوطي الشافعي، إمامٌ حافظٌ مؤرِّخٌ أديبٌ، نشأ يتيمًا، وكان محل الرعاية من عدد من العلماء من رفاق أبيه، له مؤلفات حافلة جامعة نافعة منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، طبقات الحفاظ، الجامع الكبير. توفي سنة ٩١١هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨/٥٠، ديوان الإسلام ٣/٥١، الأعلام للزركلي ٣/٣٠١.

(٦) من هذه المؤلفات: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للإمام عبد الحميد الفراهي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز، في ظلال القرآن لسيد قطب، الأساس في التفسير لسعيد حوَّى.

الفصل الأول

اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول

اسم السورة الكريمة المشهور ، وما ذُكِر لها من أسماء

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول	اسم السورة الكريمة المشهور
المطلب الثاني	ما ذُكِر لسورة لقمان من أسماء
المطلب الثالث	التعريف بلقمان الحكيم

المطلب الأول	اسم السورة الكريمة المشهور

توطئة

اختلف العلماء في مصدر أسماء سور القرآن الكريم، والجمهور على أنَّها توقيفيَّةٌ من النبي ﷺ، وما وُجِد من أسماءٍ متعدِّدةٍ للسورة الواحدة قد يكون له مستند صحيح من الأحاديث أو الآثار أو ممَّا اشتهر وذاع بين أهل العلم(١)

فسور القرآن تنقسم من حيث المُسَمِّي (واضع التسمية) إلى ثلاثة أقسام(٢):

(١) ما ثبت عن النبي ﷺ.

(٢) ما ثبتت تسميته عن الصحابي.

(٣) تسمية من دون الصحابي.

أمَّا طريق معرفة السورة من حيث بدايتها ونهايتها، وترتيب آياتها فيها، فهو تَوْقِيفيٌّ من النبي ﷺ لا مجال للاجتهاد فيه(٣).

وتنقسم سور القرآن من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام(٤).:

(١) ما له اسمٌ واحدٌ، كسورة النساء، وسورة الأعراف.

---

(١) قال الطبري رحمه الله: ((لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاهن بها رسول الله ﷺ)) جامع البيان(٩٦/١). وقال الزركشي رحمه الله: ((ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإنْ كان الثاني فلن يعدم الفَطِن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد)) البرهان في علوم القرآن ٢٧٠/١. ويذكر الدكتور فضل عباس رأيًا له وجاهته في الجمع بين القول بتوقيفية التسمية، وتعدد أسماء السور فيقول: ((والذي يظهر لي – والله أعلم – في هذا الأمر أنَّ أسماء السور توقيفية، ولكن لا بأس لمن أحسن تدبر سور القرآن أنْ يستنتج بعض ما امتازت به كلُّ سورةٍ فيسمِّيها به، على ألَّا تكون هذه التسمية بديلًا للتسمية الأولى)) إتقان البرهان ٤٤٥/١. وبنحو هذا أشارت الدكتورة منيرة الدوسري في كتابها ''أسماء سور القرآن'' ص(٧٣)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٤٧/٢.

(٢) انظر: المحرر في علوم القرآن د. مساعد الطيار ص (١٦٩).

(٣) انظر: البرهان ٢٥٦/١

(٤) انظر: البرهان ٢٦٩/١، الإتقان ٣٥٧/٢، ٣٥٨.

(٢) ما له أكثر من اسمٍ، كسورة التوبة، وسورة غافر[١].

(٣) أن تُسمَّى عِدَّةُ سورٍ باسمٍ واحدٍ، كالزَّهْرَاوَين، والمعَوِّذتين[٢].

اسم السورة الكريمة المشهور:

لكل سورة من سور القرآن الكريم اسم يختصّ بها ويميّزها عن غيرها، والسورة التي بين أيدينا تسمى بـ **"سورة لقمان"** ، وهو الاسم الذي عُرِفت وشُهِرت به في المصاحف، وفي كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب السنن والآثار.

وقد وردت هذه التسمية في بعض الآثار، منها:

(١) عن البراء بن عازب ﷺ[٣] قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي بنا الظُّهرَ، فنسمَعُ منه الآيةَ بعدَ الآياتِ مِن **سُورةِ لقمانَ** والذارياتِ»[٤].

(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أُنزِلتْ سُورة لقمانَ بمكَّة))[٥].

---

(١) **من أسماء سورة التوبة**: براءة، الفاضحة، البَحُوث، الْمُقَشْقِشَة، و **من أسماء سورة غافر**: سورة الطَّوْل، والمؤمن. انظر: الإتقان ٢/٣٦٢،٣٥٨،٣٥٧

(٢) **الزهراوان** هما: البقرة وآل عمران. و**المعوذتان** هما: الفلق والناس. انظر: الإتقان للسيوطي٢/٣٥٦، ٣٦٧

(٣) **هو**: أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، استصغره النبيُّ ﷺ يوم بدرٍ فردَّه، ثم غزا مع النبيِّ ﷺ أربع عشرة غزوة ، توفي سنة ٧٢ هـ. انظر: أسد الغابة ١/٣٦٢، الإصابة ١/٤١١.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/٢١، برقم ٨٣٠ ، كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب الجهر بالآية أحيانا في صلاة الظهر والعصر، والنسائي في سننه ١/٣٣٤، برقم ١٠٤٣، كتاب الافتتاح، باب القراءة في الظهر، قال النووي في المجموع ٣/٣٨٢: إسناده حسن. وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ١/٤٣٧، وضعفه الألباني في: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩/١٢٠، برقم ٤١٢٠.

(٥) أخرجه ابن الضّريس في فضائل القرآن ص٣٣، باب فيما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة، وفي سنده عمر بن هارون الثقفي، وهو متروك. (ديوان الضعفاء للذهبي ص٢٩٨، تقريب التهذيب ص٤١٧. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/١٤٣-١٤٤،وفي إسناده عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي البالسي، اتهمه الإمام أحمد، وقال النسائي وغيره: ليس بثقة. انظر: لسان الميزان لابن حجر٥/٢١١. وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور١١/٦١٤، وانظر: فتح القدير٤/٣٠٧، روح المعاني٢١/٦٤، والتحرير والتنوير٢١/١٣٧. ولعل هذا الأثر استُنبط من رواية ابن عباس رضي الله عنهما التي سَرَد فيها السور المكيَّة والمدنية.

سبب تسميتها بهذا الاسم :

اختصَّت هذه السورة بهذا الاسم؛ لاشتمالها على اسم "**لقمان** "، ووصاياه الكريمة التي أنطقه الله بها وأوصى بها ابنه. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[١]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾[٢].

وقد سُمِّيت سورٌ في القرآن الكريم بأسماء أعلام، وهذه التسمية تشير إلى ما للمُسمَّى من شأنٍ وقدْرٍ، سواء في مقام الخير، كالسور المسمَّاة بأسماء أنبياء عليهم السلام وسورة مريم عليها السلام، أو في مقام الشرِّ كسورة الْمَسَد سُمِّيت بسورة أبي لهب، حيث كان عَلَمًا بارزًا من أعلام الضَّلال والكفر[٣].

ولم يرد لفظ "**لقمان**" في القرآن الكريم في غير هذه السورة، وكثيرًا ما تسمَّى السور القرآنية بكلمةٍ وردتْ فيها، كما في البقرة وآل عمران، والأنفال، وغيرها.

• قال الزركشي رحمه الله[٤]: ((ولا شكَّ أنَّ العرب تراعي في كثيرٍ من المسمَّيات أخذَ أسمائها من نادرٍ، أو مستغربٍ يكون في الشيء من خلْقٍ أو صفةٍ تخصُّه، أو تكون معه أحكام، أو أكثر، أو أسبق لإدراك الرائي للمسمَّى، ويسمُّون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز))[٥]. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٢

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٣

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن، د.عبد الكريم الخطيب ٥٦٤/١١.

(٤) **هو**: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بَهَادر بن عبد الله الزَّرْكَشي، كان فقيهًا أصوليًّا مفسِّرًا أديبًا فاضلاً، له مصنفات كثيرة في عدة فنون، منها: البرهان في علوم القرآن، إعلام الساجد بأحكام المساجد، البحر المحيط في أصول الفقه، الديباج في توضيح المنهاج، توفي سنة ٧٩٤هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦٧/٣، الدرر الكامنة ٣٩٧/٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢٧٠/١.

المطلب الثاني | ما ذُكِر لسورة لقمان من أسماء

الأسماء التي تطلق على سورة لقمان على قسمين:

(١) اسم خاصٌّ، وهو: سورة لقمان

ولم أقف على اسمٍ آخرَ اخْتَصَّتْ به سورة لقمان غير هذا الاسم الذي عرفت به، ويؤكِّد هذا المعنى الشيخُ ابنُ عاشور رحمه الله[١] فيقول: ((وليس لها اسم غير هذا الاسم))[٢].

(٢) اسمٌ مشْتركٌ، وهو: المثاني

والمثاني اسمٌ تشترك فيه هذه السورة مع غيرها.

جاءت هذه التسميةُ في حديث وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ مكانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وفُضِّلْتُ بالْمُفَصَّلِ» [٤].

---

(١) **هو**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، يعدُّ من كبار مفسري القرآن في العصر الحديث، ومن المهتمين بالإصلاح، من مؤلفاته: التحرير والتنوير، مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٧٤/٦، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، لبلقاسم الغالي، دار ابن حزم.

(٢) التحرير والتنوير ١٣٧/٢١.

(٣) **هو**: أبو الْأَسْقَعِ، وقيل: أبو قِرْصَافَةَ، وقيل غير ذلك، وَاثِلَةُ بن الْأَسْقَعِ بن عبد العُزَّى بن عبد يَالِيْل الكناني الليثي، أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، وكان من أهل الصفة، ثم نزل الشام، وشهد فتح دمشق، وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة، توفي سنة ٨٣هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣٩٩/٥، الإصابة لابن حجر ٤٦٢/٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٨٨/٢٨، برقم ١٦٩٨٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٧١/٤ برقم ٢١٩٢، فصل في فضائل السور والآيات، وأبو داود الطيالسي في مسنده ٣٥١/٢ برقم ١٠١٥، وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم في فضائل القرآن ص٢٢٥، والطبراني في المعجم الكبير ٧٦/٢٢ برقم ١٨٧. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٦/٧ : فيه عمران القطان، وثَّقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. وصحَّحه =

ولفظ "**المثاني**" ورد استعماله في نصوص القرآن والسنة على ثلاثة معان:

المعنى الأول: آيات القرآن كلُّها، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾(١).

المعنى الثاني: سورة الفاتحة، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾(٢).

المعنى الثالث: هي السور التي تلي الْمِئِين وتسبق المفصَّل. وسُمِّيتْ بذلك :

- لأنَّها ثَنَتْها، أيْ: جاءت بعدها، فهي لها ثوانٍ، والمئون لها أوائل.
- وقيل: لتَثنية الله جلَّ ذكره فيها الأمثال والقصص والعبر والخبر.
- وقيل: لأنَّها تُثَنَّى أكثر ممَّا يُثَنَّى الطِّوال والمئون(٣). **والله تعالى أعلم**.

=

الألباني بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٦٩/٣ برقم ١٤٨٠.

والسَّبْع الطِّوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ووقع اختلاف في السابعة، فقيل: الأنفال وبراءة معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: يونس. وسُميت هذه السور بالسبع الطوال، لطولها على سائر سور القرآن. **والْمِئُون**: هي السور التي تلي السبع الطوال، وهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مئة آية، أو تزيد عليها أو تنقص منها شيئًا يسيرًا. **والمُفَصَّل**: هي ما ولي المثاني من قصار السور، وسُمِّيت مفصَّلًا لكثرة الفصول التي بين سورها بـ "بسم الله الرحمن الرحيم". انظر: تفسير الطبري ٩٩/١-١٠١، جمال القراء للسخاوي ١٨٥/١، الإتقان ٤١٢/٢-٤١٣.

(١) سورة الزمر: من الآية ٢٣، وسميت آيات القرآن مثاني؛ لأنها يُشبه بعضها بعضًا، ويتلو بعضها بعضًا، فتُثَنِّيت الأخيرة على الأولى، ولها مقاطع تفصِّل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٥٤/١.

(٢) سورة الحجر: آية٨٧، وعن أبي هريرة رضِي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ». أخرجه البخاري١٧٣٨/٤، برقم ٤٤٢٧، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾. سُمِّيتْ بهذا؛ لأنَّها تُثَنَّى في كلِّ رَكْعةٍ، أو لأنها نزلت مرتين، لأنها من الثُّنْيَا لأنَّ الله استثناها لهذه الأمة، وقيل غير ذلك. انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١٩٥/٣.

(٣) انظر: البرهان ٢٤٥/١

المطلب الثالث | التعريف بلقمان الحكيم

وقع اختلافٌ في شخصية لقمان عليه السلام وما يتصل به، كنسبه، وموطنه، والعصر الذي عاش فيه؛ لأنَّ جُلَّ ما ذُكر عنه من هذه النواحي ممَّا أبهمه القرآن، ولم يثبت بالرواية الصحيحة عن النبي ﷺ. "وما دام القرآن لم يلتفت إلى ذلك كله فالغاية منه مصروفٌ عنها، إذْ مدار الأمر على ثبوت تلك الشخصية وصدق وجودها، ثمَّ ما اتصفت به من حكمةٍ، وما نطقتْ به"(١).

إضافةً إلى ذلك فإنَّ هذه الأقوال التي تذكر صفة لقمان عليه السلام وما يتصل بشخصيته لم تسلم من الاضطراب والتناقض.

• يقول أبو حيان الأندلسي رحمه الله: ((وهذا الاضطراب في كونه حرًّا أو عبدًا، وفي جنسه، وفيما كان يعانيه يوجب ألا يُكتب شيءٌ من ذلك، ولا يُنقل، ولكن المفسرون مولعون بنقل المضطربات حشوًا وتكثيرًا، والصواب تركه))(٢).

لذا فإنَّ هذا المطلب سيكون إلماحةً إجماليَّةً لما ذُكر عن لقمان الحكيم عليه السلام في كتب التفسير والتاريخ.

نَسَبه:

- قيل: هو لقمان بن عَنقاء بن سَدون(٣).
- وقيل: لقمان بن باعوراء(٤).
- ويُذكر أنه كان ابن أخت أيوب عليه السلام، أو ابن خالته(٥).

---

(١) الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان وما ينطوي عليه من قيم د. مصطفى المشني ص٣ (بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية المجلد ٧ العدد ٢ بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ).

(٢) تفسير البحر المحيط ١٨١/٧.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦٧/١٦، البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣.

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٢٨٦/٦، الكشاف للزمخشري ١٠/٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦٧/١٦.

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري ١٠/٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦٧/١٦.

موطنه:

- قيل: كان لقمان عليه السلام عبدًا حبشيًا[١].
- وقيل: كان من سودان مصر[٢].

هل كان لقمان حكيمًا أو نبيًّا؟

المشهور عن **الجمهور** أنَّه لم يكن نبيًّا، بل كان عبدًا صالحًا آتاه الله الحكمة، وهذا هو الظاهر من حديث الآيات عن لقمان عليه السلام[٣].

• قال ابن كثير رحمه الله[٤]: ((كان رجلا صالحًا، ذا عبادة، وعبارة، وحكمة عظيمة))[٥].

• وقال ابن عاشور رحمه الله: ((يظهر من الآيات المذكورة في قصته هذه أنَّه لم يكن نبيًّا لأنَّه لم يمتنَّ عليه بوحيٍ ولا بكلام الملائكة. والاقتصار على أنَّه أوتي الحكمة يوميء إلى أنَّه أُلْهِم الحكمة ونطق بها، ولأنَّه لما ذكر تعليمه لابنه: قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾[٦]، وذلك مُؤْذِنٌ بأنَّه تعليم لا تبليغ تشريع))[٧].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٥٤٧/١٨، النكت والعيون للماوردي ٣٣١/٤، البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠/١١.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٢٨٦/٦، الكشاف ١٠/٥، تفسير البحر المحيط ١٨١/٧، فتح القدير ٣١٢/٤، التحرير والتنوير ١٤٩/١١. يقول ابن كثير رحمه الله: ((وإنما ينقل كونه نبيًّا عن عكرمة، إنْ صحَّ السند إليه، فإنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال: "كان لقمان نبيًّا". وجابرٌ هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم)) تفسير القرآن العظيم٥١/١١.

(٤) **هو**: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي، إمامٌ محدِّثٌ حافظٌ مفتٍ بارع، من مصنفاته: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، جامع المسانيد والسُّنَن، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة ١٢٥/١، طبقات المفسرين للأدنه وي ص٢٦٠.

(٥) البداية والنهاية ٦/٣.

(٦) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٧) التحرير والتنوير ١٤٩/٢١.

وصاياه:

اعتنى طائفةٌ من العلماء بتدوين الحِكَم المأثورة عن لقمان عليه السلام[١].

ومما ذكروه عنه:

◄ قوله لابنه: ((يا بني أكثر من قول رب اغفر لي؛ فإنَّ لله ساعاتٍ لا يُرَدُّ فيها سائلٌ))[٢].

◄ ومنها أنَّه قيل له: أيُّ الناس شرٌّ؟ قال: ((الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئًا))[٣].

وهذه الحِكم والصفات التي ذُكِرت عن لقمان عليه السلام، وإنْ لم تثبت بطريقٍ قطعيٍّ، فإنَّها ممَّا يُستأنس به، ويُستفاد منه، وإلَّا فإنَّ شهادة الله عز وجل تكفي، ولا تضاهيها أيُّ شهادةٍ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾[٤]. **والله تعالى أعلم.**

❁ ❁ ❁

---

(١) كالزمخشري في الكشاف ١٠/٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٦٨/١٦، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥٩/١١، والبقاعي في نظم الدرر ١٥٦/١٥، وابن عاشور في التحرير والتنوير ١٦٩/٢١. ومن الكتب التي أُلِّفت عن لقمان عليه السلام: لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عبد الله الغامدي، ولقمان الحكيم في الكتاب والسنَّة لمحمد خلف.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٨٩/٢) باب الرجاء من الله تعالى برقم (١١٢٠)، والسيوطي في الدر المنثور ٦٣٢/١١.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٥/٧، وأبو حيَّان في تفسير البحر المحيط ١٨١/٧، والبقاعي في نظم الدرر ١٥٧/١٥.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٣.

المبحث الثاني

ما ورد في فضل السورة، أو بعض آياتها

وفيه مطلبان

المطلب الأول	مزايا معرفة فضائل السور
المطلب الثاني	ما ورد لسورة لقمان من فضائل

المطلب الأول	مزايا معرفة فضائل السور

❖ إنَّ القرآن الكريم كلَّه كتابُ فضلٍ وذكرٍ وهدايةٍ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١).

❖ وهو الكتاب المخصوص من بين سائر الكتب المتعبَّد بتلاوته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(٢).

◆ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(٣) قال: قال ﷺ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، ولكنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٤).

◆ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٥).

ومن مزايا العلم بفضائل السور والآيات:

- الترغيبُ في تلاوة كتاب الله عزَّ وجل.
- والحثُّ على حفظه.
- والارتباطُ الوثيق به.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩

(٢)سورة فاطر: آية ٢٩-٣٠

(٣) **هو**: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، صاحب رسول الله ﷺ، أسلم قديمًا، وأوَّل من جهر بالقرآن في مكة، هاجر الهجرتين، وشهد القبلتين، وشهد المشاهد مع النبي ﷺ، أخذ من فيِّ النبيِّ ﷺ سبعين سورة، توفي سنة ٣٢هـ. انظر: أسد الغابة ٣/٣٨١، الإصابة ٤/١٩٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٥/ ١٧٥، برقم ٢٩١٠ ، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/٩٧٠، برقم ٣٣٧٢

(٥) أخرجه البخاري ٤/ ١٩١٩، برقم ٤٧٣٩، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

– واليقينُ بشرفه ومنافعه الدينية والدنيوية.

"وكان ممَّا يُعين على إقامة رُسُومه، ومُقْتضى مَنصوصِه ومَفْهومه؛ معرفةُ الآثار الواردة عن النبي المصطفى المختار، وعن أصحابه الكرام الأبرار، فيما خصَّ به المجتهد من تلاوته من الصواب، ووعد على مدارسته من عظيم الأجر وجزيل الثواب، الذي مَن سَمِعه أناب إلى الطاعة، ولبَّى داعي الله تعالى بمبلغ الاستطاعة" [1] . **والله تعالى أعلم**.

(١) مقتبسٌ من كتاب: لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وريّ الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن لمحمد الغافقي ١/٦.

المطلب الثاني | ما ورد لسورة لقمان من فضائل

وردتْ لبعض السور والآيات فضائل مخصوصةٌ، اهتمَّ جَمْعٌ من العلماء بتبيانها، وتنوَّعت طرائقُهم في ذلك:

- فمنهم من ذكرها باعتبارها نوعًا من أنواع علوم القرآن(١).
- ومنهم من أفردها بالتأليف(٢).
- وكثيرٌ من كتب التفاسير تطرقت لهذه الفضائل عند تفسير سور القرآن وآياته.
- كما أفرد لها بعض المحدثين أبوابًا في مصنفاتهم الحديثية(٣) .

وبعد استقراءٍ وتَتَبُّعٍ مَظَانِّ فضائل سور القرآن وآياته، لحصر ما ورد في فضائل سورة لقمان ومكانتها ومنزلتها، أمكنني تسجيل **الفضائل والمزايا المذكورة في الأحاديث والآثار** الآتية:

الحديث الأول : عن وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ مكانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وفُضِّلْتُ بالْمُفَصَّلِ»(٤).

---

(١) **كالزركشي** في كتابه البرهان ٤٣٢/١، ذكر النوع السادس والعشرين في معرفة فضائله، **والسيوطي** في الإتقان ٢٠٩٩/٦ ذكر النوع الثاني والسبعين في فضائل القرآن.

(٢) مثل: كتاب **فضائل القرآن** لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) بتحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، **فضائل القرآن** لابن الضريس (ت٢٩٤هـ) بتحقيق: غزوة بدير، **لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وريّ الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن** لمحمد الغافقي (ت ٦١٩هـ) بتحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب.

(٣) ككتاب فضائل القرآن في صحيح البخاري ١٩٠٤/٤-١٩٢٨، وكتاب فضائل القرآن في جامع الترمذي ١٥٤/٥-١٨٤، بينما في صحيح مسلم (٥٤٣/١-٥٦٥)، وسنن أبي داود (٧٠/٢-٧٦) جاء ذكر فضائل القرآن تحت كتاب الصلاة.

(٤) سبق تخريجه في هامش(٤) ص(٤١).

هذا الحديثُ الواردُ في فضل القرآن الكريم عمومًا، ومزيَّتِهِ الشاملة على سائر الكتب المنزلة، قسَّم سور القرآن حسب ورودها في المصحف إلى أربعة أقسامٍ، كل قسمٍ منها يضمُّ مجموعةً من السور، وسورة لقمان من السور المثاني التي أوتيها النبي ﷺ مكان الإنجيل(١).

الحديث الثاني: عن البراء بن عازب ﷺ قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي بنا الظُّهرَ، فنسمَعُ منه الآيةَ بعد الآياتِ من سورة لقمانَ والذَّاريات»(٢).

تَظْهر مزيةُ سورة لقمان باختيار النبي ﷺ لها للقراءة في صلاة الظهر.

الحديث الثالث: عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ﷺ(٣) قال: قال لي النبي ﷺ: «مَن قَرَأَ سُورةَ لُقمَانَ كانَ لقمانُ رفيقًا لهُ يومَ القيامةِ، وأُعطِي منَ الحسناتِ عشْرًا بعدَدِ مَنْ عمل بالمعروف وعمل بالمنكر»(٤).

---

(١) سبق بيان معنى المثاني ص (٤٢).

(٢) سبق تخريجه في هامش(٤) ص(٣٩).

(٣) **هو**: أبو المنذر، ويكنى أبا الطفيل أيضًا، أُبَيُّ بن كَعْب بن قيس بن عبيد الأنصاري، سيّد القراء، شهد بدرًا والمشاهد كلها، قال له النبي ﷺ: «لِيَهْنِك العلم أبا المنذر»، وقال له: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك». اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة ٢٠هـ وقيل غير ذلك. انظر: أسد الغابة١٦٨/١، الإصابة ١٨٠/١.

(٤) هذا جزءٌ من حديث أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه الموضوع في فضائل سور القرآن ، وهو حديث طويل في بيان أجر قارئ القرآن سورةً سورةً، وفيه من الركاكة والغرابة والمبالغة شيءٌ كثيرٌ.

رواه الثعلبي في تفسيره ٣٠٩/٧، والواحدي في تفسيره الوسيط ٤٤٠/٣ وغيرهما.

قال العجلوني: ((ومجموع ذلك مفترًى وموضوعٌ بإجماع أهل الحديث)) كشف الخفاء ٤١٩/٢. وقال الشوكاني: ((ولا خلاف بين الحفاظ من أن حديث أبيّ بن كعب هذا موضوع، وقد اغتر به جماعةٌ من المفسرين فذكروه في تفاسيرهم كالثعلبي والواحدي والزمخشري، ولا جرمَ فليسوا من أهل هذا الشأن)) الفوائد المجموعة ص٢٩٦. وانظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢٤٠/١، اللآلىء المصنوعة للسيوطي ٢٢٧/١، وللاستزادة في الكلام عن هذا الحديث انظر بحث: حديث أبيّ بن كعب في فضائل السور وموقف المفسرين منه، د.ناصر المنيع، مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد السادس.

الحديث الرابع: عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ سورةَ لُقمانَ وتَبارَكَ كانتا له شَفِيعَتَيْن»[١] .

الحديث الخامس: عن النبي ﷺ قال: « يا عليُّ! مَن قرأ لُقمَانَ كان آمِنًا مِن شِدَّةِ يومِ القِيَامة، ومِن هَوْلِ الصِّراط»[٢].

هذا، وقد وقفتُ على أَثَرٍ ذُكِر في فضل هذه السورة في بعض كتب التفسير بلا إسنادٍ، ولا تخريجٍ، وهو:

◆ ما روي عن الزُّهْرِيِّ رحمه الله[٣] قوله: ((أكثروا قراءةَ سورة لقمان؛ فإنَّ فيها أعاجيب))[٤].

وبهذا يتبيَّن أنَّه لم يثبت حديثٌ صحيحٌ في فضلها على وجه الخصوص، سوى ما ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ قرأها في صلاة الظهر. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده محمد الغافقي في كتابه: لمحات الأنوار ٨٤٥/٢، منسوبًا لكتاب "الفائق في اللفظ الرائق" للقاضي أبي القاسم عبد المحسن التنيسي، أو منسوبًا لحديث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الخرقي السمسار، ولم أعثر عليه في غيره.

(٢) ذكره الفيروزآبادي في كتابه: بصائر ذوي التمييز (٣٧٢/١)، بلا سندٍ ولا عزْوٍ لمخرِّجه، لكنَّه حَكَم عليه بالضعف، ولم أعثر عليه في غيره.

(٣) **هو**: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرِيُّ، أول من دوَّن الحديث، تابعيٌّ وأحد أكابر الحفَّاظ والفقهاء، متَّفقٌ على جلالته وإتقانه، من مؤلفاته: كتاب المغازي. توفي سنة ١٢٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥، تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩، كشف الظنون١٤٦٠/٢.

(٤) انظره في: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٩١٢/٣، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة الحسني ٣٨١/٤، فتحُ البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان القنَّوجي ٣٠٥/١٠. وبعد بحثٍ طويل في كتب السنن والآثار والتفاسير لم أعثر عليه في غير هذه الكتب المذكورة.

المبحث الثالث

عدد آيات سورة لقمان، واختلاف العلماء في ذلك

وفيه مطلبان

المطلب الأول	طريق معرفة الآية، والخلاف في ذلك
المطلب الثاني	عدد آيات سورة لقمان، والخلاف في ذلك

المطلب الأول | طريق معرفة الآية، والخلاف في ذلك

وقع اختلاف بين العلماء في حصر عدد آيات[١] سور القرآن. وهذه القضية تكفَّل ببيانها العلماء المشتغلون بعلم الفواصل[٢].

طريق معرفة بداية الآية ونهايتها

للعلماء في ذلك قولان:

القول الأول: توقِيفيٌّ.

القول الثاني: منه ما هو توقِيفيٌّ، ومنه ما هو اجتهاديٌّ.

والراجح أنَّ ذلك توقيفيٌّ[٣].

والقول بالتوقيف لا يتعارض مع الخلاف الوارد في عدد آيات سور القرآن، فكلٌّ وَقَف عند حدود ما بَلَغه وعَلِمه.

---

(١) **الآية** لها اطلاقاتٌ في لسان اللغة على: **١**.المعجزة، **٢**.العلامة، **٣**.العِبْرة، **٤**.العَجَب، **٥**. الجماعة، **٦**.البرهان. انظر مادة (أ ي ا) في: لسان العرب ٥٦/١٤، المعجم الوسيط٣٥/١. وانظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص١٥٤، بصائر ذوي التمييز ٨٥/١ ، ٦٥/٢

والآية في الاصطلاح: هي الواحدة من المعدودات في السور. انظر: البرهان ٢٦٧/١، وقيل: طائفةٌ ذات مطلع ومقطع مندرجةٌ في سور القرآن. انظر: مناهل العرفان ٢٧٤/١.

(٢) **هو** علمٌ يبحث في أحوال آيات القرآن الكريم من حيث عدد الآيات في كلِّ سورةٍ، وما رأس الآية وما خاتمتها. انظر: مرشد الخلان إلى معرفة عدِّ آي القرآن لعبد الرزاق على إبراهيم موسى ص٣٠.

(٣) انظر: البرهان ٢٦٧/١، الإتقان ٤٣٢/٢-٤٣٣، قال أبو عمرو الداني – بعد أن ذكر السنن والآثار التي فيها ذكر الآي – : ((ففي هذه السنن والآثار... دليلٌ واضحٌ وشاهدٌ قاطعٌ على أنَّ ما بين أيدينا مما نقله إلينا علماؤنا عن سلفنا، من عدد الآي، ورؤوس الفواصل... على اختلاف ذلك واتفاقه، مسموعٌ من رسول الله ﷺ ومأخوذٌ عنه، وأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين تلقَّوا منه كذلك تلقيًّا كتلقِّيهم منه حروفَ القرآن واختلافَ القراءات سواء، ثم أدَّاه التابعون رحمة الله عليهم على نحو ذلك إلى الخالفين أداء، فنقله عنهم أهل الأمصار، وأدَّوه إلى الأمة، وسلكوا في نقله وأدائه الطريق التي سلكوها في نقل الحروف وأدائها من التمسك بالسماع، دون الاستنباط والاختراع)). البيان في عدِّ آي القرآن ص٣٩.

منشأ هذا الخلاف وأثره على النص القرآني

منشأ هذا الخلاف عائدٌ إلى اختلاف نظرهم في حال قراءة النبي ﷺ، فقد ورد أنَّه ﷺ كان يقف على رؤوس الآي؛ إعلامًا لأصحابه أنَّها رؤوسُ آي، فإذا علموا ذلك وصل ﷺ النبيُّ الآيةَ بما بعدها لتمام المعنى، فيَحسِب بعضهم أنَّ ما وقف عليه النبي ﷺ ليس بفاصلة، أو ربَّما لم يسمعْه ولم يبلغْه هذا الوقف، فيصِلُها بما بعدها، وبعضهم يعتبرها آيةً مستقلَّةً، فلا يصلها بما بعدها[١].

وليس لهذا الخلاف أثرٌ على النص القرآني بزيادةٍ أو نقصانٍ، فالنص القرآنيُّ واحدٌ لدى الجميع، ولكنهم اختلفوا في جملٍ وكلماتٍ وحروفٍ منه؛ فعدَّها بعضُهم آيةً، وجعلها الآخرون جزءًا من آيةٍ فلا تستقِلُّ برقمٍ معيَّنٍ.

فوائد معرفة عدد الآيات

ذكر العلماء كثيرًا من الفوائد المترتبة على معرفة عدد الآيات والفواصل، منها[٢]:

(١) يُحتاج لمعرفة عدد الآي في صحَّة الصلاة، فقد ذكر بعض الفقهاء فيمن لم يحفظ الفاتحة أنَّه يأتي بدلها بسبع آيات.

(٢) اعتبارُها في الخُطْبة، فإنه يجب فيها قراءة آيةٍ تامَّة عند بعضهم عند بعضهم.

(٣) اعتبارُها في قيام الليل، وكون هذه المعرفة سببًا لحصول الأجر الموعود به على عددٍ معيَّنٍ من الآيات.

(٤) معرفةُ الوقف المسنون، عند مَنْ يرى من العلماء بأنَّ الوقف على رؤوس الآي سُنَّةٌ.

والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: البرهان ٢٥٢/١ ، الإتقان ٤٣٣/٢ ، مناهل العرفان ٢٧٨/١ .

(٢) انظر: الإتقان ٤٥١/٢، الفرائد الحسان ومعه شرحه نفائس البيان لعبد الفتاح القاضي ص ٢٤-٢٥.

المطلب الثاني | عدد آيات سورة لقمان، والخلاف في ذلك

وقع اختلاف بين العلماء في عدد آيات سورة لقمان على قولين:

القول الأول: **ثلاثٌ وثلاثون آية**، وذلك في عدِّ أهل المدينة ومكة(١).

القول الثاني: **أربع وثلاثون آية**، في عدِّ أهل الكوفة والبصرة والشام(٢).

سبب اختلاف العلماء في ذلك:

وقع اختلافهم في العدد في آيتين:

الآية الأولى: قوله تبارك وتعالى في مطلع السورة: ﴿ الٓمٓ ﴾

– **فأهل الكوفة** عَدُّوها آيةً مستقلَّةً (٣).

---

(١) **عدد أهل المدينة** على ضربين، المدني الأول: ما رواه أهل الكوفة عنهم مرسلاً، ولم يُسمُّوا فيه أحدًا، والمدني الأخير: وهو منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع (١٢٧هـ) وصهره شيبة بن نصاح (١٣٠هـ).

أمَّا **عدد أهل مكَّة** فمنسوبٌ إلى مجاهد بن جبر (١٠٣هـ) وعبد الله بن كثير(١٢٠هـ). انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص٦٧، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي ص٢٣٧، جمال القراء للسخاوي ٤٩٢/٢.

(٢) **عدد أهل الكوفة** رواه حمزة الزيات (١٥٦هـ) بسنده إلى أبي عبد الرحمن السلمي (بعد٧٠هـ)، وأبو عبد الرحمن يسند بعضه إلى علي بن أبي طالب (٤٠هـ). ونسبه قومٌ إلى عبد الله بن مسعود (٣٢هـ) والأول أصح. انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص٦٩، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ص٢٣٦، جمال القراء للسخاوي ٤٩٣/٢.

و**عدد أهل البصرة** منسوبٌ إلى عاصم بن ميمون الجحدري (١٢٨هـ). انظر: البيان في عد آي القرآن ص٦٩، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ص ٢٤٠، جمال القراء للسخاوي ٤٩٤/٢.

أمَّا **عدد أهل الشام** فمنسوبٌ إلى يحي بن الحارث الذماري (١٤٥هـ)، وبعضهم يوقفه على عبد الله بن عامر اليحصبي (١١٨هـ). انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص٦٩، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ص ٢٤١، جمال القراء للسخاوي ٤٩٤/٢.

(٣) انظر: تنزيل القرآن وعدد آياته لابن زنجلة (مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد الثاني) ص٢٩٠، البيان في عدِّ

=

وبهذا صار عدد آيات السورة **أربعًا وثلاثين آيةً**.

وعلَّةُ عدِّها آيةً أمران[١]:

أحدهما: كونها من مُشَبَّهات الجملة المستقلة والكلام التام.

وثانيهما: مشاكلتها لما بعدها من رؤوس الآي.

– أما **أهل المدينة ومكة والشام والبصرة** فلم يعُدُّوها آيةً مستقلَّةً[٢]، بل هي وما بعدها آيةٌ واحدة: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾.

فصار عدد آيات السورة عندهم **ثلاثاً وثلاثين آيةً**.

وعلَّة عدم عدها آية أمران[٣]:

أحدهما: كونُها غير مشَبَّهة لما بعدها من الآي في القدر والطول، من حيث كونها صورةً منفردةً لا يختلط بها شيء، ولا يتصل بها كلام. ففارقت بذلك سائر الآي في كونهن جملة كَلِمٍ وعِدَّةَ صُورٍ.

وثانيهما: كون ما بعدها متعلِّقا بها من حيث قيل: إنَّها أقْسَامٌ وتنبيهٌ، ففائدتها فيما بعدها، وبذلك لا تكون رأس آيةٍ.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٤]

=

آي القرآن ص ٢٠٦، كتاب العدد لأبي القاسم الهذلي (مجلة الشريعة والقانون، العدد الخامس والعشرون) ص١١١، جمال القراء للسخاوي ٥٣٧/٢.

وقد عدَّ **أهل الكوفة** (الم) حيث وقعت آية، وكذا (المص) و(طه) و(كهيعص) و(طسم) و(يس) و(حم)، وعدوا (حم عسق) آيتين، ومن عداهم لم يعد شيئا من ذلك. انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص٩١، الإتقان ٤٤٩/٢

(١) انظر البيان في عدِّ آي القرآن ص ١١٣-١١٤، شرح المخللاتي على ناظمة الزهر ص ١٦٤-١٦٥ .

(٢) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص ٢٠٦، كتاب العدد لأبي القاسم الهذلي (مجلة الشريعة والقانون) ص١١١، جمال القراء للسخاوي ٥٣٧/٢ .

(٣) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص ١١٣-١١٤، شرح المخللاتي على ناظمة الزهر ص ١٦٤-١٦٥ .

(٤) سورة لقمان: من الآية ٣٢.

- عدّها **أهل الشام والبصرة** آيةً مستقلَّةً[١].

وبهذا صار عدد آيات السورة **أربعًا وثلاثين آية.**

وعلَّة عدِّها آية: انقطاع الكلام[٢].

- أما **أهل المدينة ومكة وأهل الكوفة** فلم يعُدُّوها آيةً مستقلَّةً[٣].

وبذلك صار عدد آيات السورة عند أهل المدينة ومكة **ثلاثًا وثلاثين آية.**

وأربعًا وثلاثين آية عند أهل الكوفة لأنهم عدّوا ﴿ الٓمٓ ﴾ آية.

وعلّة عدم عدِّها آيةً: عدم الموازنة[٤].

أيْ: عدم مطابقة أو مقاربة الفاصلة لوزن طرفيها مع الآية التي قبلها والتي بعدها.

الخلاصة:

عدد آيات السورة: قيل: ثلاثٌ وثلاثون آيةً، وقيل: أربعٌ وثلاثون آيةً.

وعدد كَلِمِها: خمسمائة وثمان وأربعون كلمة.

وعدد حروفها: ألفان ومئةٌ وعشرة أحرف[٥]. **والله تعالى أعلم.**

(١) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص(٢٠٦)، كتاب العدد لأبي القاسم الهذلي (مجلة الشريعة والقانون، العدد الخامس والعشرون) ص(١١١)، جمال القراء للسخاوي ٥٣٧/٢.

(٢) انظر: شرح المخللاتي ص(٢٥٧).

(٣) انظر: انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص(٢٠٦)، كتاب العدد لأبي القاسم الهذلي (مجلة الشريعة والقانون، العدد الخامس والعشرون) ص(١١١)، جمال القراء للسخاوي ٥٣٧/٢.

(٤) انظر: شرح المخللاتي ص(٢٥٧).

(٥) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن ص (٢٠٦).

المبحث الرابع

تاريخ نزول سورة لقمان

وفيه مطلبان

المطلب الأول	أهميَّة معرفة تاريخ نزول القرآن
المطلب الثاني	تاريخ نزول سورة لقمان وترتيبها

المطلب الأول	أهمِّيَّة معرفة تاريخ نزول القرآن

المدَّة الزمنيَّة لنزول القرآن

نزل القرآن الكريم مفرَّقًا على رسول الله ﷺ في عشرين أو بِضْعٍ وعشرين سنةً[(١)]، وترتيبه في النزول يختلف عن ترتيبه الذي استقرَّ عليه الأمر، والموجود بين أيدينا في المصحف، بَيْدَ أنَّ كلا الترتيبين لا يخرج عن كونه تنزيلاً من حكيمٍ حميدٍ.

أهميَّة معرفة تاريخ نزول الآيات

وإنَّ لمعرفة تاريخ نزول آيات القرآن الكريم وسوره أهمية كبيرة، فهو يفيد في[(٢)]:

- معرفة الناسخ والمنسوخ.
- وتاريخ التشريع الإسلامي.
- والتدرج الذي جاء به في الأحكام.
- كما أنه يُظْهِر مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم.

وجلُّ كتب علوم القرآن تطرَّقت لمبحث نزول القرآن على تفاوتٍ فيما بينها في تتبُّع تاريخ نزول السور. **والله تعالى أعلم.**

(١) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة ص ٤٦، البرهان ٢٢٨/١، الإتقان ٢٦٨/١.

(٢) انظر فوائد معرفة تاريخ النزول في: الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ص(٥٥٩)، دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل ص(٣٤).

المطلب الثاني	تاريخ نزول سورة لقمان وترتيبها

تاريخ نزول سورة لقمان وترتيبها من حيث النزول

نزلت **سورة لقمان** في العهد المكي[(١)]، **بعد** سورة الصافات **وقبل** سورة سبأ، ورد ذلك في عددٍ من الآثار التي ذكرت ترتيب نزول سور القرآن، وما نزل منها بمكة، وما نزل بالمدينة، أبرز هذه الآثار ما يأتي:

الأثر الأول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أولُ ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل منه بالمدينة، الأولَ فالأولَ، فكانت إذا نزلتْ فاتحةُ سورةٍ بمكة فكتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء. وكان أول ما أنزل من القرآن: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر ،ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كُورت، ثم سورة سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر وليال عشر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيتَ الذي يكذب، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوى، ثم عبس وتولى، ثم إنا أنزلناه في ليلة القدر، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم والتين والزيتون، ثم لإيلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق والقرآن، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص والقرآن، ثم الأعراف، ثم قل أوحي، ثم يس والقرآن، ثم الفرقان، ثم الملائكة[(٢)]، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس النمل، ثم طسم القصص، ثم بني إسرائيل[(٣)]، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، **ثم لقمان**، ثم

---

(١) ورد خلافٌ في نزول بعض آيات السورة، وسيأتي بيانُه بمشيئة الله في ص (٨٠).

(٢) وهي سورة فاطر. انظر: الإتقان ٢/٣٦١.

(٣) وهي سورة الإسراء. انظر: الإتقان ٢/٣٦٢.

سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن[١]، ثم حم السجدة[٢]، ثم حم عسق[٣]، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات ثم هل أتاك حديث الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل ثم إنا أرسلنا نوحا، ثم سورة إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم تنزيل السجدة، ثم الطور، ثم تبارك الملك، ثم الحاقة، ثم سأل سائل، ثم عم يتساءلون، ثم النازعات، ثم إذا السماء انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين. فهذا ما أنزل الله عز وجل بمكة، وهي خمس وثمانون سورةً))[٤].

ثم ذكر السور التي نزلت بالمدينة.

الأثر الثاني:

عن عِكْرمة[٥] والحسنِ بن أبي الحسن[٦] رحمهما الله قالا: ((أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ونون والقلم، والمزمل، والمدثر، وتبت يدا أبي لهب، وإذا الشمس كورت، وسبح اسم ربك الأعلى، والليل إذا يغشى، والفجر، والضحى، والانشراح ألم نشرح، والعصر، والعاديات، والكوثر، وألهاكم، وأرأيت، وقل يا أيها الكافرون، وأصحاب الفيل، والفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقل هو الله أحد، والنجم، وعبس وتولى، وإنا أنزلناه، والشمس

---

(١) وهي سورة غافر. انظر: الإتقان ٢/٣٦٢.

(٢) وهي سورة فصلت. انظر: الإتقان ٢/٣٦٢.

(٣) وهي سورة الشورى. انظر: البرهان ١/٢٦٩.

(٤) أخرجه ابن الضّريس في فضائل القرآن ص٣٣، باب فيما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة، وفي سنده عمر بن هارون الثقفي، وهو متروك. انظر: ديوان الضعفاء للذهبي ص٢٩٨، تقريب التهذيب ص٤١٧.

(٥) **هو**: أبو عبد الله عكرمة القرشي الهاشمي، مولى عبد الله بن عباس، تابعيٌّ ثقةٌ ثبْتٌ، عالم بالتفسير، اتُّهم في عقيدته وبرَّأه ابن حجر وغيره، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل بعد ذلك. انظر: طبقات ابن سعد ٥/٢٨٧، سير أعلام النبلاء ٥/١٢، تقريب التهذيب ص٣٩٧.

(٦) **هو**: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، تابعيٌّ إمامٌ ثقةٌ فقيهٌ فاضلٌ مشهورٌ، كان يُرسل ويدلِّس، عدَّه ابن حجر في المرتبة الثانية من مراتب التدليس، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، تقريب التهذيب ص١٦٠، تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ص٢٩.

وضحاها، والسماء ذات البروج، والتين والزيتون، ولإيلاف قريش، و القارعة، ولا أقسم بيوم القيامة، والهمزة، والمرسلات، وق والقرآن المجيد، ولا أقسم بهذا البلد، والسماء والطارق، واقتربت الساعة، وص والقرآن، والجن، ويس، والفرقان، والملائكة، وطه، والواقعة، وطسم[١]، وطس[٢]، وطسم[٣]، وبني إسرائيل، والتاسعة[٤]، وهود، ويوسف، وأصحاب الحجر، والأنعام، والصافات، **ولقمان**، وسبأ، والزمر، وحم المؤمن، وحم الدخان، وحم السجدة، وحم عسق، وحم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، والم السجدة، والطور، وتبارك الذي بيده الملك، والحاقة، وسأل سائل، وعم يتساءلون، والنازعات، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والروم، والعنكبوت))[٥].

ثم ذكر السور التي نزلت بالمدينة.

الأثر الثالث:

عن جابر بن زيد رحمه الله [٦] قال: ((أنزل على النبي ﷺ من القرآن أول ما أنزل بمكة: اقرأ

---

(١) وهي سورة الشعراء، كما عُرِف من سياق الأثر السابق واللاحق.

(٢) وهي سورة النمل، كما عُرِف من سياق الأثر السابق واللاحق.

(٣) وهي سورة القصص، كما عُرِف من سياق الأثر السابق واللاحق.

(٤) قال البيهقي: ((والتاسعة يريد سورة يونس)) دلائل النبوة ١٤٣/٧.

ونقل السيوطي هذا الأثر في الإتقان وذكر فيه "السابعة" مكان "التاسعة"، والذي يظهر – كما رجَّح مُحقِّقو الإتقان – أن "التاسعة" التي وردت في رواية البيهقي في دلائل النبوة، وفي رواية الداني في البيان هي تصحيف، والصحيح أنها "السابعة" بناء على عدِّ يونس السورة السابعة من السبع الطوال، كما أن هذا الاسم كان معروفًا لسورة يونس عند السلف. انظر: الإتقان للسيوطي تحقيق مركز الدراسات القرآنية (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) ٥٢/١– ٥٣.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١٤٢/٧-١٤٤، باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة، وصحَّح إسناده مرسلاً. وقد سقط من هذه الرواية ذكر **فاتحة الكتاب**، و**الأعراف**، و**مريم**.

(٦) **هو**: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، مشهور بكنيته تابعيٌّ ثقةٌ فقيهٌ، كان عالم أهل البصرة في زمانه، توفي

=

باسم ربك الذي خلق، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر ،ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كُورت، ثم سورة سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيتَ الذي يكذب بالدين، ثم قل يا أيها الكافرون، ثم ألم تر كيف فعل ربك، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوى، ثم عبس وتولى، ثم إنا أنزلناه، ثم والشمس وضحاها، ثم والسماء ذات البروج، ثم والتين، ثم لإيلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق والقرآن المجيد، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء و الطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص والقرآن، ثم الأعراف، ثم الجن، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم مريم، ثم طه، ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم طس النمل، ثم طسم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم التاسعة يعني يونس[1]، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، **ثم لقمان**، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم الزخرف، ثم حم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم والذاريات ثم هل أتاك حديث الغاشية، ثم الكهف، ثم حم عسق، ثم إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم النحل أربعين آية وبقيتها بالمدينة، ثم تنزيل السجدة، ثم إنا أرسلنا، ثم والطور، ثم المؤمنون، ثم تبارك الذي بيده الملك، ثم الحاقة، ثم سأل سائل، ثم عم يتساءلون، ثم والنازعات، ثم إذا السماء انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين. فذلك ما أنزل عليه ﷺ بمكة))[2].

ثم ذكر السور التي نزلت بالمدينة.

=

سنة ٩٣هـ، وقيل ١٠٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد ١٧٩/٧، سير أعلام النبلاء ٤٨١/٤، تقريب التهذيب ص١٣٦.

(١) انظر: هامش رقم (٤) ص(٦٢).

(٢) أخرجه أبو عمرو الداني في البيان في عدِّ آي القرآن ص١٣٦، أورد الأثر بإسناده عن جابر بن زيد، وقد حكم الدكتور عبد الرزاق حسين أحمد بصحة إسناده إلى جابر بن زيد بالمتابعة الواردة عند الجُعْبَرِيِّ في المفرد في معرفة العدد، ينظر المكي والمدني في القرآن الكريم ٢٧٣/١، ونقل السيوطي أثرًا عن الحارث بن أبيض رواه في جزئه بإسناده عن جابر بن زيد. انظر: الإتقان ١٦٧/١-١٦٨.

الأثر الرابع:

رواية الزُّهْريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في "تنزيل القرآن"، قال: ((هذا كتاب تنزيل القرآن، وما شاء الله أن يعلم الناسُ ما أُنزل بمكة، وما أُنزل منه بالمدينة: فأول ما أنزل الله بمكة: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم سورة نون، ثم يا أيها المزمل،ثم يا أيها المدثر ،ثم سورة تبت يدا أبي لهب ،ثم إذا الشمس كُورت، ثم سورة سبح اسم ربك، ثم سورة والليل إذا يغشى ، ثم سورة والفجر، ثم سورة والضحى، ثم سورة ألم نشرح، ثم سورة والعاديات، ثم سورة والعصر، ثم سورة إنا أعطيناك الكوثر، ثم سورة ألهاكم التكاثر، ثم سورة أرأيتَ، ثم سورة قل يا أيها الكافرون، ثم سورة الفيل، ثم سورة الفلق، ثم سورة الناس، ثم سورة الإخلاص، ثم سورة والنجم، ثم سورة عبس، ثم سورة إنا أنزلناه، ثم سورة والشمس وضُحاها، ثم سورة البروج، ثم سورة والتين والزيتون، ثم سورة لإيلاف،، ثم سورة القارعة ثم سورة لا أقسم بيوم القيامة، ثم سورة والمرسلات، ثم سورة الهُمَزة، ثم سورة ق، ثم سورة اقتربت الساعة، ثم سورة لا أقسم بهذا البلد، ثم سورة الطارق، ثم سورة ص، ثم سورة المص[1]، ثم سورة الجن، ثم سورة يس، ثم سورة الفرقان، ثم سورة فاطر ثم سورة كهيعص، ثم سورة طه، ثم سورة الواقعة، ثم سورة الشعراء، ثم سورة النمل، ثم سورة القصص، ثم سورة بني إسرائيل، ثم سورة يونس، ثم سورة هود، ثم سورة يوسف، ثم سورة الحجر، ثم سورة الأنعام، ثم سورة والصافات، **ثم سورة لقمان**، ثم سورة سبأ، ثم سورة الزمر، ثم سورة حم المؤمن، ثم سورة السجدة، ثم حم عسق، ثم حم الزخرف، ثم حم الدخان، ثم حم الجاثية، ثم حم الأحقاف، ثم والذاريات، ثم الغاشية، ثم سورة الكهف، ثم النحل، ثم سورة نوح، ثم سورة إبراهيم، ثم سورة الأنبياء، ثم سورة المؤمنون، ثم سورة تنزيل السجدة، ثم سورة الطور، ثم سورة الملك، ثم سورة الحاقة، ثم سورة سأل سائل، ثم سورة عم يتساءلون، ثم سورة النازعات، ثم سورة الانفطار، ثم سورة الانشقاق، ثم سورة الروم، ثم سورة العنكبوت، ثم سورة المطففين.

ثم يأتي ما أنزل بالمدينة. فعدد ما أنزل بمكة: خمس وثمانون سورة، وعدد ما أنزل بالمدينة: تسع وعشرون سورة))[2].

---

(١) وهي سورة الأعراف، كما عُرِف من سياق الآثار السابقة.

(٢) انظر: تنزيل القرآن للزهري، (مطبوع ضمن كتاب نصوص محققة في علوم القرآن، د. حاتم الضامن) ص٩٠.

ثم أخذ يذكر السور التي نزلت بالمدينة.

الخلاصة:

بالنظر إلى جملة هذه الآثار، وقراءتها عدًّا بحسب الترتيب، نجد أنَّ **سورة لقمان** هي **السورة السادسة والخمسون** من حيث **ترتيب النزول**.

ولكن من العلماء من وقف على بعض الروايات عن جابر بن زيد رحمه الله، وفيها ذِكْرٌ لسورة الفاتحة(١)؛ وباعتبار هذا الأثر يكون ترتيب **سورة لقمان السابع والخمسين**، والخطب في هذا سهلٌ بإذن الله(٢).

والمُلاحَظ أنَّ الروايات التي ذكرت سور القرآن على ترتيبها الزمني في النزول لا تخلو من علَّة؛ لذا لا يمكن الجزم يقينيًّا بزمن نزول سورة لقمان.

كما أنَّ نزولها لم يرتبط بحادثةٍ معيَّنةٍ ترشد إلى زمن نزولها تحديدًا، غاية ما يمكن قوله: إنَّ سورة لقمان نزلت في أواخر العهد المكي بعد نزول عددٍ كبير من السور القرآنية.

وممَّا يؤكِّد القول بمكِّيَّتِها الأمور الآتية(٣):

---

(١) من الملاحظ أنَّ الآثار السابقة الواردة في البحث لم تذكر سورة الفاتحة؛ لأنه مختلفٌ في نزولها، قيل: إنها نزلت بمكة، وقيل: بالمدينة، وقيل: بكلِّ مرَّةٍ. والأكثرون على أنَّها مكيَّةٌ. انظر: البرهان ١/١٩٣-١٩٥، الإتقان ١/٦٠- ٦٤.

(٢) نقل السيوطي أثرًا عن الحارث بن أبيض رواه في جزئه بإسناده عن جابر بن زيد، ذكر فيه سورة الفاتحة من أوائل السور المكيّة. انظر: الإتقان ١/١٦٧، وانظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ١٣٥.
وتجدر الإشارة هنا إلى وجود جهودٍ معاصرةٍ لتفسير القرآن الكريم بحسب نزول السور، مثل: **تفسير بيان المعاني** لعبد القادر ملا حويش، الناشر: مطبعة الترقي بدمشق، **والتفسير الحديث** لمحمد دروزة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية القاهرة، **ومعارج التفكر ودقائق التدبر** لعبدالرحمن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم بدمشق. واتَّفقتْ هذه المراجع المعاصرة على أنَّ ترتيب نزول سورة لقمان هو: **السابع والخمسون**.

(٣) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن د.عبدالله شحاته ٢/٥١٥، سورة لقمان بين حكمة التنزيل وتناسب الترتيب" د.محمد رأفت سعيد ص١٩.

(١) أنَّ الناس قد ألفوا القرآن واستمعوا إليه، ولكن اختلفت مواقفهم من القرآن الكريم، فمنهم من فتح قلبه له، وآمن به، وأفاد من توجيهاته، ومنهم من أعرض عنه، وكذَّب به، ومنهم من لم يكتفِ بالإعراض بل توجَّه بالسخرية والاستهزاء وإحداث اللغو ومحاولة التشويش على القرآن الكريم ومحاربة أتباعه.

وهذا هو المشهد الذي تصوّره لنا **مقدمة السورة**، يقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

(٢) أنَّ **آيات السورة** توحي لنا بالجو العام الذي نزلت فيه، من امتناع المشركين عن قبول الحق وجدالهم وعنادهم لحامل الرسالة ﷺ، يقول الله تعالى في ثنايا السورة: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

وجاءت **الآيات بعد ذلك** تسليةً للرسول ﷺ ولأصحابه بأن قدر الله نافذ، فليسلموا الأمر لله، ولا يحزنوا لإعراض من أعرض وكفر، فإنَّ مصير الخلائق إليه سبحانه ليجازي الجميع بما عمل: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

(٣) أنَّ **سورة لقمان** اشتملتْ على آياتٍ فيها أدلةٌ عقليةٌ وكونيةٌ؛ لإثبات الأصل العظيم في نفوس المخاطبين؛ وهو توحيد الله جلَّ جلاله، وإبطال المعتقدات الوثنية، وإفحام المشركين. وهذا أبرز خصائص القرآن المكي، ولم تخْلُ منه السورة ، يقول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.

هل نزلتْ هذه السورةُ جُملةً واحدةً أو أنها نزلتْ مُنَجَّمةً عبر أزمانٍ متفاوتةٍ؟

من خلال التأمل في أسلوب السورة وترابط فقراتها، يمكن القول بأنها نزلتْ دفعةً واحدةً أو مقاطع متتابعة، ما خلا بعض آياتها، ففي تاريخ نزولها خلافٌ[١].

ترتيب سورة لقمان بحسب الترتيب المصحفي

عدد سور القرآن الكريم مائةٌ وأربعَ عشْرةَ سورةً، وهو الَّذى انعقد عليه إجماع الأَئمة، واتَّفق عليه المسلمون كافَّةً.

ولا معرج على مَنْ عدَّها مائةً وستَّ عشْرةَ سورةً، أو مائةً وثلاثَ عشْرةَ سورةً، بجعل الأَنفال وبراءَة سورةً واحدةً، أو بجعل سورتَيْ الفيل وقريش سورةً واحدةً، أو بجعل المعوِّذتين سورةً واحدةً. كلُّ هذه أقوالٌ شاذَّةٌ مخالفةٌ للمصاحف التي بعث بها عثمانُ ﷺ إلى الأمصار[٢].

---

(١) انظر: التفسير الحديث لمحمد دروزة ٤/٢٤٠. وسيأتي بيانه بمشيئة الله ص (٨٠).

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ١/ ٩٧.

◀فعلى هذا يكون ترتيب سورة لقمان في المصحف السورة: **الواحدة والثلاثين**، **بعد** سورة الروم، **وقبل** سورة السجدة.

◀وقد سبق العلم بأنَّ سورة لقمان هي: **السابعة والخمسون** من حيث **ترتيب نزول السور**[1]. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: ص (٦٥).

الفصل الثاني

مكيّ السورة ومدنيّها، ومناسبتها لما قبلها، ووجه اختصاصها بما اختصت به

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

مكيّ السورة ومدنيّها

وفيه مطلبان

المطلب الأول	المراد بالمكي والمدني، وطريق وفوائد معرفتهما
المطلب الثاني	المكي والمدني في سورة لقمان

المطلب الأول

المراد بالمكي والمدني، وطريق وفوائد معرفتهما

وفيه ثلاثة فروع

الفرع الأول	المراد بالمكي والمدني
الفرع الثاني	طريق معرفة المكي والمدني
الفرع الثالث	فوائد معرفة المكي والمدني

الفرع الأول	المراد بالمكي والمدني

من علوم القرآن الجليلة علم المكي والمدني.

• قال ابن حبيب رحمه الله [١]: ((من أشرف علوم القرآن علمُ نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً، ووسطًا، وانتهاءً ...)) إلى أن قال: ((فهذه خمسةٌ وعشرون وجهًا، من لم يعرفها، ويميِّز بينها، لم يحلَّ له أن يتكلم في كتاب الله عزَّ وجلَّ))[٢].

المراد بالمكي والمدني

للعلماء في تعيين المراد بالمكي والمدني ثلاثة اصطلاحات، بُنِيَ كلُّ مصطلحٍ منها على اعتبارٍ خاصٍّ[٣]:

الاصطلاح الأول: باعتبار زمن النزول

فالمكي: ما نزل قبل الهجرة النبوية، وإنْ نزل بغير مكة.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة، وإنْ نزل بغير المدينة.

الاصطلاح الثاني: باعتبار مكان النزول

فالمكي: ما نزل بمكة وما جاورها، كمِنى وعرفات والحديبية.

والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كبَدْرٍ وأُحُدٍ.

---

(١) **هو**: أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب النيسابوري، الواعظ، المفسِّر، كان أديبًا نحويًا عارفًا بالمغازي والقصص والسير، صنَّف في القراءات والتفسير والآداب، توفي سنة ٤٠٦هـ . انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص٣٤، طبقات المفسرين للأدنه وي ص٩٧-٩٨.

(٢) التنزيل وترتيبه ق٢٢٢/أ-ب (نسخة مخطوطة بالجامعة الإسلامية برقم ٩٦٥). وانظر: البرهان ١٩٢/١، الإتقان ٤٣/١.

(٣) انظر: البرهان ١٨٧/١، الإتقان ٤٥/١-٤٦، مناهل العرفان ١٥٩/١-١٦٠، مباحث في علوم القرآن للقطان ص٥٦-٥٧، المكي والمدني في القرآن الكريم د. محمد الشايع ص ٧-١٧.

الاصطلاح الثالث: باعتبار المخاطَب

فالمكي: ما كان خطابًا لأهل مكة.

والمدني: ما كان خطابًا لأهل المدينة.

والقول الذي اشتُهر ترجيحه عند المفسرين وعلماء القرآن هو **القول الأول**، وهو تحديد مكيِّ القرآن ومدنيِّه بالنظر إلى زمن الهجرة النبوية؛ وذلك لأمورٍ، منها[١]:

- لحصر هذا الاصطلاح وضبْطه واطِّراده.
- أنه الأقرب إلى فهم الصحابة رضي الله عنهم حيث إنهم عدوا من المدني سورة التوبة، وسورة الفتح وسورة المنافقون، ولم تنزل كلُّ آياتها بالمدينة.
- أنَّه الاصطلاح الذي درج عليه الأكثرون من الباحثين في علوم القرآن قديمًا وحديثًا.
- أنَّ الفائدة البارزة التي ذكرها العلماء من معرفة المكي والمدني - وهي معرفة الناسخ والمنسوخ -لا تظهر إلَّا إذا كان القول الأول هو المراد بالمكي والمدني.

فعلى هذا يكون قوله جلَّ وعلا: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾[٢] من القسم المدني، وإنْ كانت قد نزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع بعرفة، كما ثبت عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، «نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم جمعة»[٣]. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: المكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين أحمد ١/٤٣-٤٧، ١١٤، دراسات في علوم القرآن الكريم أ.د. فهد الرومي ص١٢٩.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٣.

(٣) أخرجه البخاري ١/٢٥ كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (٤٥) ورقم (٤٧٧٧)، ومسلم ١/٣٩ - واللفظ له - في أوائل كتاب التفسير برقم (٣٠١٧).

الفرع الثاني | طريق معرفة المكي والمدني

لم يرد بيانٌ عن النبي ﷺ في تحديد المكي والمدني من السور والآيات؛ وذلك لأنَّ المسلمين في زمانه لم تظهر لهم حاجةٌ إلى هذا البيان؛ فهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه، وأسباب نزوله عيانًا(١).

ويذكر الكاتبون في علوم القرآن أنَّ معرفة المكي والمدني يكون بأحد طريقين(٢):

الطريق الأول: النقل والسماع عن الصحابة رضي الله عنهم الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، فأهل التنزيل هم العالمون بوقائعه وأحواله وأزمانه. والآثار المنقولة عنهم ممَّا يميِّز بعض المكيِّ أو بعض المدنيِّ عديدة.

فإنْ لم يوجد الخبر عنهم بذلك، وثبت النقل عن التابعين، فلا بأس من اعتماد قولهم فيه إنْ سلم من المعارض الأصحِّ، ولا سيَّما فيما تلقَّوه عن الصحابة رضي الله عنهم.

الطريق الثاني: الاجتهاد والقياس عند عدم النَّقل، وذلك بتمييز خصائص المكِّيِّ والمدنيِّ وإلحاق ما لم يرد النقل به أنَّه مكيٌّ أو مدنيٌّ، بجامع تلك الخصائص.

خصائص المكِّي والمدني:

ذكر العلماء خصائص يُعرف بها سمات الآيات المكيَّة والآيات المدنيَّة، وهي أشبه ما تكون بمثابة ضوابط للترجيح عند وقوع الاختلاف في التمييز بينهما(٣):

---

(١) انظر: الإتقان ٤٧/١، مناهل العرفان ١٦١/١.

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/ ١٦١، المحرر في علوم القرآن د. مساعد الطيار ص١١٢، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع ص٥٨، المكي والمدني في القرآن الكريم د. محمد الشايع ص ١٨-٢١.

(٣) انظر: البرهان ١/ ١٨٨، الإتقان ١/ ٤٧، مباحث في علوم القرآن للقطان ص٥٨-٥٩ مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح ص١٨١، المكي والمدني في القرآن الكريم لعبد الرزاق حسين ١٦٨/١-١٧٤، المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع ص٥٨-٥٩.

خصائص المكي:

١ - الدعوة إلى أصول الإيمان، التوحيد، وإثبات الرسالة واليوم الآخر، وذكر الوعد والوعيد، وجدال المشركين بالبراهين العقليَّة والآيات الكونيَّة.

٢ - وضع القواعد العامَّة للتَّشريع في الحلال والحرام، والتركيز على تثبيت مكارم الأخلاق، وإبطال ما ينافيها من مساوئ الأخلاق ممَّا كان يفعله أهل الجاهليَّة.

٣ - ذكر قصص الأنبياء والأمم السالفة للعبرة والقياس، وتثبيت النبيِّ ﷺ والمؤمنين.

٤ - قصر الفواصل بين الآي، مع قوّة الوقع في الألفاظ، والإيجاز في العبارة.

خصائص المدني:

١ - التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والحروب والمعاهدات.

٢ - التركيز على دعوة أهل الكتاب وشرح أحوالهم ومناقشتهم وبيان ضلالهم، حيث كانوا يوجدون في مجتمع المدينة بعد الهجرة.

٣ - الكشف عن حقيقة النفاق وشرح صفات المنافقين وأحوالهم.

٤ - سلوك الإطناب والتطويل في آياته، وسهولة ألفاظها، بما يتناسب مع الشّرح والبيان لشرائع الإسلام. **والله تعالى أعلم.**

۞ ۞ ۞

الفرع الثالث | فوائد معرفة المكي والمدني

ذكر العلماء جُملةً من الفوائد المترتِّبة على معرفة المكي والمدني، منها[١]:

(١) تمييز الناسخ من المنسوخ، فالمتأخر ناسخٌ للمتقدِّم، إذا عارضه، ولم يمكن التوفيق. وهذه الفائدة تقوِّي رأي القائلين في تحديد المكيِّ والمدنيِّ بزمن هجرة النبيِّ ﷺ، فإنَّ من شرط النسخ العلم بالزمن المتقدِّم والمتأخِّر، فالمكيُّ ينسخ المدنيَّ.

(٢) ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته، حيث يتدرَّج شيئًا فشيئًا بحسب الأهمِّ على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ.

(٣) ظهور بلاغة القران في أعلى مراتبها، حيث يخاطب كلُّ قومٍ بما تقتضيه حالهم من قوةٍ وشدَّةٍ، أو لينٍ وسهولةٍ، وإيجازٍ أو إطنابٍ.

(٤) وبمعرفة التدرج في التشريع، وبلاغة القرآن في الخطاب في العهدين المكي والمدني تظهر فائدةٌ جليلةٌ في تربية الدعاة إلى الله إلى اتباع منهج القرآن في الأسلوب والموضوع.

(٥) الاستعانة بالمكي والمدني في تفسير القرآن الكريم. فإنَّ معرفة مكان النزول يُعين على فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها، وما يرد فيها من إشاراتٍ أحيانًا.

(٦) بيان عناية المسلمين العناية التامَّة بالقرآن الكريم واهتمامهم به، فإنَّهم لم يكتفوا بمجرَّد حفظ النصِّ القرآني، بل تتبَّعوا مكان نزوله، وما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالليل وما نزل بالنهار، وما نزل صيفًا وما نزل شتاءً، ويتبع هذا الاقتداء بهم في دراسة القرآن وعلومه. **والله تعالى أعلم.**

---

(١) انظر: البرهان ١٨٧/١، مناهل العرفان ١٦١/١، أصول التفسير لابن عثيمين ص١٦، مباحث في علوم القرآن للقطان ص٥٤، دراسات في علوم القرآن الكريم أ.د. فهد الرومي ص١٣٣.

المطلب الثاني

المكي والمدني في سورة لقمان

وفيه فرعان

الفرع الأول	سورة لقمان مكيّةٌ في الجملة
الفرع الثاني	الخلاف في مدنيَّة بعض آياتها

الفرع الأول	سورة لقمان مكيّةٌ في الجملة

سبَقَ الحديث عن تاريخ نزول سورة لقمان[١]. ويمكن البناء عليه أنَّ هذه السورة مكيَّةٌ.

الدلائل المثبتة لمكيَّة سورة لقمان من حيث الجملة:

أولا: الآثار التي تحدثت عن تاريخ وترتيب نزول السُّوَر، وبيان مكيِّها ومدنيِّها، فقد اتَّفقتْ على عدِّ سورة لقمان من السور المكيَّة[٢].

ثانيًا: الآثار التي عدَّدت المكيَّ والمدنيَّ في القرآن الكريم دون إشارة إلى تاريخ النزول، كذلك اتَّفقتْ على كون سورة لقمان من السور المكيَّة.

ومن هذه الآثار:

❖ما رُويَ عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] قال: ((نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والتغابن، والطلاق، و(يا أيها النبي لم تُحَرِّم) إلى رأس العشر، و(إذا زلزلت)، و(إذا جاء نصر الله)، هؤلاء السور نزلن بالمدينة، وسائر القرآن نزل بمكة))[٤].

ثالثا: ما رُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((أُنزِلتْ سُورة لقمانَ بمكَّة))[٥].

---

(١) انظر مبحثه: ص (٦٠).

(٢) انظرها في: ص(٦٠-٦٤).

(٣) **هو**: أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقةٌ ثبْتٌ حافظٌ، توفي سنة ١٠٠ وبضع عشرة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥، تقريب التهذيب ص٤٥٣.

(٤) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠٠/١، والسيوطي في الإتقان ٥٧/١، جميعهم عن ابن الأنباري بسنده إلى قتادة، وإسناده صحيح، لكنه مرسل، كما حكم عليه محققو كتاب ''الإتقان'' (مركز الدراسات القرآنية) بمجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٥) سبق تخريجه في هامش (٥) ص (٣٩).

رابعًا: نقل بعض العلماء **الاتفاق** على كون هذه السورة في عداد السور المكيَّة[١].

خامسًا: بالنظر إلى الاصطلاحات الثلاثة التي ذكرها العلماء في المراد بالمكيِّ والمدنيِّ[٢]، يمكن القول:

إنَّ **سورة لقمان سورة مكية** باجتماع هذه الاعتبارات فيها:

- فهي من حيث زمن النزول نزلت قبل الهجرة.
- ومن حيث مكان النزول نزلت في مكة.
- ومن حيث المخاطَب كان المخاطَب فيها أهل مكة.

كما أنَّ السورة تحمل الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسور المكيَّة.

---

(١) قال أبو الحسن بنُ الحصَّار رحمه الله: ((المدني **باتفاقٍ** عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي **باتفاقٍ**)) ثمَّ نَظَم في ذلك أبياتًا، وجعل سورة لقمان من ضمن السور المكيَّة باتفاق. نقله عنه السيوطي في: الإتقان ١/٥٧.

(٢) انظرها في: ص(٧٢-٧٣).

الفرع الثاني | الخلاف في مدنيَّة بعض آياتها

هل جميعُ آيات سورة لقمان مكيَّة أو وقع خلاف في بعض آياتها؟

في المسألة قولان:

القول الأول: جميع آيات السورة مكيَّة.

وهذا قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما كما مرَّ في الأثر السابق(١)، وهو قول جُملة من المفسرين(٢).

القول الثاني: توجد آياتٌ مدنيَّةٌ في هذه السورة، وهي:

أ) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

نُسِب القول بمدنيَّة هذه الآية إلى الحسن البصري رحمه الله(٣).

علَّة الحُكم عليها بالمدنيَّة: أنَّ وجوب الصلاة والزكاة كان في المدينة.

مناقشة هذا القول: هذا القول ضعيف، وغير مسلَّمٍ به؛ لأنَّ الصلاة فرضت بمكة، وهو المشهور، وقد استفاضت الروايات المخبِرة عن ذلك منها حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان يصلِّي عند البيتِ، وأبو جَهْلٍ وأصحابٌ له جلوسٌ ... »(٤).

---

(١) انظره: ص (٧٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٧٢/٣، النكت والعيون ٣٢٦/٤، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٤٤٠/٣، معالم التنزيل ٢٨٣/٦، زاد المسير ٣١٤/٦، لباب التأويل ٣٩٦/٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥/١١، اللباب في علوم الكتاب ٤٣٥/١٥، تفسير القاسمي ٤٧٩٢/١٣، التحرير والتنوير ١٣٧/٢١، تيسير الكريم الرحمن ص٦٤٦.

(٣) انظر: النكت والعيون ٣٢٦/٤، زاد المسير ٣١٤/٦، مفاتيح الغيب ١٤٠/٢٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي٢١٢/٤.

(٤) أخرجه البخاري ١/ ٩٤، برقم (٢٣٧)، كتاب الوضوء، باب إذا ألقيَ على ظهر المصلي قذَر أو جيفة، لم تفسُد عليه صلاته.

كما أنَّ حادثة الإسراء التي فُرضت فيها الصلاة وقعت في العهد المكي.

أمَّا الزكاة فالحديثُ عنها ليس دليلاً على مدنيَّة الآية؛ صحيحٌ أنَّ الزكاة فرضت بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة، لكن التي فُرضت إنَّما هي ذات النُّصُب والمقادير الخاصة، أمَّا أصل الزكاة وتشريعها فقد كان بمكة، والمراد بها مُطلق إخراج المال على سبيل البذل والعطاء.

وإطلاق الزكاة على الصدقة مشهورٌ في القرآن، وفي القرآن المكي العديد من الآيات التي تحدثت عن الزكاة، كقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾[1].

لذا **يترجَّح** القولُ بمكيَّة هذه الآية. والله تعالى أعلم.

ب) قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

نُسب القول بمدنيَّة هذه الآيات (٢٧-٢٩) إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ونُسب القول بمدنية الآيتين (٢٧-٢٨) إلى عطاء[2] وقتادة[3] رحمهما الله.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٨/١٠، روح المعاني ٦٤/٢١، التحرير والتنوير ٥/١٨-٦. وقال السيوطي: ((قال ابن الحصَّار: ذكر الله الزكاة في السور المكيَّات كثيرًا تصريحًا وتعريضًا بأن الله سينجز وعده لرسوله، ويُقيم دينه ويُظهره حتى تُفرضَ الصلاة والزكاة وسائر الشرائع، ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا خلاف)) الإتقان (٢٤٠/١). **وقيل**: إن الزكاة بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأخلاق، وهذا خلاف المشهور في الزكاة المقرونة بالصلاة، ويبعده تعليق الإيتاء بها. انظر: روح المعاني ١٥٦/١٩.

(٢) **هو**: أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، توفي سنة ٩٤هـ، انظر: تاريخ الإسلام ١٠٤/٣، تقريب التهذيب ص٣٩٢.

(٣) انظر: جامع البيان ٥٧٣/١٨، النكت والعيون ٣٢٦/٤، المحرر الوجيز ٤٠/٧، زاد المسير ٣١٤/٦، الجامع لأحكام القرآن ٤٥٥/١٦، التسهيل لعلوم التنزيل ١٣٧/٢، تفسير البحر المحيط ١٧٨/٧، التحرير والتنوير ١٣٧/١٢-١٣٨، البيان في عد آي القرآن ص٢٠٦، الإتقان ٤٩/١.

علَّة الحكم على هذه الآيات بالمدنيَّة:

ما رُويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما استثناؤه هذه الآيات من هذه السورة المكيّة حيث قال: ((سورة لقمان نزلت بمكة فهي مكية سوى ثلاث آياتٍ منها نزلْنَ بالمدينة؛ وذلك أنَّه لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتته أحبار يهود فقالوا: يا محمد بلغنا أنك تقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] أفعَنَيْتنا أم عنيتَ غيرنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «عنيتُ الجميع»، فقالت له اليهود: يا محمد، أو ما تعلم أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى ﷺ، وخلفها موسى عليه السلام فينا ومعنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «التوراةُ وما فيها من الأنباء قليلٌ في علم الله تعالى» فأنزل الله عز وجل بالمدينة ثلاث آيات، وهن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ إلى تمام الثلاث آيات))[2].

مناقشة هذا الرأي: يمكن مناقشة هذا الرأي من **ثلاثة وجوه**:

الوجه الأول: إسناد هذه الرواية مختلفٌ فيه ما بين تضعيفٍ وتحسينٍ.

الوجه الثاني: ورود آثارٍ وأقوالٍ في سبب نزول هذه الآية تدلُّ على أنَّ نزولها كان بمكة. منها:

- قول قتادة رحمه الله: ((قال المشركون إنَّما هذا كلام يوشك أن ينفد؛ فنزل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا

---

(١) سورة الإسراء، من الآية ٨٥.

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٥٧٩/٢، وأخرج ابن اسحاق بعضه في سيرته (٢٠٤/١) من طريق آخر بإسناد فيه مجهول، وكذلك الطبري في تفسيره ٥٧٢/١٨. وانظر: بحر العلوم ٢٦/٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٧٣٦/٩، النكت والعيون ٣٤٤/٤، معالم التنزيل ٢٩٢/٦، الدر المنثور ٦٥٦/١١ ونسبه السيوطي إلى ابن اسحاق وابن أبي حاتم، كما أورده مُختصرًا دون ذكر سبب النزول في الإتقان (٤٨/١)، ثم قال: ((وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين)) وتعقَّب عليه محققو كتاب الإتقان: بأنَّ إسناده لا يقلُّ عن درجة الحسن؛ لأنَّ رجاله ما بين ثقةٍ وصدوقٍ، أمَّا قول السيوطي رحمه الله "رجاله كلهم ثقات" ففيه نظر. انظر كتاب: المكي والمدني للدكتور محمد الفالح ص ٢١٧-٢١٨.

فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ الآية))[١].

– وقول السُّدِّي رحمه الله[٢]: ((قالت قريش: ما أكثر كلام محمد، فنزلت))[٣].

وتوفيقًا بين هذا الروايات يمكن القول بأنَّه لا يبعد أن تكون المجادلة اليهودية تمَّت بتلقينٍ يهوديٍّ لوفدٍ من قريش، وقد كانت قريش تفد إلى المدينة، إما قصْدًا لملاقاة اليهود، أو عرَضًا وهم في طريق تجارتهم نحو الشام، فكان سؤال المشركين للنبي ﷺ بإيعازٍ من اليهود. وقد كان المشركون يحاولون بائسين يائسين إفحام النبيِّ ﷺ ومحاجَّته، وإظهار التناقض فيما يتلوه؛ حتى يصدُّوا الناس عن اتباع دعوته[٤]، ولهذا قال ابن عاشور رحمه الله: ((وهذا أقرب للتوفيق بين الأقوال))[٥].

ويبدو مَيْلٌ لابن كثيرٍ رحمه الله إلى كون الآية مكيَّةً، فقد قال بعد أن ذكر ما ورد في سبب نزول الآية: ((وهذا يقتضي أنَّ هذه الآية مدنية لا مكية، والمشهور أنَّها مكية))[٦] .

الوجه الثالث: النظر في نظيرة هذه الآية من كتاب الله، فقد قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (١٠٦/٢)، وإسناده صحيح إلى قتادة لكنه مرسل. وانظر: تفسير الطبري ٥٧٢/١٨، بحر العلوم ٢٦/٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٧٣٦/٩، النكت والعيون ٣٤٤/٤، معالم التنزيل ٢٩٢/٦، التسهيل لعلوم التنزيل ١٣٩/٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٧/١١، اللباب في علوم الكتاب ٤٥٧/١٥، لباب النقول ص١٨٥. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٨/١١) بنسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم و أبي الشيخ في كتاب "العظمة" وأبي النصر السِّجْزي في "الإبانة".

(٢) **هو**: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي الكبير، الكوفي الأعور، إمام، مفسِّر، قال النسائي: صالح الحديث، وقال يحيى بن سعيد القطان: لا بأس به، وقال ابن حجر: صدوق يهم ورميَ بالتشيع، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥، تقريب التهذيب ص١٠٨، طبقات المفسرين للداودي ١١٠/١.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٥٨/٧، الجامع لأحكام القرآن ٤٩٠/١٦، فتح القدير ٣١٩/٤، التحرير والتنوير ١٨١/٢١. ولم أقف على سندٍ لهذا الأثر.

(٤) انظر: معالم التنزيل ٢٩٢/٦، الكشاف ٢٢/٥، أنوار التنزيل ٢١٦/٤، التحرير والتنوير ١٣٨/١٢.

(٥) التحرير والتنوير ١٣٨/١٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٨/١١.

مَدَدًا ﴾ وهذه الآية مكيَّة[١] وتضمَّنتْ ما تضمَّنته آية سورة لقمان من المعاني.

لهذه الوجوه **يترجَّح** القول بأنَّ هذه الآيات (٢٧-٢٩) من سورة لقمان آياتٌ مكيَّةٌ.

وممَّا يُعضِّد هذا الاختيار - إضافةً لما ذُكر - أنَّ الأصل عدم إدخال الآية المدنيَّة في السور المكيَّة، ولا إدخال الآية المكيَّة في السور المدنية، فالسور المكيَّة يُحكم بمكيَّة جميع آياتها، وكذا السور المدنية يُحكم بمدنيَّة جميع آياتها، ولا يُعدل عن هذا الأصل إلا بدليل صحيح صريح، فالتعويل في هذه المسألة على صِحَّة الرواية، وأحيانًا يوجد في كتب التفسير سورٌ مكيَّةٌ، اسْتُثني منها آياتٌ على أنها مدنيَّة، ويكون هذا الاستثناء لأسبابٍ غير وجيهةٍ.

ومسألة وجود آياتٍ مدنيَّةٍ قليلةٍ في تضاعيف سورةٍ شُهِرتْ بمكِّيتها، أو وجودِ آياتٍ مدنيَّةٍ قليلةٍ في تضاعيف سورةٍ شُهِرتْ بمدنيَّتها، مسألةٌ جديرةٌ بالفحص والبحث، ودراسة الروايات الواردة فيها[٢].

وأمَّا ما قيل في سبب نزول هذه الآية من أنَّها كانت في المدينة، **فيُجاب عنه:**

بأنَّ بعض الصحابة أحيانا قد تشتبه التّلاوة عندهم بالنزول، فالنبي ﷺ قد يقرأ بعض

---

(١) سورة الكهف مكية كلها، ونقل **الاتفاق** على ذلك جمعٌ من المفسرين كابن عطية في المحرر الوجيز ٥٦١/٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٣، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢١١/٩. وورد في سبب نزولها ما يشبه سبب نزول آية سورة لقمان؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسألُ هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قالوا: أوتينا علما كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾إلى آخر الآية. أخرجه الترمذي ٣٠٤/٥، برقم (٣١٤٠)، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل. وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه النسائي في الكبرى ٣٩٢/٦ برقم (١١٣١٤)، كتاب التفسير، وأحمد في مسنده ٤/ ١٥٤، حديث رقم (٢٣٠٩). وصحّحه الألباني في: صحيح وضعيف الترمذي برقم (٣١٤١).

(٢) هذا رأيٌ له وجاهته، ذكره بعض العلماء المعاصرين، كالشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار ٢٣٧/٧، والشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في تفسير سورة البقرة ٧٢/١، والدكتور فضل عباس حفظه الله في كتابه إتقان البرهان ٣٨٠/١.

الآيات متذكِّراً لها، فيظنُّها أحدهم نازلةً ساعتئذٍ حيث لم يكن سمعها قبل، فيطلق النزول على التلاوة[١].

ومنخول القول في مكيِّ آيات سورة لقمان ومدنيِّها:

أنَّ سورة لقمان **سورةٌ مكيَّةٌ بأكملها**، ولم يصحَّ ما وقع في بعض آياتها من استثناءٍ. **والله تعالى أعلم**.

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٨٠/١٦)، ذكر ذلك تعليقًا على سبب نزول وارد في سورة طه ثم قال: ((ولهذا نظائر كثيرة في المرويات في أسباب النزول كما علمته غير مرة)).

المبحث الثاني

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

وفيه مطلبان

المطلب الأول	معنى المناسبة، وحكمها، وفائدتها
المطلب الثاني	مناسبة سورة لقمان لما قبلها وما بعدها

المطلب الأول

معنى المناسبة، وحكمها، وفائدتها

وفيه ثلاثة فروع

الفرع الأول	معنى المناسبة
الفرع الثاني	حكم المناسبة وموقف العلماء منها
الفرع الثالث	فائدة معرفة المناسبة

الفرع الأول	معنى المناسبة

توطئة

من المعلوم أن ترتيب سور القرآن الكريم وآياته في المصحف يختلف عن ترتيبها من حيث النزول، فالقرآن "في **ترتيبه النزولي** منهج لتأسيس دعوةٍ، وأسلوب إقناعٍ بعقيدةٍ، وطريقة تبشيرٍ وإنذارٍ، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في **ترتيبه المصحفي** أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه"(١).

ترتيب السور توقيفي أم اجتهادي ؟

اختلف العلماء في مسألة ترتيب سور القرآن في المصحف، أكان توقيفيًا من النبي ﷺ أم اجتهاديًا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه بتوقيف من النبي ﷺ.

القول الثاني: أنه باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم.

القول الثالث: أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي ﷺ، وبعضه باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم.

ولعل **الرأي الراجح** – والله أعلم بالصواب – القول الأول وهو أن ترتيب السور تم بتوقيف من النبي ﷺ.

- يؤكد هذا الترجيح قول الإمام البغوي رحمه الله(٢) في معرض حديثه عن جمع الصحابة

---

(١) مقتبسٌ من مقدمة المحقق عبد القادر عطا لكتاب تناسق الدرر للسيوطي ص ١٣-١٤.

(٢) **هو**: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي، يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السنة وركن الدين، ونسبته إلى بُغا قرية بين هراة ومرو،كان إمامًا في التفسير والحديث والفقه، من تصانيفه: معالم التنزيل (في التفسير)، وشرح السنة (في الحديث)، والتهذيب (في الفقه)، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٨١/١، طبقات المفسرين للأدنه وي ١٥٨/١.

للقرآن: ((فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا – ثم قال– فإن القرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحِفنا، أنزله الله تعالى جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[١] وقال الله عز وجل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[٢]، ثم كان ينزله مفرَّقًا على رسوله ﷺ مدةَ حياتِه عند الحاجة، وحدوث ما يشاء الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[٣] فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة، وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببًا لبقاءِ القرآن في الأمة؛ رحمةً من الله عز وجل على عباده، وتحقيقًا لوعده في حفظه، كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٤]))[٥] .

• وللألوسي رحمه الله [٦] كلامٌ نفيسٌ في ترجيح التوقيف في ترتيب السور فيقول: ((والذي ينشرح له صدر هذا الفقير، هو ما انشرحت له صدور الجمْع الغفير، من أنَّ ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن، وحاشا أن يُهمِل صلى اللّه تعالى عليه وسلم أمرَ القرآن، وهو نور نبوَّته وبرهان شريعته، فلا بدَّ إمَّا من التصريح بمواضع الآي والسور، وإمَّا من الرمز إليهم بذلك، وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب، وعدولهم عما كان أوَّلاً من بعضهم على غيره من الأساليب – وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ، ولا يصدُّهم عن اتباع الحق لوم

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٨٥.

(٢) سورة القدر: آية ١.

(٣) سورة الإسراء : من الآية ١٠٧.

(٤) سورة الحجر: آية ٩ .

(٥) انظر: شرح السنة ٤/٥٢٢-٥٢٣.

(٦) **هو**: أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسرٌ، محدثٌ، أديب، شيخ العلماء في العراق، من مصنفاته: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وحاشية على شرح القطر، وغرائب الاغتراب، توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/١٧٦، التفسير والمفسرون للذهبي ١/٢٥٠.

لائم ولا قول قائل – أقوى دليل على أنَّهم وجدوا ما أفادهم علمًا، ولم يدع عندهم خيالًا ولا وَهْمًا))[١].

وعلى كلٍ، فسواء كان ترتيب سور القرآن توقيفيًّا أو اجتهاديًّا؛ فإنَّه أمرٌ يجب احترامه في كتابة المصاحف، لاسيما وقد حصل إجماع الصحابة رضي الله عنهم على هذا الترتيب، ومضت الأمة على قبوله.

ثمَّ إنَّ المتأمل في ترتيب سور القرآن يرى أنَّها جاءت على نَظْمٍ عجيب ونسَقٍ في الترتيب بديعٍ، تلتقي السورة بالتي قبلها والتي بعدها برابطٍ يجعلها تبدو كعِقْد جُمَانٍ نُظِمتْ حبَّاتُه على أكمل وجهٍ، ممَّا يبعد معه القول بأنَّ ترتيبها كان باجتهادٍ من البشر، ومن هنا جاء حديث العلماء عن المناسبات بين سور القرآن.

معنى المناسبة لغةً واصطلاحًا

المُناسَبة لغةً:

على وزن مُفاعلة، وتعني **الْمُشاكَلَة**؛ يقال: بين الشَّيئين مناسبةٌ وتناسُبٌ: أي مُشاكلةٌ وتَشَاكُلٌ، وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة، ومادة النون والسين والباء تدل على اتِّصال شيءٍ بشيء، ومنه النَّسَب؛ سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصال به، تقول فلان نَسِيبُ فلان، يعني أنه متصل به بنوع من القرابة[٢].

---

(١) روح المعاني ١/٢٧.

وانتصر لهذا الرأي لفيفٌ من العلماء قديمًا وحديثًا، وحاول بعض العلماء –كابن الزبير الغرناطي والزركشي– التوفيق بين الآراء الثلاثة بكونها جميعًا تلتقي على القول بالتوقيف، وأن الخلاف بينها إنما هو خلاف لفظيٌّ: هل كان التوقيف بقولٍ من النبي ﷺ أو بتوقيفٍ فعليٍّ مستفادٍ من أفعاله ﷺ بحيث بقي للصحابة مجال نظر؟ وهم العارفون بأسباب نزوله ومواقع كلماته، فهذا هو موضع الخلاف. انظر: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير ص(٨٠)،البرهان في علوم القرآن ١/٢٥٧. وللاستزادة انظر: فتح الباري ٩/٣٩-٤٣، الإتقان ٢/٤٠٥، مناهل العرفان ١/٢٨٧، علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص(٤٤)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص(١٢٢)، دراسات في علوم القرآن د. فهد الرومي ص(١١٩)، المحرر في علوم القرآن د. مساعد الطيار ص(١٩٧)، مباحث في التفسير الموضوعي ص(٧٨)، جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث لمحمد شرعي أبو زيد ص(٧٠).

(٢) انظر مادة (نسب) في معجم مقاييس اللغة ، مختار الصحاح، لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس.

فالمناسبة لغةً تدور حول معنى: الاتصال، والمشاكلة "المماثلة"، والمقاربة.

المناسبة اصطلاحًا:

المناسبات في اصطلاح المفسرين وعلماء القرآن:

- "هي علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن بعضها ببعض"[(١)].
- أو بعبارة أخرى: "هي بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة"[(٢)].

فالمناسبة تبيِّن وجوه ارتباط أجزاء القرآن الكريم بعضها ببعض، وهي قد تظهر أحيانًا، وتختفي أحيانًا، وهذا مجالٌ للاجتهاد والنظر والتدبُّر.

وقد تطرَّق كثيرٌ من المفسرين للمناسبات على اختلاف أنواعها في تفاسيرهم، وأشاروا إلى ربط الآيات ببعضها وإنْ لم يصرِّحوا بلفظ المناسبة، وكانوا بين مقلٍّ ومكثر[(٣)]، وتحدّث عنها المؤلفون في علوم القرآن[(٤)]، وأُفردت كذلك مصنَّفات خاصة للحديث عن المناسبات في القرآن[(٥)]. **والله تعالى أعلم.**

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٦/١.

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص(٩٢).

(٣) من هذه التفاسير على سبيل المثال: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، مفاتيح الغيب للرازي، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، تفسير البحر المحيط لأبي حيان، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، التحرير والتنوير لابن عاشور، في ظلال القرآن لسيد قطب.

(٤) كالزركشي في البرهان في علوم القرآن خصص النوع الثاني للحديث عن المناسبات، والسيوطي في الإتقان تحدث عنها في النوع الثاني والستين، ومعظم المؤلفات المعاصرة في علوم القرآن تحدثت عن المناسبات.

(٥) من هذه الكتب المطبوعة: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، وتناسق الدرر في تناسب السور، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع وثلاثتها للسيوطي، والإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره للدكتور أحمد يوسف القاسم، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن لمحمد الصديق الغماري.

الفرع الثاني | حكم المناسبة وموقف العلماء منها

لما كان القرآن الكريم قد نزل في أكثر من عشرين سنةً منجَّمًا على حسب الوقائع، إضافةً لكون علم المناسبات يعدُّ من باب التفسير بالرأي، ويعتمد على اجتهاد المفسِّر واستنباطه، اختلف العلماء رحمهم الله في موقفهم من المناسبات بين مؤيِّدٍ ومعارضٍ، ومنتصرٍ ومقصِّرٍ.

يمكن تقسيم موقف العلماء من المناسبات على اتجاهين:

الاتجاه الأول: المنع والتحفُّظ[1].

ووجه ذلك :

←أنَّ القرآن الكريم لم ينزل على هذا الترتيب، بل كان نزوله حسب الوقائع المتفرِّقة عبر الأزمان المتباعدة.

←لما فيه من التكلُّف، فالمناسبة وإن كانت مستحسنةً إذا وقعت في كلامٍ مرتبط أوله بآخره، إلَّا أنَّه إذا وقع على أسباب مختلفة كان الربط بينها متكلَّفًا.

الاتجاه الثاني: الجواز، وهو الذي عليه جمهور العلماء وعامَّتهم[2].

---

(١) **من أبرز المانعين**: أبو العلاء محمد بن غانم الغانمي (وفاته نحو٥٠٠هـ) حيث ذهب إلى "أن القرآن إنما ورد على الاقتضاب" انظر: الإتقان ٥/ ١٨٤٣، والمراد بالاقتضاب هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود من غير مناسبة. انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد الفاروقي ٢٤٥/١. وهذا بعيد، يُنزَّه عنه الكلام البليغ، ومِنَ "البلاغة: أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله" انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ٢٤٤/١.

ومن أبرز المتحفظين: الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله (٦٦٠هـ). انظر: البرهان في علوم القرآن ٣٧/١. والإمام الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠هـ). انظر: فتح القدير ١٧١/١.

(٢) انظر اتجاهات العلماء في حكم طلب المناسبات وأدلتهم ومناقشتها في: البرهان في علوم القرآن ٣٥/١ وما بعدها، البرهان في تناسب سور القرآن (مقدمة تحقيقه) ص٦٧-٧١، المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير من سورة العنكبوت إلى سورة الحجرات ص٣٨-٥٩، علم المناسبات في السور والآيات لمحمد بازمول ص٣٢-٣٧، دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي ص (٤٤٩).

ولعلَّ الأقرب للصواب من الاتجاهين الاتجاه الثاني.

• **وفي وجْه رُجحان هذا الاتجاه،** يقول الشيخ ولي الدين الملوي رحمه الله[١]: ((قد وَهِم من قال لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنَّها على حسب الوقائع المفرقة. وفصلُ الخطاب: أنَّها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلاً -وقال أيضًا:- والذي ينبغي في كلِّ آيةٍ أن يُبْحث أولَ كلِّ شيءٍ عن كونها مكمِّلةً لما قبلها أو مستقلَّةً. ثم المستقلَّة: ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علمٌ جمٌّ، وهكذا في السور يُطلب وجْهُ اتصالها بما قبلها وما سيقت له))[٢].

بَيْدَ أنَّ هذا لا يلزم منه أن تكون كلُّ مناسبةٍ صحيحةً؛ فإنَّ "مناسبة الآيات بعضها لبعض من أول المصحف إلى آخره حاصلةٌ تامَّةٌ على أحسن وجهٍ، وأكمل مِنْوالٍ، ولكن الناس تختلف أفهامهم في وجه المناسبة، فبعضهم يظهر له معنىً بعيدٌ ضعيفٌ، وبعضهم يظهر له معنى حسنٌ قويٌّ، فالمناسبة بين الآيات حاصلةٌ، وحُسْنُ ذلك وضَعفُه راجعٌ إلى حُسن الأفهام. والله أعلم"[٣].

ضوابط مراعاة المناسبة:

نبَّه بعض العلماء على بعض الشروط والضوابط التي ينبغي مراعاتها عند التماس المناسبة، وذلك درءًا للخلاف، وإبعادًا للتكلُّف، وصيانةً لكتاب الله عز وجل.

من هذه الضوابط[٤]:

---

(١) **هو** أبو عبد الله ولي الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم المنفلوطي الشافعي، المعروف بابن المنفلوطي، وبالملوي، برع في التفسير والفقه والتصوف، كان حسن الوعظ، كثير العبادة والتواضع، "له تواليف بديعة الترتيب"، ولم تُسمَّ، توفي سنة ٧٧٤هـ، انظر: الدرر الكامنة ٤٤٧/١، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٦٣.

(٢) ذكره الزركشي في البرهان ٣٧/١ مُصدِّرًا إياه بقوله: ((ذكر بعض مشايخنا المحققين))، ونقله البقاعي في نظم الدرر ٧/١-٩ وتعقب على الزركشي بنسبة القول إلى ولي الدين الملوي، وانظر الإتقان ١٨٣٨/٥.

(٣) مقتبسٌ من كتاب: الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ٢٩٩/٦.

(٤) انظر: النبأ العظيم ص (١٩٩)، علم المناسبات في السور والآيات لمحمد بازمول ص(٣٧)، البرهان في نظام القرآن لمحمد سبحاني ص(٥٥).

(١) مراعاة الوحدة الموضوعية، والنظرة الكليَّة للسورة، فإنَّ في ذلك عونًا على معرفة الروابط الموضعية بين جزء وآخر من السورة؛ لأنَّ السورة مهما تعدَّدتْ موضوعاتها فإنَّها بجملتها ترمي إلى غرضٍ واحدٍ.

(٢) ألَّا يقطع المفسِّر بأنَّ هذه المناسبة هي مراد الله تعالى.

(٣) ألَّا تكون المناسبة متعارضةً مع الشرع، وألَّا تكون مخالفة لتفسير الآية مخالفة تضاد.

أن يُراعى فيها ضوابط التفسير بالرأي، لارتباط المناسبات الوثيق به. **والله تعالى أعلم**.

الفرع الثالث | فائدة معرفة المناسبة

ذكر بعض أهل العلم أن "ارتباطُ آيِ القرآن بعضها ببعضٍ حتى تكونَ كالكلمة الواحدة متَّسِقةَ المعاني، منتظمةَ المباني، علمٌ عظيمٌ" (١)

الفوائد المترتِّبة على معرفة المناسبة

هناك جملةٌ من الفوائد المترتِّبة على معرفة المناسبات بين السور والآيات، منها(٢) :

أولًا: معرفة المناسبة تُعين على فهم معنى الآيات

معرفة المناسبة تساعد على تحديد المراد من الآيات، وفيها زيادة تدبُّرٍ لكلام الله عز وجل.

مثال ذلك: اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾(٣).

- فقال قومٌ: هي الملائكة، وهذا قول الجمهور.
- وقال آخرون: هي الطير.

والصحيح الأول؛ لأنَّ الله عز وجل ذكر في آخر السورة نفسها في معرض حديث الملائكة عن أنفسهم قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾(٤).

- قال الرازي رحمه الله : ((أكثر لطائف القرآن مودَعةٌ في الترتيبات والروابط))(٥).

---

(١) قاله الإمام ابن العربي المالكي، ونقله الزركشي في البرهان ٣٦/١، البقاعي في نظم الدرر ٦/١، والسيوطي في الإتقان ١٨٣٧/٥ منسوبًا إلى كتابه (سراج المريدين).

(٢) انظر: البرهان ٣٦/١ ، نظم الدرر ١١/١، علم المناسبات في السور والآيات لمحمد بازمول ص(٣٨)، علم المناسبات في القرآن لمحمد الخضيري، مجلة البيان العدد(١٤٦)، ص(٢٠).

(٣) سورة الصافات: آية ١.

(٤) سورة الصافات: آية ١٦٥.

(٥) مفاتيح الغيب ١٤٥/١٠.

ثانيًا: معرفة المناسبة تُبْرز لنا لونًا من ألوان إعجاز القرآن الكريم

فكما أنَّ القرآن معجزٌ من ناحية ألفاظه ومعانيه؛ فهو أيضًا معجزٌ من ناحية تركيبه وترتيبه ونظم آياته وسوره.

• قال الزركشي رحمه الله: ((فائدته (علم المناسبة): جعل أجزاء الكلام بعضها آخِذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليفُ حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء))[(١)].

ثالثًا: الردُّ على مزاعم المتشكِّكين، وتثبيت قلوب المؤمنين

يتحقَّق بمعرفة المناسبات الردُّ على مزاعم المستشرقين والمشكِّكين في أنَّ القرآن غير مترابط الأجزاء. كما أنَّ في هذه المعرفة زيادةَ يقينِ المؤمنين عند التأمُّل في إحكام النظم وتناسق الترتيب، وصدق الله جلَّ جلاله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[(٢)].

• يقول البقاعي رحمه الله : ((وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكَّن من اللبِّ ، وذلك أنَّه يكشف أنَّ للإعجاز طريقين: أحدهما: نَظْم كلِّ جملةٍ على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نَظْمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب)) [(٣)].

رابعًا: بيان الحِكمة من الموضوعات المتشابهة في القرآن

بمعرفة المناسبات تتَّضح الحكمة من وقوع التشابه في الموضوعات المذكورة في القرآن، كالأحكام والعقيدة والقصص.

• يقول البقاعي رحمه الله: ((وبه يتبيَّن لك أسرارُ القصص المكرَّرات، وأنَّ كلَّ سورةٍ أُعِيدت فيها قصةٌ فلمعنى ادُّعِيَ في تلك السورة، استُدِلَّ عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له

---

(١) البرهان ٣٦/١.

(٢) سورة النساء: من الآية ٨٢.

(٣) نظم الدرر ١١/١.

في السورة السابقة))[1].

فكلُّ موضوعٍ أعيد في موطن فلمناسبته للموطن الذي أعيد فيه، لذلك نرى الاختلاف في طريقة العرض والترتيب والفواصل، وإن كان الموضوع متَّحدًا في أصل المعنى.

خامساً: العون على استظهار الآيات وحفظها في الصدور

في معرفة المناسبة إعانةٌ للحُفَّاظ على حفظ آيات الله عز وجل، وذلك بمعرفة وجه اتصال الآيات بعضها ببعض. **والله تعالى أعلم**.

(١) نظم الدرر ١/١١.

المطلب الثاني

مناسبة سورة لقمان لما قبلها وما بعدها

وفيه فرعان

الفرع الأول	مناسبة سورة لقمان لما قبلها
الفرع الثاني	مناسبة سورة لقمان لما بعدها

الفرع الأول	مناسبة سورة لقمان لما قبلها

تأتي **سورة لقمان** بعد **سورة الروم** في ترتيب المصحف، ولما كان ترتيب سور القرآن توقيفيًّا، فإنَّه لابدَّ أنْ يكون لهذا الترتيب من حكمةٍ وسرٍّ إعجازيٍّ، وإنْ خَفِي على البشر.

فكتاب الله تعالى جاء مُحْكَمَ النَّظم والتأليف، منزَّهًا عن الاختلاف والتناقض والاضطراب والتنافر، يقول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(١)، ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾(٢).

أوجه المناسبة بين سورة لقمان وسورة الروم:

القسم الأول: المناسبة بين فاتحة السورتين

❖ قال الله تعالى في مفتتح **سورة الروم**: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

❖ وقال سبحانه وتعالى في مفتتح **سورة لقمان**: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾.

ومن أوجه المناسبة بين الفاتحتين مايلي:

أولاً: من أوائل ما يلفت الانتباه في افتتاح السورتين أنَّ كلتيهما افتُتِح بنوعٍ واحدٍ من الافتتاح وهو الافتتاح بالحروف المقطعة(٣)، كما أنها جاءت على صيغة واحدة (الم)، وهذا

---

(١) سورة هود: آية ١.

(٢) سورة النساء: آية ٨٢.

(٣) افتتح الله عز وجل سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام وهي: الثناء عليه سبحانه كافتتاح سورتي الكهف =

يغري للنظر فيما بين السورتين من تناسبٍ أومأ إليه المؤاخاة في الافتتاح. وفي هذا يذكر العلماء خاصيَّةً تشترك فيها السور المفتتحة بـ (الم) وهي أنَّ الموضوعات التي تتناولها تشمل ثلاثة أمور: بدء الخلق، والتشريع، والبعث.

• يقول السيوطي رحمه الله: (((الم) جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها، وذلك إشارة إلى **البداية** التي هي بدء الخلق، و**النهاية** التي هي بدء الميعاد، و**الوسط** الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي. وكلُّ سورةٍ افتُتِحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة))[١]، وهذا الأمر قد اشتركت فيه السورتين.

ومن الملاحَظ أنَّ السور المفتتحة بـ (الم) في القرآن جاء ترتيبها متواليًا في مجموعتين، المجموعة الأولى: سورتي البقرة وآل عمران، والمجموعة الثانية: سورة العنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

وهنا سؤال: لماذا لم تجيء السور المفتتحة بالحروف المقطعة مرتبة جميعًا في موضع واحد، وإن تتابع بعضها أحيانًا؟

الجواب: أنَّ هذا فيه زيادة تنبيه وأبلغ في التحدي والتبكيت؛ "لأنَّ إعادة التنبيه على أنّ المتحدَّى به مؤلَّفٌ منها لا غير وتحديده في غير موضع واحد، أوصل إلى الغرض، وأقرّ له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرَّةً، وكذلك مذهب كلِّ تكريرٍ جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره"[٢]، كما أن فيه دلالة على التوقيف في ترتيب سور القرآن، وربما كان هذا الترتيب قد جاء لمناسبةٍ أخرى غير مناسبة الافتتاح، يصل إليها من يفتح الله عليه بالتدبُّر والنظر والتأمل فإنَّ القرآن لا تنقضي عجائبه، ولله الحكمة البالغة.

=

والإسراء، حروف التهجِّي كافتتاح سورة البقرة، والنداء كافتتاح سورة النساء، والجمل الخبرية كافتتاح سورة التوبة، والقسَم كافتتاح سورة الفجر، والشرط كافتتاح سورة الزلزلة، والأمر كافتتاح سورة الجن، والاستفهام كافتتاح سورة النبأ، والدعاء كافتتاح سورة المطففين، والتعليل في سورة قريش. انظر: البرهان١/١٦٤، الإتقان ١٨٢٧/٥ .

(١) الإتقان ١٨٥٨/٥، و انظر: البرهان ١٦٨/١.

(٢) مقتبس من: الكشاف ١٤٠/١.

ثانيًا: جرت عادة القرآن العظيم في السور المفتتحة بالحروف المقطعة أن يأتي بعدها ذكرُ القرآن العظيم والانتصارُ له وبيانُ إعجازه وعظمته، إمَّا صراحة بعدها مباشرة، وهو الأعمُّ الأغلب، وإما تلميحًا في ثنايا السورة كما في سورة الروم.

• يقول ابن كثير رحمه الله في حديثه عن معاني الحروف المقطعة: ((ولهذا كلُّ سورةٍ افتُتِحت بالحروف فلا بُد أن يُذكر فيها الانتصارُ للقرآن وبيانُ إعجازه وعظمته. وهذا معلومٌ بالاستقراء، وهو الواقع في تسعٍ وعشرين سورةً))[(١)].

• ويقول ابن عاشور رحمه الله في مفتتح تفسيره لسورة العنكبوت: ((واعلم أنَّ التَّهجِّي المقصود به التعجيزُ يأتي في كثيرٍ من سور القرآن، وليس يلزم أن يقع ذِكْرُ القرآن أو الكتاب بعد تلك الحروف، وإن كان ذلك هو الغالب في سور القرآن ما عدا ثلاث سورٍ، وهي فاتحة سورة مريم، وفاتحة هذه السورة، وفاتحة سورة الروم))[(٢)].

ثالثًا: في سورة الروم جاء الحديث عن أمرٍ غيبيٍّ مستقبليٍّ، وهو الإخبار عن غلبة الروم لفارس في سنين معدودةٍ، بعد أن كانت الغَلَبة لفارس[(٣)]، وقد تحقَّق ذلك وكان من المعجزات

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٢٥٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠/٢٠٢.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان المسلمون يحبُّون أن تَغلِب الرومُ أهلُ الكتاب، وكان المشركون يُحبُّون أن يغلب أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبيّ ﷺ فقال: "أَمَا إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ"، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلا فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا، وقال: فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين، قال: فمضت فلم يُغلَبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبيّ ﷺ، فقال له: "أَفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ"، قال سعيد: والبضْع ما دون العشر، قال: فَغُلِبَ الروم، ثم غلبت، قال: فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ﴾ قال: البضع: ما دون العشر، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر. أخرجه الترمذي في جامِعِه ٥/٣٤٣ حديث رقم (٣١٩٣) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الروم. وقال: حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة، وأحمد في مسنده برقم (٢٤٩٥)، والنسائي في سننه ١٠/٢١٢ برقم (١١٣٢٥) كتاب التفسير ، والحاكم في مستدركه ٢/٤٤٥ برقم (٣٥٤٠) =

الباهرة على صدق نبوَّة محمد ﷺ، ودليلاً قاطعًا على أنَّ القرآن كلام الله.

وجاء الافتتاح في سورة لقمان التالية لسورة الروم بوصف القرآن بالحكيم، وفي هذا وجه مناسبةٍ لِما افتُتِحت به سورة الروم، لأن ذلك الأمر الغيبي لا يصدر إلا من حكيمٍ عليمٍ خبيرٍ بالأمور وعواقبها.

رابعًا: كان التبشير بانتصار الروم على الفرس ابتهاجًا وسرورًا للمؤمنين قبل تحققه وبعد تحققه حيث إنَّهم "سُرُّوا بظهورهم على عدوهم، وبظهور الروم أيضا، وبإنجاز وعد الله"(١).

أمَّا المشركين فإنَّهم لما أعرضوا عن هذا الوعد الذي أخبر الله عنه بنصر الروم الذين كانوا أهل كتابٍ ودينٍ، على الفرس الذين كانوا أهل شركٍ ووثنٍ، لما أعرضوا عن هذا وما يُلمِح إليه هذا الوعد من إشارةٍ لانتصار عقيدة التوحيد واستعلاء كلمتها على الشرك فاتتهم حكمة الآيات وطُمست عن أعينهم وعقولهم، لذا جاء مطلع **سورة لقمان** مقرونًا بالإشارة لحكمة آيات القرآن الكريم التي كانت ومازالت تصدح بأنوار الحكمة فلم تنتبه لها العقول الغافلة، ولم ينتفعوا بما جاءهم، ولم يتعظوا بما حصل لغيرهم، وكانوا كما وصفهم الله جل وعلا: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ** ﴾(٢) لذا فقد قصر الله سبحانه نفع الحكمة لفئةٍ معينةٍ من الناس وهم الذين عقب بذكرهم في فاتحة **سورة لقمان** ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾(٣).

=

كتاب التفسير، والطبراني في المعجم الكبير ٢٩/١٢ برقم (١٢٣٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة٣٣٠/٢ باب ما جاء في آية الروم وما ظهر فيها من الآيات في أدنى الأرض، كلهم من طريق أبي إسحاق الفزاري له، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣١٩٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩٨/١٦.

(٢) سورة الروم: آية ٧.

(٣) مستفادة بتصرفٍ من: التناسب البلاغي في سورة لقمان لموسى درباش الزهراني (رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى) ص(٢٦).

القسم الثاني: المناسبة بين خاتمة سورة الروم وفاتحة سورة لقمان

• يقول الزركشي رحمه الله في هذا النوع من المناسبات: ((إذا اعْتَبَرتَ افتتاح كلِّ سورة، وجدتَه في غاية المناسبة لما خُتِم به السورةُ قبلها، ثم هو يخفى تارةً ويظهر أخرى)) (١).

❖ قال الله تعالى في ختام **سورة الروم**: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

❖ وقال تعالى في مفتتح **سورة لقمان**: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

وسأقسِّم العلاقة بينهما إلى ثلاث مقاطع، بحيث يكون لكلِّ مقطعٍ عنوان يكشف عن طرفٍ من التناسب بين **ختام تلك وافتتاح هذه**:

المقطع الأول: وحدة عقيدة المؤمنين

قال الله تعالى في **خواتم سورة الروم**: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ

(١) البرهان ٣٨/١.

ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾.

◄ في هذا المقطع من خاتمة سورة الروم يخبرنا الله عز وجل عن قيام الساعة وحال المؤمنين والمكذبين في ذلك الموقف، فيُقسِم المجرمون أنَّهم ما لبثوا في الدنيا غيرَ ساعةٍ، وذلك نتيجة لما كانوا عليه في الدنيا من جهالةٍ بأمر الآخرة وتكذيبٍ بما جاء به المرسلون وإنكارٍ للبعث، أمَّا المؤمنين "فإنهم يقفون في تلك الحال على حقٍّ، ويعرفون أنَّه الوعد المتقرِّر في الدنيا"[(١)]، وذلك نتيجة لما منَّ الله به عليهم في الدنيا من الهداية للطريق القويم والإيمان بآيات الكتاب الحكيم.

◄ وفي **فاتحة سورة لقمان** ثنَّى الله عز وجل بذكر المؤمنين وذكر أوصافهم وأكّد على إيمانهم اليقيني بالآخرة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ فظهر أثر إيمانهم باليوم الآخر جليًّا في ذلك الموقف الذي أخبرنا الله عز وجل عنه في ختام سورة الروم، حيث ثبَّتهم الله وألهمهم الردَّ على مقالة الكافرين، فكأنَّ في فاتحة سورة لقمان إشارةً لما ورد تفصيله في خاتمة سورة الروم.

• وفي هذا الوجه من التناسب يقول السيوطي رحمه الله: ((قوله تعالى هنا: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ متعلق بقوله في آخر سورة الروم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾[(٢)] فهذا عين إيقانهم بالآخرة، وهم المحسنون الموقنون بما ذكر)) [(٣)].

---

(١) مقتبسٌ من: المحرر الوجيز ٣٧/٧.

(٢) سورة الروم: من الآية ٥٦.

(٣) تناسق الدرر في تناسب السور ص(١١٠).

المقطع الثاني: القرآن كتاب الله الحكيم وموقف الناس منه

قال الله تعالى في **ختام سورة الروم**: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

◄ جاء الحديث في هذا المقطع من الآيات عن القرآن الكريم، وأنَّ الله من لطفه وعنايته بالعباد ضرب فيه من كلِّ مثلٍ حتى تتضح أمور الدين وتتجلَّى حقائق التوحيد وتقوم الحجة على الناس أجمعين، وفي هذا إشارةٌ للحكمة التي تضمنها القرآن الكريم، وهذا من إعجازه الباهر، لكن مَن جحد وعاند واستكبر وكذَّب بالآيات طبع الله على قلبه فحُرم منفعته والاعتبار به، قال تعالى في سورة الروم : ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

◄ وجاء الافتتاح بعدها في **سورة لقمان** بالحديث عن القرآن الكريم: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ وفيه وصْف للكتاب بالحكيم، هذا الوصف الذي جاء مناسبًا وشاهدًا لما سَبق من الآيات في سورة الروم؛ فالكتاب الذي اشتمل على ألوان الأمثال، وشتَّى العظات، ومختلف الدلائل والبراهين، إنَّما هو كتاب حكيم، أحكمه الله عز وجل وبيَّنه لعباده.

◄ وكذلك التقى **ختام سورة الروم** **بافتتاح سورة لقمان** في الحديث عن القرآن الكريم ببيان موقف المكذبين به، وتطاولهم على الحق وأهله، وإعراضهم واستكبارهم، فقال سبحانه في أول سورة لقمان: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وهو ما تضمنته الآيتان(٥٨، ٥٩) من سورة الروم، فكان الوصف الأليق بهؤلاء هو الجهل والاستكبار.

◄ ولما خُتمت **سورة الروم** بالتخويف والتحذير من الإعراض عن الحقِّ، وأنَّ الله يطبع على قلوب الجهلة الذين لا يعلمون حقيقة الآيات، ولا ينتفعون بها، جاء التصريح في **سورة لقمان** بذكر جزاءهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ، ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

• قال الرازي رحمه الله: ((وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها هو أن اللّه تعالى لما قال : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[١] إشارة إلى كونه معجزة وقال : ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾[٢] إشارة إلى أنَّهم يكفرون بالآيات، بيَّن ذلك بقوله : ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٣] ولم يؤمنوا بها، وإلى هذا أشار بعد هذا بقوله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾[٤]))[٥]

• وقال القُمِّيُّ رحمه الله[٦]: ((لما قال في آخر السورة المتقدمة ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[٧] وكان فيه إشارة إلى إعجاز القرآن، ودلَّ ما بعده إلى تمام السورة على أنهم مصرون على كفرهم ، أكَّد تلك المعاني في أول هذه السورة)).[٨]

المقطع الثالث: المقابلة بين الموقنين والمكذِّبين

قال الله تعالى في **آخر آية في سورة الروم**: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ، وقال في **مفتتح سورة لقمان**: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الروم: من الآية ٥٨.

(٢) سورة الروم: من الآية ٥٨.

(٣) سورة لقمان: آية ١-٢.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٧.

(٥) مفاتيح الغيب ١٤٠/٢٥. وجاء ذكر هذه المناسبة في: تفسير البحر المحيط ٤٠٨/٨، روح المعاني ٦٥/٢١، تفسير المراغي ٧١/٢١، البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير ص(١٤٤) وكانت فيه بشكل أوسع وأعمق حيث جعل هذه المناسبة تربط ما بين السورتين إجمالًا، ولم يقصرْها على الخاتمة والمفتتح.

(٦) **هو** نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القُمِّيُّ النيسابوري، ويقال له الأعرج، مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من (قمّ) ومنشأه في (نيسابور)، من مؤلفاته: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (في التفسير)، و شرح الشافية (في الصرف)، توفي بعد سنة ٨٥٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٢.

(٧) سورة الروم: من الآية ٥٨.

(٨) غرائب القرآن ٤٢٢/٥.

يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾.

وتظهر المناسبة في التقابل بين الفئتين بأسلوب **الطِّباق** بين اللفظين[1]:﴿لَا يُوقِنُونَ ﴾ في الأولى، و﴿يُوقِنُونَ ﴾ في الثانية.

◄ ففي **ختام سورة الروم** ذمَّ الله الذين لا يوقنون، وهم الذين لا يؤمنون بالبعث و لا يصدقون بالجزاء، وحضَّ النبي ﷺ ومن تبعه من المؤمنين بأن يثبتوا على الحق وألا يحملنَّهم هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخِفَّة والقَلَق والشَّك، بل عليهم أن يثقوا بوعد الله.

◄ ثم جاء في **مفتتح سورة لقمان** مدحٌ للمؤمنين الموقنين باليوم الآخر وذِكر طرفٍ من صفاتهم وجزائهم، وفي هذا التقابل مدحٌ وإغراءٌ للامتثال لأمر الله وذمٌّ وتحذيرٌ من مخالفته.

◄ ومن وجهٍ آخر، فإنَّ في ختام سورة الروم "دعوة للنبي ﷺ وللمؤمنين معه إلى الصبر على المكاره، واحتمال الشدائد على طريق الإيمان، وذلك بما يمتلئ به القلب من إيمان باللّه، ومن يقينٍ راسخٍ في لقاء ما وعد اللّه النبي ﷺ والمؤمنين من نصرٍ وإعزازٍ وتمكينٍ، وأنَّهم إذا كانوا على يقينٍ من الفوز والرضوان في الآخرة، فليكونوا على هذا اليقين من النصر والتمكين في الدنيا. وأنه إذا طال انتظارهم لما وُعِدوا به في الدنيا، فهو – على أيِّ حالٍ– أقرب ممَّا وعدوا به في الآخرة، فليصبروا إذنْ، حتى يلقوا ما وعدهم الله به في الدنيا، ليزداد يقينهم بما وعدهم اللّه به في الآخرة. هذا هو ما ختمت به سورة الروم، وهو يلتقى لقاءً تامًّا بما بُدئت به سورة لقمان"[2].

القسم الثالث: المناسبة بين مضمون السورتين

بعد الإلماحة إلى ما بين فاتحتي سورتي الروم ولقمان من تناسبٍ وترابطٍ، وما بين خاتمة

---

(١) **الطِّباق** ويسمَّى **المطابقة**: هي الجمع بين الشيء وضدِّه كالسواد والبياض والليل والنهار. انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ٢/٢٦٤.

(٢) مقتبسٌ من: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطابي (١١/٥٥٢) بتصرفٍ يسيرٍ.

الأولى وفاتحة الثانية من تقابلٍ وتناسقٍ، بقيت الإشارة إلى حلقات التواصل التي امتدت حتى الصلب والمتن بين آيات السورتين، فلنمضِ في بيان هذه المناسبات بين مضامين السورتين وفق الوجوه التالية:

الوجه الأول: الآية (١٥) من سورة الروم مع الآية (٦) من سورة لقمان.

❖ قال الله عز وجل في **سورة الروم** متحدِّثًا عن نعيم المؤمنين في الجنة: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾ وفي معنى ﴿يُحۡبَرُونَ ﴾ عدة أقوال منها: أن المراد بها يتلذذون بالسماع والغناء في الجنة(١).

❖ وقال الله عز وجل في **سورة لقمان**: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ومن الأقوال الواردة في معنى ﴿ لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ أنَّه الغناء والاستماع له(٢).

والمناسبة بينهما تظهر في التقابل بين السماعين؛ فالسماع الوارد في سورة الروم يكون في الآخرة للمؤمنين، فهم في الجنة " يُسرُّون ويُنعَّمون بالمآكل اللذيذة، والأشربة، والحور الحسان، والخدم والولدان، والأصوات المطربات، والسماع المُشْجِيِّ، والمناظر العجيبة، والروائح الطيبة، والفرح والسرور، واللذة والحبور، مما لا يَقْدِر أحدٌ أن يصفه"(٣).

أمَّا السماع الوارد في سورة لقمان فإنَّه يكون في الدنيا، وهو سماع الذين أعرضوا عن الحقِّ وآيات القرآن، وأقبلوا على اللهو الباطل، والغناء ومزامير الشيطان، فحُرموا من نعيم السماع في

---

(١) وهو قول يحيى بن أبي كثير. انظر: تفسير الطبري ٤٧٢/١٨، النكت والعيون ٣٠٢/٤، المحرر الوجيز ١٤/٧، زاد المسير ٢٩٣/٦، تفسير البحر المحيط ١٦١/٧.

(٢) وهو قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة ومجاهد رحمهم الله وغيرهم. انظر: تفسير الطبري ٥٣٤/١٨، النكت والعيون ٣٢٨/٤، المحرر الوجيز ٤١/٧، زاد المسير ٣١٦/٦، تفسير البحر المحيط ١٧٩/٧، الدر المنثور ٦١٧/١١.

(٣) مقتبس من: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ص(٦٣٨).

الجنَّة ونالوا العذاب الأليم.

فشتَّان بين السماعين، سماع المؤمنين الذين نزَّهوا أسماعهم عن اللهو والباطل والضلال في الدنيا، فأنعم الله عليهم بسماع الغناء في الجنة، والجزاء من جنس العمل، وسماع العاصين والكافرين لغناء الشياطين فلهم عذاب مهين(١).

• وقد ورد عن محمد بن الْمُنْكَدِر رحمه الله(٢) أنَّه قال: ((يقال يوم القيامة: أين الذين كانوا يُنَزِّهُونَ أنفسَهم وأسماعَهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك. ثمَّ يقول للملائكة: أسمعوهم حمدي وثناءً علي، وأخبروهم: أنْ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))(٣).

• وهذا الوجه من التناسب ذكره السيوطي رحمه الله فقال: ((ذكر في الروم: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ وقد فُسِّر بالسماع، وفي لقمان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ وقد فُسِّر بالغناء وآلات الملاهي))(٤).

الوجه الثاني: الآية (١١) و(٢٧) من سورة الروم مع الآية (٢٨) من سورة لقمان.

❖ قال الله عز وجل في **سورة الروم**: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

---

(١) قال المراغي في تفسيره (٢١/٧١): ((وشتَّان بين هذا وذلك))

(٢) **هو**: أبو عبد الله وقيل أبو بكر محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي المدني، إمامٌ ثقةٌ فاضلٌ، من الطبقة الثالثة، كان من سادات القراء، وكان لا يتمالَك البكاء إذا قرأ حديثَ رسول الله ﷺ، توفي سنة ١٣٠هـ وقيل بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٥٣، تقريب التهذيب ص ٥٠٨.

(٣) انظره في: الموطأ للإمام مالك برواية الحدثاني ٢/٥٢٩، الزهد والرقائق لابن المبارك ٢/١٢، مسند ابن الجعد ص٢٥٤، صفة الجنة لابن أبي الدنيا ص١٩٠، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٣/١٥١. قال الألباني عنه: ((وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، فثبت أن الحديث موقوف مقطوع)) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٤/ ١٧.

(٤) تناسق الدرر في تناسب السور ص(١١١)، وأشار المراغي لهذه المناسبة في تفسيره ٢١/٧١.

❖ وقال تعالى في **سورة لقمان**: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

في الآيات إثباتٌ **لقضية البعث**، وإخبارٌ عن وقوعه خبرًا قاطعًا، وإفادةٌ لسهولة الخلق والبعث على الله جلَّتْ قدرته، حيث جاء في سورة الروم أنَّ الله عز وجل "يبدأ الخلق من غير أصلٍ له، فينشئه بعد أن لم يكن شيئًا، ثم يُفْنيه بعد ذلك، ثمَّ يعيده كما بدأه، وذلك أسهل عليه على حسب ما يدور في عقول المخاطبين، من أنَّ مَن فعل شيئًا مرَّةً كانت الإعادة أسهل عليه"(١). فالقادر على الخلق من العدم قادر على الإعادة، وهذا إنَّما هو لتقريب الصورة لعقول المنكرين، وإلَّا فالكلُّ هيِّنٌ على الله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾(٢).

وجاء التقرير **لقضية البعث** في سورة لقمان بصورة أخرى، تشترك مع آيتي سورة الروم في إثبات سهولته على الله عز وجل، فبعد أنْ بيَّنَ في سورة الروم أنَّ القادر على الخلق قادرٌ على الإعادة "ذكر عظمة قدرته وكمالها وأنَّه لا يمكن أنْ يتصوَّرها العقل، فقال: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ وهذا شيءٌ يحيِّر العقول، إنَّ خلق جميع الخلق على كثرتهم، وبعثهم بعد موتهم بعد تفرُّقهم في لمحةٍ واحدةٍ، كخلقِهِ نفسًا واحدةً، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة اللّه وقوة قدرته"(٣).

فآية سورة لقمان جاءت متناسبةً مع آيتي سورة الروم التي تقدَّمت في تقرير قضية البعث، وأنَّه هيِّنٌ على الله جلَّ وعلا.

• قال الألوسي رحمه الله في هذا الوجه من التناسب: ((وأقول في الاتصال أيضًا: إنَّه قد ذكر فيما تقدم قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾(٤)، وهنا قوله

---

(١) مقتبس من تفسير المراغي ٢١/٤١.

(٢) سورة غافر: آية ٦٨.

(٣) مقتبسٌ من: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ص(٦٥١).

(٤) سورة الروم: آية ٢٧.

سبحانه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[١]، وكلاهما يفيد سهولة البعث، وقرَّر ذلك هنا بقوله عزَّ وجلَّ قائلًا: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))[٢].

الوجه الثالث: الآية (٣٣) من سورة الروم مع الآية (٣٢) من سورة لقمان.

❖ قال الله تعالى في **سورة الروم**: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

❖ وقال في **سورة لقمان**: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

فقد ذكر سبحانه وتعالى في كلٍّ من الآيتين **حال الناس في الشِّدة والرَّخاء**.

وذكر في كلتيهما قِسْمًا لم يذكره في الآية الأخرى، فآية سورة الروم جاءت على سبيل الإجمال، وجاء التفصيل في سورة لقمان بذكر مثالٍ وصورةٍ من صور الضُّر التي أُجمل ذكرها في سورة الروم، وهي حال هؤلاء الذين يدعون الآلهة من دون الله عند ركوب البحر، وذلك لمناسبة السياق.

فبعد أن ذكر سبحانه شيئًا من آياته ودلائل وحدانيته في سورة لقمان في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣]، ذكر بعدها: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

فمن آثار قدرته ورحمته، وعنايته بعباده، أنْ سخَّر البحر، تجري فيه الفلك، بأمره القدري ولطفه وإحسانه، ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ففيها الانتفاع والاعتبار، ثمَّ ذكر سبحانه وتعالى بعدها حال الناس عند ركوبهم البحر، وغشيان الأمواج كالظُّلل فوقهم، أنَّهم يخلصون الدعاء والعبادة

---

(١) سورة لقمان: آية ٢٨.

(٢) روح المعاني ٦٥/٢١، وأشار المراغي لهذه المناسبة في تفسيره ٧١/٢١.

(٣) سورة لقمان: آية ٣١.

لله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ ﴾ انقسموا فريقين: فرقة مقتصدة، لم تقم بشكر اللّه على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم، وفرقة كافرة بنعمة اللّه، جاحدة لها[١].

فآية سورة لقمان جاءت امتدادًا لما ذكره الله عز وجل في سورة الروم من طبيعة النفس الجاحدة التي تعرف الله عز وجل في الضرَّاء، ولا تعرفه في السرَّاء، وتميَّزت عنها بكونها ذكرت صورةً من صور الضرِّ، وذلك لمناسبتها للآية التي تقدمتها.

• يقول الألوسي رحمه الله في هذا الوجه من التناسب: ((ذكر سبحانه هناك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٢]، وقال عزّ وجلّ هنا:﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾[٣] فذكر سبحانه في كل من الآيتين قِسْمًا لم يذكره في الأخرى))[٤].

الوجه الرابع: الآيات (٤٤-٤٥، ٥٢-٥٣) من سورة الروم، مع الآيات (٦-٧، ٢٢-٢٤) من سورة لقمان.

◄ من أوجه الترابط أيضًا ما ورد في السورتين من تأييدٍ لما قام به النبي ﷺ من جهدٍ مشكورٍ في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وإقامة الحجة، وتسليةٍ له ﷺ لما لاقاه من إعراضٍ وصدودٍ، وكفرٍ وجحودٍ، وتوجيهه بألَّا يحزن لذلك، فإنَّ هؤلاء المعرضين هم في الدنيا كالأموات والصمِّ الذين لا يسمعون ولا ينتفعون، وفي الآخرة مصيرهم العذاب المهين والعقاب الأليم.

❖ قال الله تعالى في **سورة الروم**: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

❖ وقال تعالى بما يشاكلُها في **سورة لقمان**: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٦٥٢) .

(٢) سورة الروم: آية ٣٣.

(٣) سورة لقمان: آية ٣٢.

(٤) روح المعاني ٢١ /٦٥.

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

◄ ومن صور تسلية النبي ﷺ ما بيَّنه الله جل وعلا أنَّ من كفر فعليه كفره ولن يضرَّ بكفره إلا نفسه، ومَنْ آمن وعمل صالحاً فجزاء إيمانه إليه والله غنيٌّ عن العالمين، وفي ذلك توجيه للنبي ﷺ والمؤمنين إلى عدم الحزن والضيق بما يفعله الكافرون(١).

❖ قال الله تعالى في **سورة الروم**: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

❖ وقال تعالى بما يناسبها في **سورة لقمان**: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾.

الوجه الخامس: من وجوه التناسب ورودُ طائفةٍ من الآيات والبراهين التي تدلُّ على كمال قدرته جل وعلا واستحقاقه للعبادة الخالصة، ووجود آياتٍ فيها ذِكْرٌ للشرائع والأديان.

• أشار الإمام السيوطي رحمه الله إلى هذه المناسبة بين السورتين بقوله: ((في كلتا السورتين جملة من الأديان وبدء الخلق))(٢).

◄ فمن جملة **الأديان والشرائع** التي ذكرت في **سورة الروم**:

❖ قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ

---

(١) مستفادٌ بتصرفٍ من: التناسب البلاغي في سورة لقمان لموسى درباش الزهراني ص(٢٦).

(٢) انظر: تناسق الدرر ص(١١١).

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

❖ وفي **سورة لقمان** قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

جاء في سورة الروم بيان حال الأمم السابقة وماحلَّ بهم، وفي سورة لقمان جاء البيان لحال المشركين الحاضرين الذين كذَّبوا وقت تنزيل الوحي.

◄ ومن الآيات التي تناولت **قضية الخلق** في **سورة الروم**:

❖ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾.

وفي **سورة لقمان**:

❖ قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

◄ وذُكِرت في السورتين جملة من الآيات الباهرات الدالة على **كمال قدرة الله عز وجل مع ما فيها من البراهين العقلية**، فمن ذلك قول الله تعالى في **سورة الروم**:

❖ ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

ومن جملة الآيات الكونية والبراهين العقلية التي ذكرت في **سورة لقمان**:

❖ قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾.

الوجه السادس: من لطائف الاتصال بين السورتين ما ذكره الألوسي رحمه الله حين قال: ((وما ألطف هذا الاتصال من حيث إنَّ السورة الأولى ذُكِر فيها مغلوبية الروم وغَلَبتهم المبنيتان على المحاربة بين مَلِكيْن عظيمين من ملوك الدنيا تحاربا عليها، وخرج بذلك عن مقتضى الحكمة؛ فإنَّ الحكيم لا يحارب على دنيا دنيَّة لا تعدل عند اللّه تعالى جناح بعوضة، وهذه (سورة لقمان) ذُكِر فيها قصةُ عبدٍ مملوكٍ – على كثيرٍ من الأقوال – حكيمٍ، زاهدٍ في الدنيا، غير مكترثٍ بها، ولا ملتفتٍ إليها، أوصى ابنه بما يأبى المحاربة، ويقتضي الصبر والمسالمة، وبين الأمرين من التقابل ما لا يخفى))[1]. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

(١) روح المعاني ٢١/٦٤.

الفرع الثاني	مناسبة سورة لقمان ما بعدها

تأتي **سورة السجدة** بعد **سورة لقمان** في ترتيب المصحف، وفيما يلي بيانٌ لأوجه المناسبة بين السورتين مقسَّمة على ثلاثة أقسامٍ.

أوجه المناسبة بين سورة لقمان وسورة السجدة:

القسم الأول: المناسبة بين فاتحة السورتين

❖ قال الله تعالى في مفتتح **سورة لقمان**: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

❖ وقال تعالى في مفتتح **سورة السجدة**: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾.

من أوجه المناسبة بين الفاتحتين مايلي:

◆ المؤاخاة بين السورتين في الافتتاح بالحروف المقطَّعة، ومجيئها على نفس الصيغة (الم)، وهما بذلك قد اشتركتا في الخاصية التي ذكرها العلماء للسور المفتتحة بـ (الم)[١].

◆ وأعقب هذا الافتتاح ذكر القرآن الكريم وبيان عظمته وصفته، على عادة القرآن العظيم في السور المفتتحة بالحروف المقطَّعة.

قال الله عز وجل في مفتتح **سورة لقمان**: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾.

وقال تعالى في مفتتح **سورة السجدة**: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

ففي سورة لقمان جاء وصف كتاب الله بالحكيم، لاشتماله على الحكم الباهرة، ولإحكامه وإتقانه، ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، فلا تجد فيه خللًا أو تناقضًا، وما كانت هذه صفته فلا شكَّ أنه منزَّلٌ من الله بلا ريب. وهذا هو ما افتُتِحت به سورة السجدة.

◆ ومن جهة أخرى فإنَّ فاتحتي السورتين جاءتا على ترتيبٍ منطقيٍّ؛ حيث جاء ذِكر القرآن ببيان وصفه في فاتحة سورة لقمان، وجاء ذِكر القرآن ببيان كلامِ مَنْ هو في فاتحة سورة السجدة.

• يقول الرازي رحمه الله في توضيح هذا: ((وذلك لأنَّ مَنْ يرى كتابًا عند غيره فأول ما تصير النفس طالبةً تطلب ما في الكتاب، فيقول: ما هذا الكتاب؟ فإذا قيل: هذا فقه أو تفسير، فيقول بعد ذلك: تصنيفُ مَنْ هو؟ ولا يقال: أولًا هذا الكتاب تصنيف من؟ ثم يقول: في ماذا هو إذا علم هذا، فقال: أولًا هذا الكتاب هدى ورحمة، ثم قال: ههنا هو كتاب الله تعالى، وذكره بلفظ رب العالمين؛ لأنَّ كتاب من يكون رب العالمين يكون فيه عجائب العالمين فتدعو النفس إلى مطالعته))[٢].

---

(١) سبقت الإشارة إليها في المناسبة بين فاتحتي سورتي الروم ولقمان ص(٩٩).

(٢) مفاتيح الغيب ١٦٧/٢٥.

في قوله تعالى في مفتتح **سورة لقمان**: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ إشارةٌ لِما أودع الله جل وعلا كتابه من ألوان الآيات، ومختلف الأمثال، وشتى العظات، وإشارة لما احتوته سورة لقمان وسابقتها من دلائل وتنبيهات تفيد استحقاق الله جل وعلا للعبادة وحدة دون سواه.

وجاء الافتتاح بعدها في **سورة السجدة** بتسجيل صحة كتاب الله الكريم، وأنَّ ما انطوى عليه من البراهين يرفع كلَّ ريبٍ، ويزيل كلَّ شكٍّ ،ويدحض كلَّ شبهةٍ.

• قال ابن الزبير الغرناطي رحمه الله بعد أن ذكر طَرَفًا من آيات لقمان الدالة على لجوء الكل إليه سبحانه: ((فلما كانت سورة لقمان بما بُيِّن مِنْ مُضَمَّنِها مُحْتويةً على التنبيه والتحريك على ما ذكر، ومُعلِمةً بانفراده سبحانه بخلق الكلِّ وملكهم، أتبعها سبحانه بما يحكم بتسجيل صحة الكتاب، وأنه من عنده، وأنَّ ما انطوى عليه من الدلائل والبراهين يرفع كلَّ ريبٍ ويزيل كلَّ شكٍّ، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾[1] أيْ: أيقع منهم هذا بعد وضوحه وجلاء شواهده ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[2]))[3].

◆ من التناسب بين الفاتحتين كذلك التشابه في التعقيب بذكر آيات الله في الكون المنظور بعد الإشارة إلى آياته في الكتاب المسطور.

والتفكُّر في آيات الله الكونية، والتدبُّر لآيات الله القرآنية، طريقان موصلان لمعرفة الله جل وعلا حقَّ المعرفة، تلك المعرفة التي تورث حُبًّا لله جل وعلا، وانقيادًا لأوامره واجتنابًا لنواهيه.

---

(١) سورة السجدة: آية ١-٣.

(٢) سورة السجدة: من الآية ٣.

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن ص(١٤٦).

القسم الثاني: المناسبة بين خاتمة سورة لقمان وفاتحة سورة السجدة

❖ قال الله عز وجل في **خاتمة سورة لقمان**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

❖ وقال تعالى في **مفتتح سورة السجدة**: ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾.

جاء في خاتمة سورة لقمان وفاتحة السجدة ذكرٌ لأصول العقيدة الثلاثة وهي: الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بالمعاد والحشر، والإيمان بالرسالة، فجمعت الآية الأخيرة من سورة لقمان الأصلين الأوليين، وذلك ببيان عظيم قدرة الله، وسعة علمه جلَّ وعلا، ممَّا يدلُّ على وجوب الإيمان به وتوحيده، وهذا هو **الأصل الأول**، ونلمح **الأصل الثاني** في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ "إشارة إلى أنَّ الساعة وإنْ كنتَ لا تعلمها لكنَّها كائنةٌ واللّه قادرٌ عليها"[1]، كقدرته سبحانه على إنزال الغيث والخلق في الأرحام.

ثمَّ جاء الأصل الثالث في فاتحة سورة السجدة متمثِّلًا بالإخبار بصدق الكتاب وصدق المرسل إليه.

فهذا الكتاب "لا ريب في كونه منزَّلاً من رب العالمين؛ لأنَّه معجزٌ للبشر، ومثله أبعدُ شيءٍ من الريب. ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ أيْ: اختلقه محمد ﷺ، لأنَّ «أم» هي المنقطعة الكائنة بمعنى ''بل والهمزة'' معناه: بل أيقولون افتراه؟ إنكارًا لقولهم، وتعجيبًا منهم، لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه، ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾. ثمَّ أضرب عن

---

(١) مقتبس من: مفاتيح الغيب للرازي ١٦٦/٢٥.

الإنكار إلى إثبات أنَّه الحقُّ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ولم يَفْتَرِه محمدٌ ﷺ كما قالوا تعنُّتًا وجهلًا"[١].

• يقول الرازي رحمه الله في هذا الوجه من التناسب: ((لما ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة دليل الوحدانية، وذكر الأصل وهو الحشر، وختم السورة بهما، بدأ ببيان الرسالة في هذه السورة فقال ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾))[٢].

القسم الثالث: المناسبة بين مضمون السورتين

كما حصل توافقٌ وتناسبٌ بين **مفتتح السورتين**، وبين **خاتمة سورة لقمان** مع **فاتحة سورة السجدة** اللَّاحقة لها، كذلك هناك توافقٌ وتناسبٌ بين **مجمل آيات السورتين**، ومن ذلك:

الوجه الأول: وهذا الوجه يتصل بالمناسبة التي بين **خاتمة سورة لقمان وفاتحة السجدة**، إلَّا أنَّها هنا جاءت بشكل أوسع وأشمل على نطاق آيات السورتين بشكلٍ عامٍّ.

◄ فمن دلائل التوحيد المتعلقة **بالأصل الأول** ذِكْره جلَّ وعلا جملةً من الآيات في **سورة لقمان** التي تدلُّ على قدرته المطلقة، وعلمه الواسع، واضطرار الخلق إليه، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٥ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٦ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى

---

(١) مقتبس من: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٩١٣/٣.

(٢) مفاتيح الغيب ١٦٧/٢٥. وجاء ذِكر هذه المناسبة في: تفسير البحر المحيط ٤٢٨/٨، وروح المعاني ٦٥/٢١، تفسير المراغي ٧١/٢١.

ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾.

◄ أمَّا **الأصل الثاني** وهو إثبات البعث واليوم الآخر فمن مواضع ذكره قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾.

◄ ثمَّ جاء في **فاتحة سورة السجدة** ذكر **الأصل الثالث** وهو الرسالة، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾.

الوجه الثاني: ومن وجوه التناسب بين السورتين ما ذكره السيوطي رحمه الله حيث قال: ((إنَّ السجدة شرحٌ لمفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة السورة قبلها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾. وبيان ذلك:

أنَّ قوله تعالى في سورة السجدة ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ شرحٌ لقوله تعالى في **سورة لقمان** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، ولذلك :عقّب سبحانه وتعالى بقوله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾.

وأنَّ قوله تعالى في **سورة السجدة:** ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾، شرحٌ لقوله تعالى في **سورة لقمان:** ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾.

وأنَّ قوله تعالى في **سورة السجدة:** ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾، شرح لقوله سبحانه في **سورة لقمان:** ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾.

وأنَّ في قوله تعالى في **سورة السجدة:** ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾، شرح لقوله تعالى في **سورة لقمان:** ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾.

وأن قوله تعالى في **سورة السجدة:** ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾، شرحٌ لقوله تعالى في **سورة لقمان:** ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾. فلله الحمد على ما ألهم))[1].

الوجه الثالث: الآية (٣٢) من سورة لقمان مع الآية (٤) من سورة السجدة

قال الله تعالى في **سورة لقمان:** ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾، وقال تعالى في **سورة السجدة:** ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾.

بيَّن الله جل وعلا في آية سورة لقمان اضطرار العباد إليه، وافتقارهم إليه كلَّ الافتقار،

---

(١) تناسق الدرر ص١١١-١١٢ بتصرفٍ يسيرٍ. وعلَّق الألوسي رحمه الله على هذا الوجه من التناسب بقوله: ((ولا يخلو عن نظرٍ)) روح المعاني ٢١/١١٥ .

يتجلَّى ذلك في مواضع الشدة والكرب، فهم يلجؤون إليه وحده دون سواه.

وجاء تأكيد هذا المعنى في **سورة السجدة**، بشيء من الإكمال والإجمال بإعطاء حكمٍ قاطعٍ بأنَّه سبحانه هو المالك لأزمّة الأمور، المدبِّر لكلِّ شيءٍ، فلا وليَّ لخلقه سواه، ولا ناصر لهم إلا هو، ولا شفيع لهم إلا من بعد إذنه.

الوجه الرابع: الآية (١٧) من سورة لقمان مع الآية (٢٤) من سورة السجدة

قال الله تعالى في **سورة لقمان**: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾، وقال تعالى في **سورة السجدة**: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

جاء في الآيتين الحديث عن فضيلة الصبر، ففي **سورة لقمان** ضمن وصاياه الحكيمة لابنه، ذكَّره بالصبر، وحثَّه بأنْ يصبر على ما يصيبه، مؤكِّدًا عليه بأنَّه من الأمور التي يُعزم عليها لوجوبه.

ثمَّ في **سورة السجدة**، جاء الحديث عن الصبر، ببيان ثمرته، فهي تبيِّن حال من صبر على أوامر الله، وترك نواهيه، وصبر على أقداره جل وعلا، بأنْ كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير.

فالمناسبة تظهر في الترتيب بين تناول الآيات لموضوع الصبر، بالحث عليه والوصية به أولاً، ثم ببيان ثمرته و ذكر حال من صبروا ثانيًا.

الوجه الخامس من وجوه التناسب بين السورتين:

أنَّ **سورة لقمان** ركَّزتْ على الحكمة، وهي في حقيقتها طاعة الله والبعد عن معصيته، وشكره والانتهاء عن كفره.

وبعد عرض الآيات في سورة لقمان لهذه الحقيقة، وتوجيه الناس لتعديل مسارهم، وبيانٍ لعظيم نعم الله على العباد، يذكر الله جلَّ وعلا في **سورة السجدة** مثالًا لزمرةٍ من عباده الأتقياء الأنقياء، الذين امتلأت قلوبهم خشية لله، فلم يقتصروا على الواجبات بل تجاوزوه إلى نوافل العبادات، فكانوا بحقٍّ حكماءَ، منعوا أنفسهم عن الشهوات والشبهات المهلكات، وتمسَّكوا بالطاعات والعبادات المنجيات، يقول الله تعالى في صورةٍ تملأ القلبَ سكينةً وإجلالًا

له سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

المناسبة المشتركة بين سورة لقمان لما قبلها وما بعدها:

تعدُّ السور الثلاث: **الروم ولقمان والسجدة** من السور المكيَّة، لذا فإنَّ شأنها شأنُ القرآن المكيِّ الذي كان من أهمِّ مميزاته:

الدعوة إلى التوحيد، وإثبات الرسالة، والبعث، والوعد والوعيد، وجدال المشركين بالبراهين العقلية والأدلة الكونية، ووضع القواعد العامة للتشريع، والحثّ على مكارم الأخلاق، وذكر طرف من قصص السابقين، وتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين[2].

وقد اشتركتْ هذه **السور الثلاث** في الافتتاح بالحروف المقطَّعة، وهي مع ما تقدَّم من أوجهٍ يمكن تلخيص المناسبة فيما بينها: **بالتقارب والتكامل والتقابل**[3].

فالتقارب في دوران السور الثلاث حول الموضوعات التي تُعنى بالعقيدة والأخلاق، ففي العقيدة ذكرت قضية البعث، واشتملت على دلائل الألوهية، وبيَّنتْ اضطرار الخلق إليه سبحانه، وفي الأخلاق حثَّتْ على جملةٍ من الأخلاق كالصبر والحكمة والتواضع، مع تميُّز كلِّ سورةٍ بشخصيتها المستقلَّة في البناء والعرض.

والتكامل في تنوُّع الآيات وتفصيل المواقف والعظات في السور الثلاث. فمن جهةٍ يكون التفصيل في السورة اللاحقة لما أُجمل في السورة السابقة. ومن جهةٍ أخرى يكون بإشارة اللاحقة لما ورد تفصيله في السابقة. وجاء في بعض المواضع التفصيل بذكر المثال والنموذج، وبعضها

---

(١) سورة السجدة: آية ١٥-١٧.

(٢) سبق ذكر خصائص المكي في: ص(٧٥).

(٣) ذكر في كتاب "التفسير الموضوعي لسور القرآن" (٢٥/٦) خلاصةُ المناسبة بين سورتي الروم ولقمان (بالتقابل والتكامل)، وقد أفدتُ منهم، ثمَّ جعلْتُ هذه الخلاصة شاملةً للمناسبة بين السور الثلاث .

بذكر الصورة المقابِلة، وهكذا. فالآيات وإنْ كانت مشتركةً في الموضوع إلَّا أنَّك ترى في كلِّ موضعٍ جانِبًا لم تذكرْه الآية الأخرى.

والتقابل كان بين سورة الروم مع سورتي لقمان والسجدة، فالحديث في سورة الروم كان عن صراع ملوك الفرس والروم على الدنيا الفانية، وفي سورة لقمان جاء الحديث عن حكمة الفرد المؤمن الذي عرف حقيقة الدنيا فلم تغرَّه عن الآخرة، وفي سورة السجدة ذكر الله جل وعلا الطريق الموصل للرِفعة الحقيقية، والمنزلة العالية في الدنيا والآخرة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1]. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

(١) سورة السجدة: آية ٢٤.

المبحث الثالث

وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات

المبحث الثالث | وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات

لكلِّ سورةٍ من سور القرآن جوٌّ خاصٌّ بها، وشخصيةٌ متميِّزةٌ تميِّزها عن غيرها، تتَّفق مع مقاصدها وأهدافها، ولا تخرج عن مقاصد القرآن بشكلٍ عامٍّ.

والقضية التي تناولتها سورة لقمان هي نفسها القضية الأساسية التي عولجت في معظم سور القرآن الكريم لاسيما السور المكيَّة منه، والتي تدور حول تعظيم توحيد الله عز وجل والترغيب فيه، وتهويل أمر الشرك والترهيب منه.

اختصاصات سورة لقمان:

ومع كون سورة لقمان مكيَّةً اشتركتْ في الموضوعات المكيَّة، لكنَّها اتخذت شكلًا محدَّدًا، كما سيبيَّن في مقاصد السورة[1]، واختصَّت ببعض الموضوعات والتعبيرات التي لم ترد في سورةٍ سواها، **فممَّا اختصَّت هذه السورة:**

أولًا: ذكر **لقمان الحكيم**، وخَبَره في إيتائه الحكمة، وعرض وصاياه لابنه، فإنَّه لم يرد له أيُّ ذكرٍ في غير هذه السورة الكريمة كما هو معلوم، ولذا سُمِّيَت باسمه.

و**سورة لقمان** ركَّزت على الحكمة، فلا غرْوَ أنْ جاء ذكر **لقمان الحكيم** فيها، ليكتمل بذلك النَّظْم الحكيم من لدنْ عزيزٍ حكيمٍ. يشهد لذلك:

- افتتاح السورة بالحروف المقطَّعة ووصف القرآن بالحكيم، ومجيء التحذير من الإعراض عن آيات الله وكلامه والانشغال بغيرها بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[2] ولَهْوُ الحديث نقيضٌ للحكمة، أيضًا ما ذُكر في السورة من آياتٍ كونية، وبراهين عقلية، ونِعَمٍ جليلةٍ موقظةٍ للبصيرة جميعها تنبض بالحكمة.

---

(١) انظر: الصفحات (١٥٤-١٦٢) من هذا البحث.

(٢) سورة لقمان: آية ٦.

➢ كما أنَّ الوصايا التي ذكرها لقمان لابنه كانت بمثابة الخلاصة لحكمته وتجربته في الحياة، وتجمع خير العالمَيْن الدنيوي والأخروي.

➢ وجاء ختام السورة بالموعظة البليغة والتذكرة الحكيمة بالأمر بتقوى الله، والتحذير من الاغترار بالحياة الدنيا، وبتقرير سعة علم الله وحكمته وقدرته.

ثانيًا: واختصت أيضًا هذه السورة الكريمة ببعض **الألفاظ والتعبيرات القرآنية** التي لم ترد في غيرها:

أ. ففي وجوب اتِّباع سبيل المؤمنين الموحِّدين المتَّبعين لسنَّة النبيِّ ﷺ قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[١].

ب. وفي النهي عن الاختيال والتكبر قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[٢].

ج. وفي التنفير من رفع الصوت بلا حاجة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[٣].

د. وفي إنعام الله على العباد قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٤].

هـ وفي إثبات البعث وبيان عظم قدرة الخالق سبحانه قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٥].

و. وفي ذمِّ الكافرين وبيان صفة الجاحدين قال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[٦].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٥.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٨.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٩.

(٤) سورة لقمان: من آية ٢٠.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٨.

(٦) سورة لقمان: من الآية ٣٢.

ثالثًا: واختصَّت السورة ببيان **مفاتيح الغيب الخمس**.

جاء ذكر هذه المفاتيح مجملةً في **سورة الأنعام** في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

وجاء ذكر هذه المفاتيح مفصَّلةً في سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

أوضح ذلك النبيُّ ﷺ، ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مفاتِح الغيب خمسٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾»[(١)].

وفي حديث سؤال جبريلَ النبيَّ ﷺ، أن جبريل قال: «يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربَّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البُهْمُ في البنيان، في خمسٍ لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾»[(٢)]. **والله تعالى أعلم**.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٩٣/٤ كتاب التفسير، باب:﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ برقم (٤٥٠٠). وانظر الأحاديث رقم الأحاديث رقم (٩٩٢) (٤٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري ٢٧/١ كتاب الإيمان، باب سؤال جبريلَ النبيَّ ﷺ، برقم (٥٠) ورقم (٤٤٩٩)، ومسلم ٣٩/١ كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، برقم (٩). وهو جزءٌ من حديث طويل.

الفصل الثالث

أسباب نزول السورة ومقاصدها وأهدافها

وفيه مبحثان

المبحث الأول

أسباب النزول الواردة في السورة

وفيه مطلبان

المطلب الأول	معنى سبب النزول، وطريق معرفته، وفائدته
المطلب الثاني	أسباب النزول الواردة في سورة لقمان

المطلب الأول

معنى سبب النزول، وطريق معرفته، وفائدته

وفيه ثلاثة فرع

الفرع الأول	معنى سبب النزول
الفرع الثاني	طريق معرفة سبب النزول
الفرع الثالث	فوائد معرفة سبب النزول

الفرع الأول	معنى سبب النزول

من علوم القرآن المهمَّة علم أسباب النزول، وقد لقي هذا العلم عنايةً خاصَّةً من العلماء، حتَّى أُلِّفتْ فيه كتبٌ مستقِلَّةٌ [١]. ولا غَرْوَ في ذلك، فهو علمٌ مرتبطٌ بتفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ، وبسنة رسول الله ﷺ في آنٍ واحدٍ.

معنى سبب النزول

تنقسم آيات القرآن الكريم من ناحية النزول إلى قسمين:

(١) قسمٌ نزل ابتداءً بدون سببٍ خاصٍّ. وهذا كثيرٌ، كالآيات التي تتحدَّث عن قصص الأمم السابقة، أو تتحدَّث عن الساعة، أو وصف الجنة والنار، وغيرها.

(٢) وقسمٌ نزل عَقِب واقعةٍ أو سؤالٍ. وهذا القسم أقلُّ من سابِقه، وهو المراد بأسباب النزول عند ذكر هذا المصطلح.

ولذا يُعرَّف **سبب النزول** بأنَّه:

"ما نزل قرآنٌ بشأنه وقتَ وقوعِه كحادثةٍ أو سؤالٍ"[٢]

وبعبارة أخرى هو:

"كلُّ قولٍ أو فعلٍ أو سؤالٍ ممَّنْ عاصروا التَّنْزيلَ نزل بشأنه قرآن"[٣]. **والله تعالى أعلم.**

---

(١) من المؤلفات المستقلَّة في أسباب النزول: أسباب النزول للواحدي، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي، الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهلالي ومحمد آل نصر، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة د.خالد المزيني، وجميعها مطبوعة، ومن الكتب المتضمنَّة لأسباب النزول: كتب التفسير وعلوم القرآن ودواوين السنة على تفاوتٍ بينها.

(٢) مباحث في علوم القرآن للقطان ص٧٤، وانظر: دراسات في علوم القرآن الكريم أ.د. فهد الرومي ص١٣٦.

(٣) المحرر في علوم القرآن د. مساعد الطيار ص١٢٤، وانظر: المحرر في أسباب نزول القرآن د. خالد المزيني ١٠٥/١.

الفرع الثاني	طريق معرفة سبب النزول

هل للعقول مدخلٌ في معرفة الأسباب، بمعنى: هل تُعرفُ أسبابُ نزول الآي بالاجتهاد والطريق العقلي أو بطريق النقل والرواية فحسب؟

الطريق لمعرفة سبب النزول ينحصر في **الروايةِ الصحيحة**

- عن **النبي** ﷺ.
- أو عن **الصحابة** رضوان الله عليهم.

فإذا ورد سبب نزول عن صحابيٍّ، وكانت عبارته صريحةً في سبب النزول، كان لروايته حكم الحديث المرفوع(١).

أمَّا إذا كانت عبارته غير صريحة كأنْ يقول: "نزلت هذه الآية في كذا"، فقد اختلف العلماء فيها؛ لأنها تحتمل أن المراد بها سبب النزول، وتحتمل أنها داخلة في تفسير الآية.

- **وإذا ورد سبب النزول عن تابعي**، فإنَّ روايته قد تُقبل ويكون لها حكم الحديث المرسل، **بشروطٍ**:

١. أن يصحَّ السند إليه

٢. وأن يكون من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة

٣. وأن يعتضد برواية تابعي آخر

٤. وأن تكون عبارته صريحة في السببية(٢).

• يقول الواحدي رحمه الله(٣): ((ولا يحلُّ القولُ فِي أسباب نزول الكتاب إلَّا بالرواية والسماع

---

(١) **الحديث المرفوع حكمًا** هو: ما جاء عن صحابيٍّ – لم يأخذْ عن الإسرائيليَّات – موقوفاً عليه، مما لا يُقال بالرأي والاجتهاد. انظر: شرح التبصرة والتذكرة للعراقي١/١٩٥، نزهة النظر لابن حجر ص١٣٢، قفو الأثر لابن الحنبلي ص٩٢.

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(٤٨)، الإتقان ١/٢٠٦-٢٠٩، مناهل العرفان ١/٩٥، مباحث في علوم القرآن ص(٧٢)، دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي ص(١٥٢-١٥٣)

(٣) **هو**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، كان واحد عصره في التفسير، وله =

ممَّن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجَدُّوا في الطِلَاب))[1]. **والله تعالى أعلم.**

=

شعر حسَن، من مصنفاته: التفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وأسباب النزول، توفي سنة ٤٦٨هـ.

انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ١٢٧/١، طبقات الشافعية لابن السبكي ٢٤٠/٥.

(١) أسباب النزول ص(٨).

الفرع الثالث	فوائد معرفة سبب النزول

ذكر العلماء فوائد عديدةً لمعرفة سبب النزول، وخطَّأَ بعضهم من ظنَّ أنْ لا طائل تحت هذا الفنِّ لجريانه مجرى التاريخ(١)، ومن جملة ما ذكروه من فوائد:

(١) الاستعانة على فهم الآية، وإزالة الإشكال.

• يقول الواحدي رحمه الله عن أسباب النزول: ((هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها))(٢).

• ويقول ابن تيمية رحمه الله(٣): ((ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب)) (٤).

(٢) معرفة الحكمة من التشريع، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح في معالجة القضايا، وبيان ما في أسباب النزول من العِبر وحلِّ المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذَرْعًا حتى يأتي الفرج الإلهي، كقصة الثلاثة الذين خُلِّفوا، وحادثة الإفك، وتشريع الكفارة في الظِّهار.

(٣) تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، فربط الآية بسبب نزولها يجعل حفظها وفهمها سَهْلًا أكثر من غيرها. **والله تعالى أعلم.**

---

(١) انظر: البرهان ٢٢/١، الإتقان ١٩٠/١، مناهل العرفان ٩١/١، مباحث في علوم القرآن ص(٧٤)، دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي ص(١٣٩).

(٢) أسباب النزول ص(٨).

(٣) **هو**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرَّانيُّ الدمشقيُّ، نادرة الزمان، الجامع بين المنقول والمعقول، تفقَّه في مذهب الإمام أحمد، وبرع في سائر العلوم، نصر السنة وقمع البدعة، امتُحِن وسُجِن مرارًا، توفي محبوسًا في القلعة، سنة ٧٢٨هـ، خلَّف كتبًا انتفعت بها الأمة، منها: مجموع الفتاوى، منهاج السنة النبوية، درء تعارض العقل والنقل. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢، الوافي بالوفيات ١١/٧.

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص(٤٧).

المطلب الثاني

أسباب النزول الواردة في سورة لقمان

وفيه فرعان

الفرع الأول	ما ورد في سبب نزول السورة إجمالاً
الفرع الثاني	ما ورد في سبب نزول آياتٍ من السورة

الفرع الأول | ما ورد في سبب نزول السورة إجمالاً

ورد في سبب نزول سورة لقمان على جهة الإجمال:

أنَّ قريشًا سألت عن قصة لقمان مع ابنه، وعن بر والديه، فنزلت[١].

ولم أجد من ذكر هذا السبب من نَقَلة أسباب النزول، ومن المفسرين الأقدمين، سوى أبي حيَّانَ الأندلسيِّ رحمه الله.

وأشار مَنْ جاء بعده إلى هذا السبب[٢].

• وعقَّب عليه ابن عاشور رحمه الله بقوله: ((أيْ: سألوه سؤالَ تعنُّتٍ واختبارٍ، وهذا الذي ذكره أبو حيان يؤيد تصدير السورة بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾))[٣]. **والله تعالى أعلم.**

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تفسير البحر المحيط ١٧٨/٧. ولم أقف على سندٍ لهذه الرواية، ولم أجدْها عند غيره من المفسرين.

(٢) كابن عجيبة في البحر المديد في تفسير القرآن المجيد٣٥٩/٤، والألوسي في روح المعاني٦٥/٢١، والمراغي في تفسيره٧١/٢١، والزحيلي في التفسير المنير ١٢٤/٢١.

(٣) التحرير والتنوير ١٣٨/٢١.

الفرع الثاني | ما ورد في سبب نزول آياتٍ من السورة

وردتْ آثارٌ في أسباب نزول آياتٍ معيَّنةٍ في هذه السورة الكريمة وهي ست آياتٍ وفق المواضع التالية:

الموضع الأول:

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾(١).

ورد في سبب نزولها الآثار الآتية:

(أ) عن أبي أُمامة رضي الله عنه(٢) عن رسول الله ﷺ قال: ((لا تبيعوا القَيْنات(٣) ولا تشتروهنَّ ولا تعلموهنَّ، ولا خير في تجارةٍ فيهنَّ، وثمنهنَّ حرام في مثل هذا أُنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾))(٤).

---

(١) سورة لقمان: آية ٦

(٢) **هو**: أبو أمامة الباهلي، صُديُّ بن عجلان بن وهب، وقيل ابن الحارث، صاحب النبي ﷺ، اشتهر بكنيته، أرسله النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا، كان من المكثرين في الرواية، توفي سنة ٨٦هـ بالشام. أسد الغابة ١٥/٣ وَ ١٤/٦، الإصابة ٣٣٩/٣.

(٣) **القَيْنَة**: هي الأَمَةُ غنَّتْ أو لم تُغَنِّ، وكثيرًا ما تُطْلق على الْمُغَنِّية. انظر: النهاية لابن الأثير ١٣٥/٤.

(٤) أخرجه أحمد ٥٠٢/٣٦ برقم (٢٢١٦٩)، والترمذي ٥٧١/٣، أبواب البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات برقم (١٢٨٢)، وبرقم (٣١٩٥) باب ومن سورة لقمان ٣٤٥/٥، وقال: ((هذا حديث غريب.. وعلي بن يزيد يُضعَّف في الحديث))، وابن ماجه ٧٣٣/٢ كتاب التجارات، باب مالا يحلّ بيعه برقم (٢١٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٤/٦-١٥ كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع المغنيَّات برقم (١١٣٧٨)، وقال ابن كثير: ((علي، وشيخه، والراوي عنه، كلهم ضعفاء. والله أعلم)) تفسير القرآن العظيم ٤٧/١١. وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي ٢٨٢/٣، لكنه قال في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٠١٨/٦: ((وبقي الحديث على ضعفه، إلا ما يتعلق منه بنزول الآية في الغناء، للشواهد الصحيحة المذكورة عن ابن مسعود وغيره))، وقال محققو مسند أحمد: إسناده ضعيف جدًّا ٥٠٣/٣٦. وأخرجه الطبري في جامع =

وهذه الرواية ليست سبب نزولٍ؛ لمقالٍ في سندها، ولأنَّها ليست صريحةً في النزول[١]، لذا فإنها تدخل في باب التفسير، والله أعلم.

(ب) وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ قال: ((أنزلت في النَّضْر بن الحارث[٢]، اشترى قَيْنةً فكان لا يسمع بأحدٍ يريد الإسلام إلَّا انطلق به إلى قَيْنته فيقول: أطعميه، واسقيه، وغنِّيه، هذا خيرٌ ممَّا يدعوك إليه محمدٌ من الصلاة والصيام وأنْ تُقاتِل بين يديه؛ فنزلت)) [٣].

(ج) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلتْ في رجلٍ من قريشٍ اشترى جاريةً مُغَنِّيةً[٤].

(د) وقيل: إنَّها نزلت في النَّضْر بن الحارث، وذلك أنَّه كان يخرج تاجرًا إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم، فيرويها ويُحدِّث بها قريشًا ويقول لهم: إنَّ محمدًا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رُسْتم وإسْفِنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية [٥].

=

البيان ٥٣٢/١٨، والواحدي في أسباب النزول ص(٣٤٥)، وذكره جمهور المفسرين انظر: النكت والعيون ٣٢٨/٤، معالم التنزيل ٢٨٤/٦، المحرر الوجيز ٤١/٧، الجامع لأحكام القرآن ٤٥٧/١٦، الدر المنثور ٦١٦/١١، التحرير والتنوير ١٤٢/٢١.

(١) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن ٧٨٨/٢.

(٢) **هو**: النَّضْر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي، من أشراف قريش، خرج مع المشركين في غزوة بدر وأسره المسلمون، فقتله علي بن أبي طالب. انظر: المغازي للواقدي: ص١٤٩، تاريخ الطبري ٤٥٩/٢.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن٤٥٨/١٦، والبيضاوي في أنوار التنزيل ٢١٠/٤، والسيوطي في الدر المنثور ٦١٤/١١، وإسناده ضعيف جدًّا من أجل (جويبر). انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ٥٩/٣.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٤٠/١٨ ولم يرد في روايته لفظ النزول، وأورده الواحدي في أسباب النزول ص(٣٤٦)، والسيوطي في الدر المنثور ٦١٥/١١، وزاد نسبته للفريابي وابن مردويه. و ممن ذكره: الماوردي في النكت والعيون وعزاه إلى ابن عيسى الرماني ٣٢٩/٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤١/٧.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول معلَّقًا عن الكلبيِّ ومقاتل ص(٣٤٥)، وذكر نحوه الفراء في معاني القرآن ٣١٤/٢، والماوردي في النكت والعيون ٣٢٩/٤ ، والبغوي في معالم التنزيل ٢٨٣/٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤١/٧، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٥٨/١٦، والسيوطي في الدر المنثور ٦١٤/١١، وابن

=

والذي يظهر من خلال الآثار السابقة وتخريجها أنَّها ما بين ضعيفةٍ، وغير مصرِّحةٍ بالنزول، فغاية ما يمكن قوله فيها أنَّها تدخل في باب التفسير، لا في أسباب النزول. والله تعالى أعلم.

الموضع الثاني:

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ورد في سبب نزولها الآتي:

(أ) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((لما نزلت: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾[2] قال أصحاب رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يَظْلِم؟ فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾))[3].

(ب) وعنه بلفظ: ((لما نزلت: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول اللَّه، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال

=

عاشور في التحرير والتنوير ١٤٢/٢١، وغيرهم. وقال ابن عاشور ﷺ في سبب نزول هذه الآية: ((قال ابن العربي في "العارضة": في سبب نزولها قولان: أحدهما أنها نزلت في النضر بن الحارث. الثاني أنها نزلت في رجل من قريش، قيل هو ابن خطل اشترى جاريةً مغنيةً فشغل الناس بها عن استماع النبي ﷺاهـ. وألفاظ الآية أنسب انطباقًا على قصة النضر بن الحارث))، لكن هذه الرواية موضوعةٌ من أجل الكلبي ومقاتل. انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ٦٠/٣.

(١) سورة لقمان: آية ١٣

(٢) سورة الأنعام: من آية ٨٢

(٣) أخرجه البخاري ٢١/١ كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، برقم (٣٢)، وانظر رقم (٣٢٤٥) ، (٤٣٥٣)، والنسائي في السنن الكبرى ٣٤١/٦، كتاب التفسير سورة الأنعام، برقم(١١١٦٦)، وهذه الرواية جاء فيها ذكر نزول الآية. وممن ذكرها من المفسرين: ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٦/٤ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٧٢/١٦.

لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾))[1].

ولم يرد لفظ النزول في خصوص هذه الرواية.

وبالنظر في هاتين الروايتين يظهر أحد احتمالين:

- أنَّ آية سورة لقمان نزلت فور نزول آية سورة الأنعام كشفًا للبس والإشكال.
- أنَّ آية سورة لقمان كانت قد نزلت من قبل، ولم يكن سبب نزولها آية سورة الأنعام.

• قال ابن حجر رحمه الله [2]: ((واقتضت الرواية (المصرَّح فيها بالنزول) أنَّ هذا السؤال سببُ نزول الآية الأخرى التي في لقمان، لكن رواه البخاري ومسلم من طريق أخرى..: ((فقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلمٍ؟ فقال: ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان))، وفي رواية..: ((فقال: ليس كما تظنون))، وفي رواية ..: ((إنَّما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان))، وظاهر هذا أنَّ الآية التي في لقمان كانت معلومةً عندهم، ولذلك نبَّههم عليها، ويحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال فتلاها عليهم ثم نبَّههم، فتلتئم الروايتان)) [3].

فالظاهر – والله أعلم – أنَّ الحديث ليس سببًا للنزول، وأنَّ التصريح بالنزول لا يصح: لأنَّ أكثر الروايات خَلَتْ من التصريح بالنزول، بل صرَّحت بخلافه: ((ألم تسمعوا إلى ما قال

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٢٦/٣ كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ برقم (٣١٨١)، وانظر رقم (٣٢٤٦)،(٤٤٩٨)،(٦٥٢٠)،(٦٥٣٨)، ومسلم ١١٤/١ كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه برقم(١٢٤)، والترمذي ٢٦٢/٥ أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام برقم (٣٠٦٧)، والنسائي في السنن الكبرى ٤٢٧/٦، كتاب التفسير، سورة لقمان برقم(١١٣٩٠)، وممن ذكرها من المفسرين: ابن كثير ٥٣/١١، وابن عاشور ١٥٥/٢١.

(٢) **هو**: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعي، وحَجَرٌ هو لقبٌ لبعض آبائه، إمامُ الحفَّاظ في زمانه، عالمٌ بالتفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ، تصدَّر للإملاء والتدريس والإفتاء والقضاء، من مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، بلوغ المرام من أحاديث الأحكام، تهذيب التهذيب، وغيرها. توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: الضوء اللامع ٣٦/٢، نظم العقيان في أعيان الأعيان ص(٤٥).

(٣) فتح الباري ٨٨/١ بتصرُّفٍ يسير.

لقمان لابنه وهو يعظه))، وهذا يدلُّ على أنَّ هذا معلومٌ عندهم ، بالإضافة أنَّ آية لقمان في سياق النصيحة، ومثل هذا لا يناسب السببية، إذ لو كانت الآية نزلت جوابًا لاستشكال الصحابة لما قال الله جل وعلا فيها ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾[١]، إذ لا فائدة من ذلك[٢].

الموضع الثالث:

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣]

ورد في سبب نزولها الآتي:

◆ عن سعد بن أبي وقاص ﷺ[٤] قال: حلفتْ أمُّ سعد ألَّا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمتَ أنَّ الله وصَّاك بوالديك وأنا أمُّك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثتْ ثلاثًا حتى غُشي عليها من الجَهْد، فقام ابنٌ لها يُقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ﴾، وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[٥].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٢) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن ٢/٧٩٠.

(٣) سورة لقمان: آية ١٤-١٥.

(٤) **هو**: أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص (اسم أبيه مالك) بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، من السابقين إلى الإسلام، ومن العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى سهمًا في سبيل الله، وقاد الجيوش لقتال الفرس، كان مستجاب الدعوة، توفي سنة ٥٥هـ. انظر: أسد الغابة ٢/٤٥٢، الإصابة ٣/٦١.

(٥) أخرجه مسلم ٤/١٨٧٧ كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ برقم (١٧٤٨)، والترمذي ٥/٣٤١ أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة العنكبوت برقم(٣١٨٩)، وأحمد =

جاء في بعض الروايات ذكر آية سورة لقمان: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ وجاء في بعضها ذكر آية سورة العنكبوت: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[١]، كما أنَّ بعض المفسرين جعلوا قصة سعد ﷺ مع أمِّه سببًا لنزول آية سورة لقمان وآية سورة العنكبوت [٢].

وهنا يظهر احتمالان:

الأول: إما أن يُحمل هذا على تعدُّد النازل والسبب واحد، وهذا لا إشكال فيه عند علماء التفسير وعلوم القرآن[٣].

• ورجَّح ذلك القرطبي رحمه الله[٤] عند تفسيره لآيتي سورة لقمان فقال: ((والصحيح أنَّ هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص، كما تقدَّم في (العنكبوت) وعليه جماعة المفسرين)) [٥].

=

١٣٦/٣ برقم (١٥٦٧) ولفظه: ((فأُنزلت:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ وقرأ حتَّى بلغ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾)). وذكره جملة من المفسرين، انظر: جامع البيان ٥٥٢/١٨، أسباب النزول للواحدي ص(٣٤٦)، النكت والعيون ٣٣٧/٤، معالم التنزيل ٢٨٨/٦، المحرر الوجيز ٤٨/٧، الجامع لأحكام القرآن ٤٧٣/١٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤/١١، الدر المنثور ٦٤٧/١١.

(١) سورة العنكبوت: من الآية ٨.

(٢) كالطبري في جامع البيان ٣٦٣/١٨، والبغوي في معالم التنزيل ٢٣٣/٦، والقرطبي في الجامع ٣٣٩/١٦، وابن كثير في تفسيره ٤٩٥/١٠. وذهب الواحدي إلى أن النازل بسبب سعدٍ ﷺ: آية سورة العنكبوت، وآية سورة لقمان، وآية (١٥) من سورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾. انظر: أسباب النزول ص(٣٤١).

(٣) انظر: الإتقان ٢٢٥/١، مناهل العرفان ١٠٢/١.

(٤) **هو**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي الأنصاري المالكي، إمامٌ متقنٌ متبحرٌ في العلم، من أئمة التفسير، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة: ٦٧١هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٨٧/٢، طبقات المفسرين للداودي ٦٩/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤٧٣/١٦.

الثاني: وإمَّا أن يُحمل ذلك على اضطرابٍ في الرواية، فتكون إضافة آية لقمان في الحديث من باب الاشتراك في موضوعها مع آية سورة العنكبوت(١).

• قال ابن عاشور رحمه الله: ((لا يحسن ما ذهب إليه جمعٌ من المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت في قضية إسلام سعد بن أبي وقاص وامتعاض أمِّه، لعدم مناسبته السياق، ولأنه قد تقدم أن نظير هذه الآية في سورة العنكبوت نزل في ذلك، وأنها المناسِبة لسبب النزول، فإنها أخليت عن الأوصاف التي فيها ترقيقٌ على الأمِّ بخلاف هذه، ولا وجه لنزول آيتين في غرضٍ واحدٍ، ووقتٍ مختلفٍ))(٢).

والميل متَّجهٌ نحو ما ذكره ابن عاشور رحمه الله؛ لأنَّ سياق سورة العنكبوت هو الأنسب لقصة سعد رضي الله عنه مع أمِّه(٣). فإنَّ السورة تتحدث عن الابتلاء والفتنة، وأنَّ المؤمن معرَّضٌ للاختبار لتظهر قوة إيمانه، وتُنبِّه إلى أهمية مجاهدة النفس، وترغِّب في الصبر.

الموضع الرابع:

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾(٤).

ورد في سبب نزولها الآتي:

◆ أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر، وذلك أنَّه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: آمنت وصدقت محمدًا عليه الصلاة والسلام؟ فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدَّقوا، فأنزل الله تعالى يقول لسعد: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ

---

(١) قال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله معلِّقًا على الروايتين: ((فإما أن تكونا نزلتا معًا، وإما أن يكون اضطرب فيها سِمَاك بن حرب، فإنه رحمه الله يضطرب في كثير من الأحاديث. والله أعلم)) الصحيح المسند من أسباب النزول ص(١٧٨).

(٢) التحرير والتنوير ٢١/١٥٧.

(٣) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن ٢/٧٩٠.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٥.

إِلَيَّ ﴾ يعني أبا بكر ﷺ[١].

والظاهر – والله أعلم – أن هذا ليس سببًا لنزول الآية، بل هو من باب التفسير؛ فجمهور المفسرين لم يذكروا هذا الأثر عند تفسير الآية[٢]، واقتصر بعضهم على بيان المراد بـ(من أناب) دون التنصيص على أنَّها سبب نزول الآية[٣]. والله أعلم.

الموضع الخامس:

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

ورد في سبب نزولها الآتي:

◆ روي عن قتادة رحمه الله: ((قال المشركون إنَّما هذا كلامٌ يوشك أن ينفد؛ فنزل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ الآية))[٥].

◆ وروي عن السُّدِّي رحمه الله: ((قالت قريش: ما أكثر كلام محمد!! فنزلتْ))[٦].

◆عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد، أرأيت قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيَّانا تريد أمْ قومَك؟ فقال رسول الله ﷺ: «كُلًّا»، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلِّ شيءٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّها في علم اللهِ قليلٌ وعندَكم مِن ذلك ما يكفيكُم»، فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص(٣٤٦). ذكره بغير إسنادٍ، وكذا في تفسيره "الوسيط" ٤٤٣/٣.

(٢) كالطبري ١٣٩/٢٠، وابن كثير ٣٧/٦، والسيوطي ٥٢٢/٦، والشوكاني ٢٤٧/٤-٢٧٦، وغيرهم.

(٣) كالبغوي في معالم التنزيل ٢٨٨/٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٠/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٧٦/١٦.

(٤) سورة لقمان: آية ٢٧.

(٥) سبق تخريجه ص(٨٢-٨٣).

(٦) سبق ذكره ص(٨٣).

من ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[١].

◆ووردتْ روايةٌ أخرى للحديث هي أصحُّ سندًا تدلُّ على أنَّ النازل هو قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾[٢]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سَلُوه عن الروح، فسألوه فنزلت: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣]، قالوا: أُوتينا علمًا كثيرًا، أُوتينا التوراة ومن أُوتيَ التوراة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا قال: فأنزل اللَّه عزَّ وَجلَّ : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾[٤].

وهذان الحديثان معارضان لحديثٍ صحيحٍ وردَ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، وأنَّ نزول هذه الآية كان بالمدينة، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حَرْث وهو متكئٌ على عَسِيْبٍ[٥]، إذ مرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعضٍ: سَلُوه عن الروح؟ فقال: ما رَابَكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيءٍ تكرهونه، فقالوا سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، فعلمتُ أنَّه يُوحَى إليه،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٧٢/١٨ بإسنادٍ فيه مجهول، والواحدي في أسباب النزول ص(٣٤٦). وذكره جمهور المفسرين، انظر: النكت والعيون ٣٤٤/٤، معالم التنزيل ٢٩٢/٦، المحرر الوجيز ٥٧/٤، الجامع لأحكام القرآن ٤٨٩/١٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٨/١١، الدر المنثور ٦٥٦/١١.

(٢) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٤/٤ برقم(٢٣٠٩)، والترمذي ٣٠٤/٥ أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل برقم(٣١٤٠) وقال: ((هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه))، والنسائي في السنن الكبرى ٣٩٢/٦ كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ برقم(١١٣١٤). وحكم محققو مسند أحمد بصحة إسناده.

(٥) **العَسِيْب**: العصا من جريد النخل. انظر: النهاية لابن الأثير ٢٣٤/٣.

فقمتُ مقامي فلمَّا نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

فالذي يظهر أنَّ الحديث الوارد في نزول آية لقمان لا يصلح أن يكون سببًا لنزولها؛ لضعف سنده، ولمعارضته لحديث صحيح، ولاضطراب الرواية، والله تعالى أعلم.

الموضع السادس:

❖ قال الله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[2].

ورد في سبب نزولها الآتي:

◆ أنَّ نفرًا من قريش قالوا للنبي ﷺ: إنَّ اللَّه خلقنا أطوارًا: نُطْفةً، عَلَقةً، مُضْغةً، عَظْمًا، لحمًا، ثمَّ تزعم أنَّا نبعث خَلْقًا جديدًا في ساعةٍ واحدةٍ؟! فقال اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ ﴾[3].

وقد أعرض أغلب المفسرين عن ذكر هذا السبب ممَّا يبعث الشكَّ والتردد في قبول الرواية، والاحتجاج بها على السببية. **والله أعلم**.

الموضع السابع:

❖ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٦١/٦ كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل، برقم(٤٤٤٤)، وانظر رقم(١٢٥، ٦٨٦٧، ٧٠١٨، ٧٠٢٤)، ومسلم ٢١٥٢/٤ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ برقم(٢٧٩٤)، وأحمد في مسنده٢١٤/٦ برقم(٣٦٨٨)، والترمذي٣٠٤/٥ أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الإسراء برقم(٣١٤١)، والنسائي في الكبرى ٣٨٣/٦ كتاب التفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ برقم(١١٢٩٩).

(٢) سورة لقمان: آية ٢٨.

(٣) انظر: تفسير الماتريدي ٣١٧/٨، الجامع لأحكام القرآن ٤٩١/١٦، ولم أقف على سندٍ لهذه الرواية.

ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[١].

ورد في سبب نزولها الآتي:

◆ أنَّها نزلتْ في عكرمة بن أبي جهلٍ ﷺ[٢]، هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا لأرجعنَّ إلى محمد ﷺ ولأضعنَّ يدي في يده، فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه[٣].

وقد أعرض جمهور المفسرين عن ذكر هذا السبب ممَّا يبعث الشك والتردد في الاحتجاج بالرواية على السببية، **والله أعلم**.

الموضع الثامن:

❖ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٤].

ورد في سبب نزولها الآتي:

◆ أنها نزلت في رجلٍ من أهل البادية، أتى النبي ﷺ، فقال: إنَّ امرأتي حُبْلَى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا محلٌّ جَدْبَةٌ، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمتُ متى ولدتُ، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾[٥].

---

(١) سورة لقمان: آية ٣٢.

(٢) **هو**: أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، أسلم بعد الفتح بقليل، وكان فارسًا مشهورًا، استعمله أبو بكر رضي الله عنه في حروب الردّة ولما فرغ سار إلى الشام مجاهدًا، استشهد يوم اليرموك سنة ١٥هـ وقيل يوم أجنادين أو مرج الصفر سنة ١٣هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١٠٨٢/٣، الإصابة لابن حجر ٤٤٣/٤.

(٣) انظر: معالم التنزيل ٢٩٤/٦، تفسير الخازن ٤٠١/٣، ولم أقف على سندٍ لهذه الرواية.

(٤) سورة لقمان: آية ٣٤.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٨٥/١٨ بسنده عن مجاهد، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٦٢/١١ وزاد نسبته إلى الفريابي وابن أبي حاتم، وهذا مرسل صحيح الإسناد. وأورد نحوه منسوبًا إلى عكرمة وعزاه إلى ابن

=

الراجح فيما قيل في أسباب نزول آيات سورة لقمان:

يتَّضح مما سبق بعد تخريج الآثار ودراستها بإجمالٍ أنَّ ما ورد في أسباب نزول سورة لقمان لا يخرج عن **حالين**:

◄ **إمَّا أن يكون ضعيفًا**، كالسبب الوارد في المواضع: الأول، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن.

◄ **وإمَّا أن يكون صحيحًا**، لكنْ جعله سببًا لنزول الآية يعتريه بعض الإشكال، كالسبب الوارد في المواضع: الثاني والثالث والرابع. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

=

المنذر، وأورده القرطبي في الجامع منسوبًا إلى مقاتل ٤٩٧/١٦، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص(٣٤٧) ولم يُسَمِّ من رواه ، وذكره جملة من المفسرين، انظر: النكت والعيون ٣٥١/٤، معالم التنزيل ٢٩٤/٦، المحرر الوجيز ٦٢/٤، تفسر القرآن العظيم لابن كثير ٨٦/١١، التحرير والتنوير ١٩٧/٢١. واختلفت الروايات في اسم السائل، قيل هو: "الوارث بن عمرو"، وقيل: "الوارث من بني مازن بن حفصة"، وقيل: "الحارث بن عمارة المحاربي" وقيل: الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب"، وقيل: "الوارث بن عمرو بن حارثة.

المبحث الثاني

مقاصد سورة لقمان وأهدافها

وفيه مطلبان

المطلب الأول	المراد بمقاصد السور وأهميتها
المطلب الثاني	المقاصد والأهداف في سورة لقمان

المطلب الأول | المراد بمقاصد السور وأهميتها

المقاصد لغةً: جمعُ "مَقْصِد" وهو مَوضعُ القَصْد، يُقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً ومَقْصَدًا. والقَصد يأتي لمعانٍ عدَّة في اللّغة، منها[١]:

– **الأَمُّ والاعتمادُ والتوجُّهُ**، ومنه قولهم: "قَصَدَ فُلانًا" إذا أمَّهُ وتوجَّهَ إليه.

– **استقامة الطريق**، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾[٢]، أي: السبيل المستقيم القاصد الذي لا اعوجاج فيه[٣].

– **الاعتدال والتَّوسُّط**، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[٤].

فالمقصد: هو العمدة الذي يتجِّه إليه الكلام ويرجع إليه[٥].

والمراد بمقاصد سور القرآن: المرامي والأهداف التي تدور معاني السورة القرآنية حولها[٦].

ومعرفة مقاصد سور القرآن: ممَّا يعين على التدبر والفهم الصحيح لكتاب الله تعالى.

• يقول البقاعي رحمه الله في الغاية من معرفة مقصود السور: ((**وغايته:** معرفة الحق من تفسير كلِّ آيةٍ من تلك السور، **ومنفعته:** التبحُّر في علم التفسير، فإنَّه يُثمر التيسير والتسهيل،

---

(١) انظر: مادة "**قصد**" في: معجم مقاييس اللغة، لسان العرب، تاج العروس. وانظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي ص ٢٧.

(٢) سورة النحل: من الآية ٩.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ١٧/١٧٤، أضواء البيان للشنقيطي ٢/٣٣٥.

(٤) سورة فاطر: من الآية ٣٢.

(٥) انظر: علم مقاصد السور للدكتور محمد الربيعة ص٧.

(٦) انظر: علم مقاصد السور للدكتور محمد الربيعة ص٧، مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير للشيخ صالح آل الشيخ (المكتبة الشاملة) ص٧.

فينشغل به قبل الشروع في التفسير، فإنَّه كالمقدِّمة له من حيث إنَّه كالتعريف؛ لأنَّه معرفة تفسير كلِّ سورةٍ إجمالًا))[١].

• وقال: ((مَنْ حقَّق المقصودَ من السورة: عرف تناسُبَ آيِهَا، وقصصَها، وجميعَ أجزائها))[٢].

اختلاف المقاصد عن الموضوعات: مقاصد السورة تختلف عن **موضوعاتها**؛ من جهة أنَّ **الموضوعات** هي المعاني الظاهرة التي تبينها الآيات المشتملة على الأحكام والقصص والأمثال ونحوها.

أمَّا **المقاصد** فهي المعاني الخفيَّة، والخيوط الرفيعة التي تجمع تلك الموضوعات المتعدِّدة في السورة الواحدة [٣].**والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

(١) مصاعد النظر ١/١٥٥.

(٢) مصاعد النظر ١/١٤٩

(٣) انظر: المحرر في علوم القرآن ص(٢٠٩).

المطلب الثاني | المقاصد والأهداف في سورة لقمان

بعد إنعام النظر الشمولي والتأمُّل الكلِّي في الآيات المباركات من سورة لقمان بحثًا عن مراميها ومقاصدها يُمكن تلمُّسها في مقصدين رئيسين تدور حولهما السورة، وهما: **الحكمة والشكر**.

أولاً: مقصد الحكمة

أظهرُ مقصدٍ في هذه السورة الحكيمة هو "**إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمةُ مُنْزِله سبحانه** ".

وهو ما صرَّح بذكره البقاعي رحمه الله حيث قال: ((**مقصودها**: إثبات **الحكمة** للكتاب اللازم منه حكمة مُنْزِله سبحانه في أقواله وأفعاله))[(١)].

والناظر في اسم السورة وافتتاحيتها وخاتمتها، وما ورد في سبب نزولها، وفي موضوعاتها وتضاعيفها، يرى أنَّ روح الحكمة تسري في آياتها، من فاتحتها حتى خاتمتها، وأنَّ فيها "دعوة إلى الإيمان بالله بما اتَّفقتْ عليه الحكمة المنزلة، والحكمة المأثورة عن لقمان"[(٢)].

ويمكن تجلية هذا المقصد وفق المعالِم الآتية:

(١) حكمة الكتاب الكريم

جاء هذا الوصف للقرآن في افتتاح السورة الكريمة، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾، شهادة من الله عز وجل بأنَّ هذا القرآن كتابٌ محكمٌ، لا خلل فيه ولا تناقض، وأنَّه حكيم فيما يُرشد إليه من هدىً وتشريع، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[(٣)]. "واختيار وصف الكتاب هنا **بالحكمة**؛ لأنَّ موضوع الحكمة مكرَّرٌ في هذه السورة،

---

(١) مصاعد النظر ٣٥٦/٢.

(٢) مقتبسٌ من: الموسوعة القرآنية (خصائص السور) ٣٣/٧.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٩.

فناسب أن يختار هذا الوصف من أوصاف الكتاب في جَوِّهِ المناسِب على طريقة القرآن الكريم"[١].

ومن مظاهر حكمة الكتاب: إخباره عن انقسام الناس إلى فريقين، فريقٍ متَّبعٍ مؤمنٍ، وفريقٍ معرِضٍ كافرٍ، قال الله تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال بعدها عن الفريق الآخر: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾. مَنْ آمن به نجى، ومَنْ كفر به هلك، وكتاب الله حكيم لاريب فيه، لا يضره من كفر به، والله غنيٌّ عن العالمين: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

ومن مظاهر حكمة الكتاب: النظر في المسالك التي سلكتها السورة في الدعوة إلى التوحيد.

■ فتارةً تأتي بتحريك العقل وتقليب النظر في ملكوت الله، كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

■ وتارةً بالوعد والوعيد: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾، وقوله:﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.

■ وتارةً بذكر خبر لقمان ووصايه لابنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن

---

(١) مقتبسٌ من: في ظلال القرآن ٥/٢٧٨٣.

يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى آخر الآيات.

■ وتارةً بالإشارة إلى أسلوب الحوار مع الآخر: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

■ وتارةً ببيان اضطرار الخلق إليه: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.

■ وتارة بالوعظ المباشر، كقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾.

(٢) حكمة الله عز وجل

مِنْ لازم إثبات الحكمة للكتاب -كما تقدَّم قبل قليلٍ- أن يكون مُنْزِلُه حكيمًا سبحانه، وجاء في ثنايا السورة بيانٌ لحكمة الله عز وجل في أقواله وأفعاله وتقديراته.

فمن ذلك أن الله وصف نفسه جل وعلا بالحكيم في هذه السورة في موضعين: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

ومن مظاهر حكمته سبحانه المذكورة في السورة: تسخير السماوات والأرض للإنسان والتمكين له في ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾.

ومن مظاهر حكمته سبحانه: إيتاؤه الحكمةَ لمن شاء من عباده، وفي السورة ذكرٌ للقمان الذي آتاه الله الحكمة، وأدرك جوهرها، وفيها بيانٌ أنَّ الحكمة الحقيقية هي ما يُستدل بها على معرفة الله وعبادته.

ومن مظاهر حكمته سبحانه: تقليب أحوال الناس بين الشدة والرخاء، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.

ومن مظاهر حكمته سبحانه: ما ذكره الله عز وجل مخبرًا به عن سعة علمه وكمال قدرته، بتمثيلٍ يقرِّب المعنى من الأذهان و "بشرحٍ يبلغ من القلوب كلَّ مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الألباب والبصائر" [(١)]، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

ومن مظاهر حكمته: "أنَّه يستأثر بعلم ما اقتضت حكمته عدم إبلاغه"[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

(٣) حكمة لقمان

أخذت وصايا لقمان حيِّزا من السورة، وجاءت "لتعرِّفنا على أدب تلقي الحكمة من الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾[(٣)]، وجاءت لترينا نماذج من حكمة الحكماء كنموذج على انطباق حكمة الحكماء مع ما أمر به القرآن، وكنموذج على الحكمة في هذا القرآن أصلًا. وتأتي القصة لترينا أدب الحكماء في نشر الحكمة وتعميمها، وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن يجب أن يوصَى به، وأن يُنشر ويبلَّغ."[(٤)] .

وهذه الوصايا نموذجٌ رائعٌ لتوضيح **الحكمة في العلاقات،** فالعلاقة بالله عز وجلَّ قائمة

---

(١) مقتبسٌ من: تيسير الكريم الرحمن ص (٦٥١).

(٢) مقتبسٌ من: التحرير والتنوير ٢١/١٨٠.

(٣) سورة لقمان: آية ١٢.

(٤) مقتبسٌ من: الأساس في التفسير ٨/٤٣١٧.

على توحيده وشكره على نعمتيْ الإيجاد والإمداد: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾، ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، والعلاقة بالوالدين قائمة على البر والإحسان والشكر وإن كانوا مشركين، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1]، والعلاقة بالأبناء قائمةٌ على التربية الحسنة والوعظ والرحمة، والعلاقة مع الناس عمومًا قائمةٌ على حسن الخلق والنصح والصبر والتواضع: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

وختام السورة جاء بالأمر بتقوى الله ومراقبته، بأنْ يخشى الإنسان اليوم الآخر الذي لا ينفعه فيه إلَّا عمله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾. وهو ما جاء متوافقًا مع موعظة لقمان لابنه:﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

ثانيًا: مقصد الشكر

ومن مقاصد السورة: بيان الآيات والنعم والدعوة إلى الإيمان والشكر، وآيات السورة تدور في فلك تعداد النِّعم الحسِّيَّة والمعنوية[2].

وابتدأت السورة بذكر أعظم وأجلِّ نعمةٍ وهي: إنزال القرآن الكريم، وشكر هذه النعمة

---

(١) سورة لقمان: آية ١٤-١٥.

(٢) مستفاد من التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٦/٢٦.

يكون بالإيمان به وتصديقه، أما من استكبر وأعرض عنه فهو كافرٌ، متوعَّدٌ بالعذاب الأليم.

ثمَّ تتابعت الآيات في لفت النظر إلى عِظم خلق الله عز وجل، وحكمة الخالق وقدرته، وتسخيره الموجودات لنفع الإنسان، وإسباغه للنعم، قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.

والحكاية عن لقمان ووصاياه التي سُمِّيت باسمه السورة، هي نموذجٌ لعبدٍ صالحٍ آتاه الله الحكمة، فقابل نعمة الله بالشكر واستخدمها في الدعوة إلى الله وإخلاص النصح لعباد الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ والآية فيها ذكرٌ لنعمة الحكمة وأمرٌ صريحٌ بالشكر عليها.

وجاء ختام السورة في التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا، والحث على تقوى الله وطاعته وشكر نعمته للنجاة في اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾.

ثالثًا: المقاصد الجزئية في السورة

والسورة العظيمة لم تخْلُ من مقاصد فرعيَّةٍ لها اتصالٌ بنحْوٍ ما مع المقصدين الأساسين لها، مثل:

- **مقاصد عقدية** (التوحيد، شكر الله، حكمته سبحانه وسعة علمه، إثبات البعث).

- **مقاصد شرعية** (عبادة الله، الصلاة، الزكاة، الإعراض عن اللغو، الصبر، الأمر بالمعروف..)
- **مقاصد تربوية** (تربية الأولاد، ذمُّ التقليد الأعمى، ذمُّ اتباع الهوى، ذمُّ التكبر والإعراض عن الحق..)
- **مقاصد اجتماعية** (العلاقة مع الناس عمومًا، العلاقة مع الوالدين)

• يقول الفيروز آبادي رحمه الله[١] عن مقاصد سورة لقمان: ((معظم مقصود السّورة: بشارة المؤمنين بنزول القرآن، والأمر بإقامة الصَّلاة، وأداءِ الزَّكاة، والشكاية من قومٍ اشتغلوا بلَهْو الحديث، والشكاية من المشركين في الإعراض عن الحقِّ، وإقامة الحجّة عليهم، والمِنَّة على لقمان بما أُعطِي من الحكمة، والوصيَّة ببرِّ الوالدين، ووصية لقمان لأولاده، والمِنَّة بإسباغ النعمة، وإلزام الحجّة على أهل الضَّلالة، وبيان أنَّ كلمات القرآن بحور المعاني، والحجَّة على حقِّيَّة البعث، والشكاية من المشركين بإقبالهم على الحقِّ في وقت المِحْنة، وإعراضهم عنه في وقت النعمة، وتخويف الخَلْق بصعوبة القيامة وهَوْلها، وبيان أنَّ خمسة علوم ممَّا يختصُّ به الربُّ الواحد تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٢]إلى آخرها)) [٣].

المقصد الأعظم والأشمل:

ويمكن القول بأنَّ المقصدين السابقين (الحكمة والشكر) ينطويان تحت مقصد أوسع وأشمل، يتمثل في المقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم هو **توحيد الله** والدعوة إليه، وبيان العقيدة الصحيحة.

---

(١) **هو**: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي، من أئمة اللغة رحل إلى بلدان طلبًا للعلم كالعراق والشام ومصر واليمن والهند، ولم يدخل بلدًا إلا وأكرمه صاحبها، ولي قضاء اليمن، من مؤلفاته: تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وعمدة الحكَّام فِي شرح عُمْدة الأحكام، والقاموس المحيط، توفي سنة ٨١٧هـ. انظر: البدر الطالع ٢/٢٨٠، طبقات المفسرين للأدنه وي ١/٣١٣.

(٢) سورة لقمان: آية ٢٧.

(٣) بصائر ذوي التمييز ١/٣٧١.

وقد أشار لذلك سيِّد قطب رحمه الله في حديثٍ ممتعٍ شيِّقٍ عن مقصود سورة لقمان، فيقول: ((وهذه السورة المكية نموذج من نماذج الطريقة القرآنية في مخاطبة القلب البشري، وهي تعالج **قضية العقيدة** في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، إنها القضية التي تعالجها السور المكية في أساليب شتى، ومن زوايا منوَّعةٍ، تتناول القلب البشري من جميع أقطاره وتلمس جوانبه بشتى المؤثرات التي تخاطب الفطرة وتوقظها.

هذه القضية الواحدة – قضية العقيدة – تتلخص هنا في: توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر آلائه، وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل، وفي اتباع ما أنزل اللّه والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات.

والسورة تتولى عرض هذه القضية بطريقةٍ تستدعي التدبر لإدراك الأسلوب القرآني العجيب في مخاطبة الفطر والقلوب، وكلٌّ داعٍ إلى الله في حاجةٍ إلى تدبُّر هذا الأسلوب.

إنَّها تعرض هذه القضية في مجال العرض القرآني وهو هذا الكون الكبير ... وهذا المجال الكوني يتكرر في القرآن الكريم، فيحيل الكون كلَّه مؤثراتٍ ناطقةً، وآياتٍ مبثوثةً عن الإيمان والشمائل ... ومع أنَّ القضية واحدةٌ ومجال العرض واحدٌ، فإنَّها تعرض في السورة أربع مرات في أربع جولات، تطوف كل منها بالقلب البشري في ذلك المجال الفسيح، مستصحبة في كل مرة مؤثرات جديدة، ومتبعة أسلوبًا كذلك جديدًا في العرض والتناول))[1].

ثمَّ مضى في تفسير السورة موضِّحا معالجة السورة لقضية العقيدة من خلال عدة جولات، وهي: الوحي، والحكاية والتوجيه غير المباشر (من خلال نفوسٍ آدميَّةٍ)، والدليل الكوني.

وتلخيصًا لما سبق فإنَّ سورة لقمان تدور حول نواحٍ ثلاث:

- العقيدة.
- والأخلاق.

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٧٨٠. وانظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن لعبد الله شحاته ١/٥١٥-٥٢٢.

◄ والأحكام.

وتخدم الأغراض الأساسية للقرآن وهي:

- تعريف الخلق بخالقهم.
- وبالغاية من وجودهم.
- وبالطريق الذي يعينهم على تحقيق الغاية التي خلقوا من أجلها.
- وبالنهاية التي هم سائرون إليها. **والله تعالى أعلم**.

۞ ۞ ۞

الباب الثاني

التناسق الموضوعي: دراسة تطبيقية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

مناسبات السورة الكريمة

وفيه مبحثان

المبحث الأول

مناسبة اسم السورة لموضوعاتها

وفيه مطلبان

المطلب الأول	دلالة أسماء السور على مسمَّياتها
المطلب الثاني	مناسبة اسم سورة لقمان لموضوعاتها

المطلب الأول	دلالة أسماء السور على مسمَّياتها

دلالة الاسم على مُسمَّاه:

الاسم رمزٌ يدلُّ على ماهيَّة المسمَّى ويميِّزه عمَّا سواه، وغالبًا ما تُعطينا الأسماء الانطباع الأوَّلي عن المسمَّى.

• يقول ابن قيِّم الجَوْزيَّة رحمه الله[1]: ((لـمَّا كانت الأسماء قوالبَ للمعاني، ودالةً عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباطٌ وتناسبٌ، وألَّا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلُّق له بها، فإنَّ حِكْمةَ الحكيم تأبى ذلك))[2].

وهذا القول وإنْ جاء في سياق حديثه رحمه الله عن الأسماء عمومًا، إلَّا أنَّ هذه القاعدة تنطبق على أسماء سور القرآن الكريم كذلك.

ربط أسماء السُّور بمُسمَّياتها:

انْتَبهَ إلى العلاقة بين أسماء سور القرآن ومضامينها ثُلَّةٌ من العلماء قديمًا وحديثًا.

• لذلك نجد الزَّرْكَشيَّ رحمه الله يقول: ((وينبغي النظر في وجه اختصاص كلِّ سورةٍ بما سُمِّيتْ به، ولا شكَّ أنَّ العرب تراعي في الكثير من المسمَّيَات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مستغربٍ يكون في الشيء من خُلُقٍ أو صفةٍ تخصُّه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمَّى، ويُسمُّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها. وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقرينه ذكر قصة البقرة

---

(١) **هو**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرْعي الدِّمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية، فقيهٌ أصوليٌّ مفسِّرٌ نحْويٌّ، لازم ابن تيمية، كان عالِمًا بالخلاف ومذاهب السلف، شجاعًا بالحقِّ، واسع المعرفة، مصنَّفاته نفيسةٌ منها: إعلام الموقعين، زاد المعاد، مدارج السالكين، وغيرها، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٧٠/٥، الوافي بالوفيات ١٩٥/٢.

(٢) زاد المعاد ٣٠٧/٢.

المذكورة فيها؛ وعجيب الحكمة فيها))[١].

• ويقول البقاعي رحمه الله: ((اسمُ كلِّ سورة مُتَرْجِمٌ عن مقصودها؛ لأنَّ اسم كلِّ شيءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسمَّاه الدالِّ إجمالاً على تفصيل ما فيه))[٢].

وهناك من يزعم بأنَّ صلة اسم السورة بموضوعاتها صلةٌ مبتورةٌ مبتوتةٌ، **وهذا غير صحيحٍ**؛ فإنَّ "اسم السورة لم يأتِ عبثًا، ولم يُشِر إلى جزئياتٍ جانبيةٍ، أو مسائل فرعيةٍ، بل على العكس من ذلك، فهو إمَّا أنْ يدلَّ على موضوعاتِ السورة تمامَ الدلالة، وإمَّا أنْ يشير إلى جوانب بارزةٍ قَصَدَ القرآنُ إظهارَها وإبرازَها ... وما قدْ يجده بعض الناس من عناوين لبعض السور لا تدلُّ على موضوعاتها في نظرهم، يحتاج منهم إلى إنعام نظرٍ وإجالةِ فكرٍ"[٣].

الاهتداء إلى مناسبة التسمية:

الاهتداء إلى سِرِّ تسمية السورة ومناسبة موضوعاتها بما سُمِّيت به يكون بأمرين[٤]:

أولاً: أن تكون تسميتها من باب أنَّ السورة انفردتْ بهذا الاسم أو القصة أو الحرف.

ثانياً: أنَّه يمكن بالتأمُّل الدقيق إيجاد مناسبةٍ ظاهرةٍ بين الاسم والغرض.

ويعرف هذا بتدبُّر اسم السورة الذي عرفت به، وتلمُّس المناسبة بينه وبين كلِّ موضوعٍ من موضوعات السورة، فيبدو جليًّا أنَّ أسماء السور لها أسرارها الحكيمة، ممَّا يدلُّ على حكمة منزل القرآن، ويشير إلى المناسبة اللطيفة بين اسم السورة وجميع موضوعاتها.

فمثلًا:

أ. **سورة البقرة**، وإن كانت قصَّتها لم تذكر في غير هذه السورة، إلَّا أنَّ الأعظمَ دلالةً من هذا السبب هو: كون القصة دالةً على حال بني إسرائيل مع أوامر الله تعالى، وتعنُّتهم

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٧٠.

(٢) نظم الدرر ١/١٨.

(٣) مقتبسٌ بتصرُّفٍ يسيرٍ من: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية للدكتور فضل عباس ص٣٩.

(٤) انظر: نظام القرآن وتأويل الفرقان للفراهي ص٦٢، علم مقاصد السور ص١٧، مقالات في علوم القرآن للدكتور مساعد الطيار ص٧١، الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٢٢١.

وتشدُّدهم وتمنُّعهم من تلقِّي أمر الله تعالى. وهذا في غاية المناسبة لسورة البقرة التي هي من أوائل السور المدنيَّة. والعهد المدني كان فيه إقرارٌ كثيرٌ من الأحكام الشرعية، وكان الأمر في أحكام الله أن تُنفَّذ، ولا يُتأخر فيها أو يُعترض عليها، فكأنَّ الاسم تنبيهٌ للمؤمنين، وتربيةٌ لهم على تلقي شريعة الله، وتحذيرهم من التشبه ببني إسرائيل أصحاب البقرة.

ب. **سورة الإخلاص**، فإنَّه لم يرد لفظ الإخلاص فيها، سوى أنَّ آياتها تدلُّ عليه، فهو إذاً مقصدها. والمقصد حقيقةً هو ما تهدي إليه معاني السورة وترجع إليه.

وبهذا يظهر أنَّ اسم السورتين دالٌّ على مضمونها، وهكذا. **والله تعالى أعلم**.

المطلب الثاني	مناسبة اسم سورة لقمان لموضوعاتها

تسمية السورة بـ"لقمان":

بالنظر إلى وجوه التناسب بين اسم (**سورة لقمان**) وموضوعاتها، يظهر أنَّ هناك تناسبًا ظاهرًا في تسميتها بـ"**لقمان**"؛ ذلك لانفرادها بذكر العَبْدِ الصالح ووصاياه الحكيمة عن باقي سور القرآن[١]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وجه المناسبة بين التسمية والمسمَّى:

يمكن تبيين مناسبة تسمية السورة لقمان بموضوعاتها بالوجهين الآتيين:

الوجه الأول: الترابط بين شخصية لقمان وموضوعات السورة

ذِكرُ لقمان الحكيم، وتسميةُ السورة باسمه فيه دلالةٌ على مقاصد السورة وأغراضها، كما تقدَّم بيانها[٣]. **وهي:**

١. ترسيخ العقيدة.

٢. بيان الحكمة.

٣. الحث على الشكر.

هذه المقاصد ذاتها تتَّصل بشخصية لقمان عليه السلام **كونه:**

١. عبدًا مؤمنًا بالله.

---

(١) انظر بحث تسمية السورة ص(٣٩).

(٢) سورة لقمان: الآيتان ١٢، ١٣.

(٣) انظر: ص (١٥٤-١٦٢).

٢. آتاه الله الحكمة.

٣. فقابَل ذلك بالشكر والامتثال لأمر الله.

• ولهذا قال عنه ابن كثير رحمه الله: ((كان رجلاً صالحًا ذا عبادةٍ وعبارةٍ وحكمةٍ عظيمةٍ))[١].

فكان من المناسب تسميتها بـ"**لقمان**"؛ لأنَّه بشخصيته الجامعة: للإيمان، والحكمة، والشكر، ووصاياه الجليلة جاءت متوافقةً مع ما بيَّنه الله في السورة من حكمةِ الكتاب، وحكمةِ مُنَزِّله سبحانه وتعالى، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة اللازم منها توحيد الله، وشكر المنعِم سبحانه.

• يقول البقاعي رحمه الله مبيِّنًا هذا الوجه من المناسبة: ((إثباتُ الحكمة للكتاب اللازمِ منه حكمةُ مُنَزِّله سبحانه في أقواله وأفعاله، وقصةُ لقمان عليه السلام المسمَّى بها السورة دليلٌ واضحٌ على ذلك))[٢].

الوجه الثاني: الترابط بين وصايا لقمان التربويَّة وموضوعات السورة

إذا ذُكر اسم **لقمان** عليه السلام فإنَّ الذهن يقفز إلى وصاياه التي أوصى بها ابنه، تلك الوصايا الجليلة التي جمعت جملة من الأسس التربوية الإيمانية في جوانب: **العقيدة والعبادة والمعاملة**.

١) ففي الجانب العقدي، يقول الله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[٤].

٢) وفي جانب العبادات، يقول الله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ

---

(١) البداية والنهاية ٣/٦.

(٢) مصاعد النظر ٢/٣٥٦.

(٣) سورة لقمان: آية ٦.

(٤) سورة لقمان: آية ١٦.

ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾[١]

٣) **وفي جانب المعاملات**، يقول الله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[٣]، ويقول سبحانه:﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾[٤].

وبنظرةٍ شاملةٍ للسورة يجد المتأمّل أنَّ السورة بمُجْمَلِها ذات مضامين تربويَّةٍ للعباد[٥]:

← ففيها تربيةٌ للخلق على الاستجابة لأمر الله بصرف عقولهم وأبصارهم إلى نوعين من الآيات: آيات الكتاب المسطور، وآيات الكون المنظور.

← وفيها جملةٌ من الأساليب التربوية الدعوية المؤثرة:

• **كالأسلوب المباشر في الأمر والنهي:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٦].

• **وأسلوب الترغيب والترهيب والوعد والوعيد:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٧.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٤.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٨.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٩.

(٥) انظر هذه المضامين في الكتب التي عُنيَت بإبراز الجوانب التربوية لسورة لقمان، **منها:** القيَم التربوية المتضمنة في سورة لقمان من خلال وصاياه لابنه لعبد العزيز أبو حسن، نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن لمحمد النابلسي، تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها د. عبد الله سلقيني، التفسير التربوي للقرآن الكريم (سورة لقمان: ٣/٥-١٦) لأنور الباز، المضامين التربوية لوصايا لقمان د. نوف التميمي.

(٦) سورة لقمان: آية ٣٣.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[١].

- **وأسلوب تقرير الحقائق:** ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾[٣].

- **وأسلوب لفت الانتباه للواقع:** ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾[٤].

- **وأسلوب إثارة الأذهان بواسطة الأسئلة:** ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٦]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾[٧].

- **وأسلوب ضرب المثل:** ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[٨].

- **وأسلوب القصة في ذكر قصة لقمان.**

فالسورة تضع طريقًا تربويًا لكلِّ من أراد الاستقامة على دين الله، لأنَّ الفطرة الإيمانية موجودةٌ عند البشر، وتظهر وقت الشدة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٩]. وهي بحاجةٍ لمن يوقظها ويوجهها.

وقد بيَّنت آيات السورة ذلك: بالالتزام بتوحيد الله ﷻ، واستشعار مراقبته، والطمع في

---

(١) سورة لقمان: آية ٦-٩.

(٢) سورة لقمان: آية ١-٣.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٣٤.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٦) سورة لقمان: من الآية ٢٥.

(٧) سورة لقمان: من الآية ٣١.

(٨) سورة لقمان: من الآية ٢٧.

(٩) سورة لقمان: من الآية ٣٢.

مغفرته، والخشية من عقابه، والشكر على النعمة، والصبر على البلوى، مع التزوّد بالأعمال الصالحة، والتفكر في بدائع صنع الله في الآفاق وفي الأنفس، ثم الانتقال إلى دعوة الناس، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والحرص على الآداب القويمة، والأخلاق الكريمة.

وقد رُوي عن أبِي ذَرٍّ ﷺ أنَّه قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «اتَّقِ اللَّه حيْثُما كنت، وأتْبِعِ السَّيّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ النَّاس بخُلقٍ حسَن»[(١)].

•**وتنبِّهُ الآيات إلى أهمية القدوة الصالحة،** وملازمة الرفقة الطيِّبة: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[(٢)]، وتؤكِّد على رفض التبعية العمياء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٣)]، وأن يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه، ثم بإصلاح أهله ومن حوله من الناس، وهو ما أرشدتنا إليه الآيات من فعل لقمان مع ابنه.

ومنخول القول:

أنَّ "السورة من بدايتها إلى نهايتها أدبٌ ربانيٌّ للعباد، وتوجيهٌ لسلوكهم، وتعديلٌ لمسارهم، وبيانٌ لفضله سبحانه وقدرته؛ حتى يعلم الإنسان أنَّه خُلِق لعبادة الله متحرِّرًا عن العبودية لغيره"[(٤)].

وأنَّ تسمية السورة بـ"**لقمان**"، والحديثَ عنه في السورة يؤكِّد ما تناولته السورة من موضوعاتٍ تتضافر لتؤكد أنَّ أهل الفطر السليمة هم من اعترفوا بوحدانية الخالق، واشتغلوا

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٥/٤، برقم (١٩٨٧)، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في معاشرة الناس، وقال: "حديث حسن صحيح"، وأحمد في مسنده ٣٥/ ٢٨٤، برقم (٢١٣٥٤)، والدارمي في سننه ١٨٣٧/٣، برقم (٢٨٣٣)، كتاب الرقاق، باب في حسن الخلق، والبيهقي في شُعب الإيمان ٣٨١/١٠، برقم (٧٦٦٣)، وحسَّنه الألباني في: صحيح الجامع الصغير ٨١/١، برقم (٩٧).

(٢) سورة لقمان: آية ١٥.

(٣) سورة لقمان: آية ٢١.

(٤) تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها د.عبد الله سلقيني ص١٤٣.

بشكره، و"النفوس متى صفا جوهرها، وأذعنت بالعبودية إلى بارئها، اهتدت إلى أنَّ شكره هو أول ما ينبغي أن يشتغل به العبد"[١]. **والله تعالى أعلم**.

(١) فتح الرحمن في تفسير سورتي الفاتحة ولقمان د. علي العريض ص٨٤.

المبحث الثاني

مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

وفيه مطلبان

المطلب الأول	مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها
المطلب الثاني	مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

المطلب الأول	مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

توطئة:

فاتحة السورة بمثابة المقدِّمة للسورة، والتمهيد لما سيأتي ذكره من موضوعاتٍ ومعانٍ فيها، وقد اعتنى طائفةٌ من علماء التفسير وعلوم القرآن بفواتح السور ومناسبتها لمضمونها بشكلٍ عامٍّ، وبفواتح السور ومناسبتها لخاتمتها بشكلٍ خاصٍّ[(١)]؛ لكونهما أولَ وآخرَ ما يَقْرع الأسماع، وهذا الباب بلا شكٍّ وجهٌ بديعٌ من وجوه إعجاز القرآن.

وبالحديث عن مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ من فنون البلاغة عند أهل البيان ما يسمَّى بـ "**حسن الابتداء أو حسن المطلع**":

وهو: أن يُتأنَّق في أول الكلام[(٢)].

• يقول ابن القيم رحمه الله: ((وذلك دليلٌ على جودة البيان، وبلوغ المعاني إلى الأذهان، فإنَّه أول شيءٍ يدخل الأذن، وأول معنى يصل إلى القلب، وأول ميدان يجول فيه تدبر العقل، وهو في القرآن العظيم على قسمين: جليٍّ وخفيٍّ.

أمَّا الجليُّ فكقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]. وكقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[(٤)]... وأكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط.

---

(١) من ذلك: الزركشي في البرهان في النوع السابع والثامن، والسيوطي في الإتقان في النوع الستين والحادي والستين، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي، التحرير والتنوير لابن عاشور، ومن الكتب المعاصرة: فواتح سور القرآن الكريم وخواتيمها: أنواعها ودلالاتها ومناسباتها د.عبد العزيز الخضيري (رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود ١٤١٣هـ)، فواتح سور القرآن د.حسين نصار مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٢) بديع القرآن لابن أبي الأصبع ٦٤/٢، الإتقان ١٨٣٠/٥.

(٣) سورة الفاتحة: آية ٢.

(٤) سورة الأنعام: من الآية ١.

وأمَّا الخفيُّ فمثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[١]... وما يجري مجرى ذلك من السور التي افتتحت بالحروف المفردة والمركبَّة))[٢].

ومن الابتداء الحسن نوعٌ أخصُّ منه يُسمَّى **"براعة الإستهلال"**:

وهو: أنْ يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله[٣].

وجميع سور القرآن جاءت بأحسن الابتداءات وببراعة الاستهلالات.

فاتحة سورة لقمان ومناسبتها لموضوعاتها:

❖ قال الله تعالى في مفتتح سورة لقمان: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٤].

افتتحت السورة بالأحرف المقطعة (الم)، والافتتاح بهذه الأحرف فيه شدٌّ لانتباه السامعين، وتهيئةٌ لهم لسماع ما سَيَرِد بعدها من آياتٍ، أعقبها ذكرٌ لآيات الكتاب الحكيم، وما من سورة بُدئت بالحروف المقطَّعة، إلَّا كان فيها احتجاجٌ للقرآن وتقرير نزوله من عند الله، ودحضٌ لدعاوى من جادلوا فيه[٥]، وتقدَّمت الإشارة إلى الخاصيَّة اللطيفة التي تحملها السور المبدوءة بهذا النوع من الافتتاح، وهو أنَّ الموضوعات التي تتناولها تشمل أمورًا ثلاثةً: بدء الخلق، والتشريع، والبعث[٦].

---

(١) سورة البقرة آية ١-٢.

(٢) الفوائد المشوِّق ص(١٣٧).

(٣) الإتقان ٥/١٨٣٠.

(٤) سورة لقمان: آية ١-٥.

(٥) الإعجاز البياني للقرآن لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ص(١٨٠)، دراسات قرآنية لمحمد قطب ص(١٩١).

(٦) انظر من هذا البحث: ص (٩٩)

وموضوعات السورة تشمل أربعة أمور:

الموضع الأول: انقسام الناس إلى مؤمن بالكتاب منتفعٍ بهديه، وكافر به مُعرضٍ عن آياته.

ومناسبة هذا الموضوع بفاتحة السورة ظاهرةٌ: فإنَّه سبحانه لما أشار إلى القرآن الكريم وآياته الحكيمة، عَطَف سبحانه بذكر المؤمنين الذين أحسنوا العمل وانتفعوا بالقرآن الكريم وأدركوا ما فيه من حكمةٍ، مخبرًا عن شيءٍ من صفاتهم وأنَّهم هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون باليوم الآخر، وأنَّ هذه الفئة هي التي نالت الفلاح الحقيقي والفوز الأخروي بالنجاة.

وبالمقابل أشار سبحانه إلى القسم الآخر، وهم من كفروا بآيات الكتاب، وأعرضوا عنه، وحُرِموا منفعته، فاستبدلوا الضلالة بالهدى، قال الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]

ومن تمام الحكمة أنه سبحانه وتعالى أخبر عن جزاء الفريقين، حتى لا يبقى عذرٌ لأحدٍ، فتوعَّد الكافرين المعرضين بالعذاب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[2]، ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3]، ووعد المؤمنين الطائعين بالثواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾[4]

وفي ثنايا السورة أيضًا ما يشير إلى انقسام الناس إلى فريقين: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ

---

(١) سورة لقمان: آية ٦-٧.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٦.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٧.

(٤) سورة لقمان: آية ٨.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢١.

ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[١].

الموضع الثاني: إقامة الأدلة الكونية على وحدانية الله جل وعلا، والدعوة إلى التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وبيان ألوان نعم الله على عباده.

وجه مناسبة هذا الموضوع لفاتحة السورة: أنَّ الله جلَّ وعلا كما أرسل الرسل وأنزل الكتب لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، ولإرشادهم إلى الحق، فإنَّه جعل في هذا الكون آياتٍ ساطعةً وبراهينَ قاطعةً تدل على قدرة الحكيم الخالق سبحانه وتعالى:

وفي كلِّ شيء له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحدُ[٢]

فآيات الكتاب المسطور تتضافر مع آيات الكون المنظور، لتنطق جميعها بوحدانية الخالق الحكيم، واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه.

من هذه الآيات التي تناولت هذا الموضوع: قول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[٦].

---

(١) سورة لقمان: آية ٢٢-٢٣.

(٢) نُسِب لأبي نواس كما في "المحاسن والأضداد" للجاحظ ١٢٠/١، ونُسِب لأبي العتاهية كما في "أحسن ما سمعت" لعبد الملك الثعالبي ٩/١. وانظر: زهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني ٣٠٨/١، الأغاني للأصبهاني ٣٩/٤.

(٣) سورة لقمان: آية ١٠.

(٤) سورة لقمان: آية ٢٠.

(٥) سورة لقمان: آية ٢٩.

(٦) سورة لقمان: آية ٣١.

ففي فاتحة السورة تقرير لحكمة القرآن، وفي هذه الآيات "دعوة للاهتداء بكتاب الله من خلال لفت نظر الناس إلى نعم الله التي تقتضي شكرًا"(١).

الموضع الثالث: الحديث عن حكمة لقمان عليه السلام، وعرض وصاياه الجليلة لابنه.

وجه مناسبة فاتحة السورة لهذا الموضوع: أنَّ في ذكر الكتاب الحكيم في فاتحها، وتخصيصه بهذا الوصف: ''براعةَ استهلالٍ'' للغرض من ذكر حكمة لقمان (٢).

فوصايا لقمان عليه السلام هي:

◀ نموذج لما في هذا الكتاب الحكيم من هُدىً ورحمةٍ وصلاحٍ للفرد والمجتمع في الحياتين الأولى والآخرة.

كما أنَّ منهج الفلاح وأسبابه ظاهرة في افتتاحية السورة وهو ما تضمنته أيضًا هذه الوصايا(٣).

• يقول ابن عاشور رحمه الله: ((وفي وصف الكتاب بـ (رحمة) بعد (هدى)؛ لأنَّه لما كان المقصد من هذه السورة قصة لقمان، نبَّه على أنَّ ذكر القصة رحمة لما تتضمنه من الآداب والحكمة؛ لأنَّ في ذلك زيادةً على الهدى أنَّه تخلَّق بالحكمة، ومَنْ يُؤْتَ الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، والخير الكثير رحمةٌ من الله تعالى))(٤).

◀ وجاءت الإشارة في فاتحة السورة إلى مَن أعرض عن القرآن الكريم، وأقبل على اللهو الباطل، وتنكب عن سنن فطرة الله التي فطر الناس عليها، ثم أخبر الله ﷻ هنا عن لقمان عليه السلام الذي هداه سبيل الفطرة فلم تزغ به الشُّبَه، ولا تنكَّب عن سواء السبيل، فإنَّ الاعتراف بالخالق وتفرُّده بالعبادة ممَّا يصل إليه العقل وتدركه الفطر السليمة(٥).

---

(١) الأساس في التفسير ٨/ ٤٣٣٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١/١٤٠.

(٣) المضامين التربوية لوصايا لقمان د.نوف التميمي ص٣٥.

(٤) التحرير والتنوير ٢١/١٤١.

(٥) البرهان في تناسب سور القرآن ص١٤٥، التفسير الأدبي لسورة لقمان د.كامل الدقس ص٨٧.

الموضع الرابع: علم الله تعالى وقدرته لا يحدهما حدٌّ

آيات السورة من بدايتها إلى آخرها تقرِّر ذلك، ومناسبة هذا الموضوع لفاتحة السورة من الوضوح بمكانٍ، فإنَّ السورة افتتحت بالحروف المقطَّعة، وأتى بعدها ذكر القرآن الكريم، وفي ذلك "بيانٌ لإعجاز القرآن، وأنَّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنَّه مركَّبٌ من هذه الحروف المقطَّعة التي يتخاطبون بها"(١)، وما ذاك إلَّا لأنَّه من عند الحكيم العليم سبحانه وتعالى.

ثمَّ تضافرت الآيات في السورة، وتكاملت في الاستدلال على علم الله وقدرته وحكمته، فهو الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾(٢)، بل لا يمكن تصوُّر سعة علمه سبحانه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾(٣).

وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(٤). وقال سبحانه: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾(٥).**والله تعالى أعلم.**

❁ ❁ ❁

---

(١) مقتبسٌ من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥٦/١

(٢) سورة لقمان: آية ١٦.

(٣) سورة لقمان: آية ٢٧.

(٤) سورة لقمان: آية ١٠-١١.

(٥) سورة لقمان: آية ٢٨.

المطلب الثاني	مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

إنَّ الخاتمة لأيِّ نصٍّ تمثِّل نتيجته ونهايته، وكثيرًا ما تعود على بدء النص؛ لتذكِّر به، وتؤكِّد على ما جاء فيه، وتحقِّق التماسك معه.

خواتم السور مثل الفواتح في الحسن؛ لأنَّها آخر ما يقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنةً للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّفٌ إلى ما يُذكر بعْدُ. وهي بين أدعيةٍ ووصايا، وفرائض، وتحميدٍ وتهليلٍ ومواعظَ، ووعدٍ ووعيدٍ، إلى غير ذلك[1].

والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها وجهٌ بديعٌ من وجوه إعجاز هذا القرآن وحُسن نظمه، فآيات خاتمة السورة تأتي في سياقها الخاصِّ، وهي في ذات الوقت مرتبطةٌ مع افتتاح السورة ارتباطًا دقيقًا.

أوجه المناسبات بين فاتحة سورة لقمان لخاتمتها

الوجه الأول: فاتحتها حكمة الكتاب ووحدانية الله، وخاتمتها تقوى الله والعمل للآخرة.

يقول الله جلَّ وعلا في ختام سورة لقمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

لما قرَّر الله جل وعلا في مفتتح السورة حكمة الكتاب المنزل: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) انظر: البرهان للزركشي ١/ ١٨٢، الإتقان للسيوطي ٥/١٨٣٣.

ٱلۡحَكِيمِ ﴾[١]، وحكمة مُنْزِله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٢]، وما في السورة من إشارات وتصريحات، وحضٍّ على التمسك بالكتاب وطاعة الله ﷻ، وما فيها من براهين قاطعة على وحدانية الله ﷻ، وما فيها من تعداد لنعمٍ جليلة يرفل فيها الخلق، جاء الختام الوعظي للسورة بدعوة الجميع إلى تقوى الله، والتحذير من الاغترار بالحياة الدنيا، والتخويف من يوم الحساب، والتأكيد على سعة علم الله وقدرته، فكان غايةُ المناسبة خَتْمَها بهذه الكلمات الجامعة لتلك المعاني، ولا أجمل من هذا الختام الشامل.

• وفي ذلك يقول الرازي ﷺ: ((لمَّا ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها: وعظ بالتقوى؛ لأنَّه تعالى لما كان واحدًا أوجَبَ التقوى البالغة)) [٣].

• ويقول البقاعي ﷺ: ((لما ظهرتْ - بما ذُكر في هذه السورة - دقائقُ الحكمة، وانتشرتْ في الخافقين ألوية العظمة ونفوذ الكلمة، وأعربتْ ألسن القدرة عن دلائل الوحدانية، فلم تدع شيئًا من العجمة، فظهر كالشمس، أنَّه لا بد من الصيرورة إلى يوم الفصل وختم بالمكذب، أمر سبحانه عباده عامَّةً عاصيهم ومطيعهم بالإقبال عليه، وخوَّفهم ما هم صائرون إليه)) [٤].

الوجه الثاني: المفتتح والمختتم تأكيدٌ على وعد الآخرة اليقيني.

من المناسبات التي تُظهر أنَّ السورة خُتِمتْ بما افْتُتِحتْ به: أنَّ في أول السورة ذكرًا لليوم الآخر في سياق مدح المؤمنين بيقينهم بوقوع اليوم الآخر: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[٥].

وجاء في آخرها التأكيد على الإيمان به والتحذير مما سيقع فيه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ

---

(١) سورة لقمان: آية ٢.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٩.

(٣) مفاتيح الغيب ١٦٣/٢٥.

(٤) نظم الدرر ٢١٠/١٥.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٤.

وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾[١]، وأن الله منفرد بعلم وقت وقوعه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٢].

الوجه الثالث: اتساق ختام السورة بفاتحتها في إثبات علم الله وخبرته وحكمته.

افتتحت السورة بالحديث عن آيات الكتاب الحكيم: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٣].

وخلالها تأكيد على أن كلمات الله لا تنفد: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[٤].

وختامها دليل وبرهان على علم الله المطلق وحكمته وقدرته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[٥].

• يقول البقاعي رحمه الله: ((انطبق آخر السورة – بإثباته الحكمة بإثبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التي هي مفتاح الدار الآخرة – على أوَّلها المخبر بحكمة صفته التي من علمها حقَّ عِلْمها، وتخلَّق بما دعتْ إليه، وحضَّت عليه لا سيما الإيقان بالآخرة، كان حكيمًا خبيرًا مهذَّبًا مهديًّا))[٦].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٣٣.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٣٤.

(٣) سورة لقمان: آية ١-٣.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢٧.

(٥) سورة لقمان: آية ٣٤.

(٦) نظم الدرر ٢٢١/١٥.

الوجه الرابع: في بداية السورة عن قدرة اللّه في الكون، وفي نهايتها تأكيدٌ لهذا المعنى.

• قال السيوطي رحمه الله: ((في صدر السورة قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[١]، وفي آخرها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾[٢]، ففي الفاتحة ذكرٌ لقدرة الله في الكون، وفي الخاتمة تأكيد على سعة علم الله وقدرته واستئثاره بمفاتح الغيب الخمسة))[٣]. **والله تعالى أعلم.**

(١) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٢) سورة لقمان: آية ٣٤.

(٣) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي ص١٤٥.

الفصل الثاني

موضوعات السورة الكريمة وتناسقها

وفيه مدخل وستة مباحث

مدخل	كيفية انقسام موضوعات سورة لقمان

سورة لقمان سورةٌ مكيَّةٌ، تناولت في طيَّاتها عددًا من الموضوعات العقدية والتشريعية والأخلاقية، شأنها شأن القرآن المكيَّ الذي يُعنى ببناء الشخصية الإسلامية، وذلك بترسيخ العقيدة الصحيحة ونبذ ما سواها من انحرافاتٍ، وتهذيب النفس، حتى ترقى هذه الأمَّة الوليدة، وتكون خيرَ أمَّةٍ أخرجت للناس.

"وغالب المكيِّ أنَّه مقرِّرٌ لثلاثة معان، أصلها معنى واحد، وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى:

أحدها: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق ...

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ ...

والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة".

"فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها؛ فراجع إليها في محصول الأمر، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك" (١).

وسبقت الإشارة إلى مقاصد السورة التي تتمثل في أمرين، وهما: (**الحكمة والشكر**)، وينطويان تحت مقصد أوسع وأشمل، يتمثل في المقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم هو: **توحيد الله والدعوة إليه، وبيان العقيدة الصحيحة**(٢).

فهذه السورة "نموذجٌ من نماذج الطريقة القرآنية في مخاطبة القلب البشري، وهي تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، إنَّها القضية التي تعالجها السور المكية في أساليب شتى، ومن زوايا منوعة، تتناول القلب البشري من جميع أقطاره وتلمس جوانبه بشتى المؤثرات التي تخاطب الفطرة وتوقظها، هذه القضية الواحدة- قضية العقيدة- تتلخص هنا في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر آلائه. وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حسابٍ دقيقٍ وجزاءٍ

---

(١) الموافقات للشاطبي (باختصار) ٢٦٩/٤.

(٢) انظر من هذا البحث: ص (١٥٤-١٦٢).

عادلٍ. وفي اتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات"[١].

وبعد التأمل في السورة وتفسيراتها، وبعد مطالعة الكتب[٢] التي عُنِيتْ بموضوعات السور، لاحتْ القِسْمة اللائقة لموضوعاتها أنْ تكون في ستة مقاطع، كلُّ مقطعٍ يحمل عنوان موضوعٍ تحدثت عنه الآيات، وهذه الموضوعات الستة بينها تناسقٌ وتناسبٌ.

فعلى هذا موزعة على المباحث الآتية:

المبحث الأول: موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. ويشمل الآيات: (١ – ٩).

المبحث الثاني: دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. ويشمل الآيات: (١٠– ١١).

المبحث الثالث: لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. ويشمل الآيات: (١٢– ١٩).

المبحث الرابع: تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس حيال ذلك. ويشمل الآيات: (٢٠ – ٢٤).

المبحث الخامس: إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق وقدرته، وأنه المستحق للعبادة. ويشمل الآيات: (٢٥ – ٣٢).

المبحث السادس: الدعوة إلى التقوى، وبيان اختصاص المولى بجوامع الغيب. ويشمل الآيات: (٣٣ – ٣٤).

❁ ❁ ❁

---

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٧٨٠.

(٢) **منها:** تفسير مفاتيح الغيب للرازي ١٣٩/٢٥، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٧/٢١، نظم الدرر ٣/٦، في ظلال القرآن ٢٧٨٠/٥، الأساس في التفسير ٤٣٠٥/٨، معارج التفكر ودقائق التدبر ٦٧٩/١١، التفسير الموضوعي لسور القرآن ٢٥/٦، محتويات سور القرآن الكريم لأحمد الطويل ص٢١١.

المبحث الأول

موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. الآيات (١ - ٩)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

افتتحت السورة الكريمة بالحروف المقطعة؛ تنبيهًا للأسماع، وإعجازًا للقرآن. أعقبها ذكرٌ للقرآن الكريم: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[1]. ووصف القرآن بـ (الحكيم) مناسبٌ لما ورد في السورة، فمقصد (الحكمة) ظاهر فيها: من ذلك ما تردد فيها من آيات دالة على عظيم حكمة الله سبحانه وتعالى في الخلق، وحكمته سبحانه في استئثاره بعلم الغيب، وإيتاء الله الحكمة لمن شاء من خلقه (لقمان عليه السلام نموذجًا)، والحكمة في علاقة الإنسان بغيره المستفادة من وصايا لقمان، فناسب أن يأتي هذا الوصف من أوصاف الكتاب في جوِّه المناسب على طريقة القرآن الكريم[2].

ثمَّ جاء في الآيات التي تلي هذا الافتتاح بيان لموقف الناس من القرآن الكريم بانقسامهم لفريقين: فريقٍ مفلحٍ، استجاب لآيات الله في الدنيا ونال الجنة في الآخرة، وفريقٍ خاسرٍ أعرض عن آيات الله في الدنيا ونال العذاب في الآخرة.

---

(١) سورة لقمان: آية ٢.

(٢)انظر: التحرير والتنوير ٢١/١٤٠، في ظلال القرآن ٥/٢٧٨٣، الأساس في التفسير ٨/٤٣٠٥. وتقدمت الإشارة إلى مقصد الحكمة في مقاصد السورة ص(١٥٤)

فالسورة الكريمة بدأت بالحديث عن القرآن، لأنَّ معالجة هذا الأمر يمثل أساسًا عظيمًا للإيمان وما يتبعه من استجابةٍ لأوامر الله سبحانه، ولأوامر رسوله ﷺ، فإذا تجلَّتْ حقيقة الوحي، وعرف الناس قدر نعمة القرآن، وأنَّه كتاب الله الحكيم، وأنَّه يهدي للتي هي أقوم، ويثمر فيمن آمن به واهتدى بهداه صلاحًا مع الله بإقامة الصلاة، يتبعه صلاحٌ مع الناس بإيتاء الزكاة، مع اليقين في اليوم الآخر مع ما يكون فيه من حساب، إذا عرف الناس ذلك أدركوا سبب الفساد الذي يقع فيه من لا يؤمن(١).

ومع أنَّ القرآن حكيمٌ، وآياته كلُّها هدًى ورحمةٌ ورشادٌ، يدعو إلى كلِّ خلقٍ كريمٍ، وينهى عن كلِّ خلقٍ لئيمٍ، إلَّا أنَّ كثيرًا من الناس حُرِموا الاهتداء بهديه؛ لأنَّهم أعرضوا واستكبروا واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. أمَّا مَنْ وفقَّه الله وعصمه – وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى الخلق – فإنَّه هدًى ورحمةٌ لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة (٢).

التَّناسق بين هذا الموضوع وموضوعات السورة:

هذه المقدمة لها علاقة وطيدةٌ ببقية موضوعات السورة كما تقدَّم بيانه في مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها(٣).

التَّناسق بين هذا الموضوع ومقاصد السورة:

لمقدمة السورة علاقة بمقاصدها، فكلام الله جل جلاله بجميع أنواعه من وعدٍ وإخبارٍ وأحكامٍ وأوامر ونواهٍ كلُّه حكمةٌ وهدايةٌ ورحمةٌ، بعكس كلام غيره المناقض له؛ فإنَّه لهْوٌ وعبثٌ، لا منفعة فيه، مملوءٌ بالضلال والتلبيس، ومبنيٌّ على الجهل المركَّب(٤).

فالقرآن الكريم كتابٌ حكيمٌ؛ لأنَّه من عند الحكيم سبحانه. ومن تمام عدله وحكمته إخباره بانقسام الناس إلى فريقين، وبيان جزائهم في الآخرة؛ حتى يحذر السامع من مصير

---

(١) انظر: تاريخ نزول القرآن د.محمد رأفت سعيد ص (٣٧٥)

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٦٤٦)

(٣) انظر: ص (١٧٧).

(٤) انظر: جنى القلب الهائم في مقاصد السور ومحاورها لعدنان عبد القادر ص(٢٤٥).

الهلاك، ويسعى لطريق النجاة.

كما أنَّ لهذه المقدمة علاقةً بمقصد (الشكر) حيث إنَّ من أجلِّ النِّعم على الناس إنزال الكتاب عليهم وإرسال الرسول إليهم؛ لما في ذلك من رحمةٍ بهم وهدى لهم، وأنَّ الذين عرفوا هذه النعمة وشكروها هم المتَّصفون بتلك الصفات الكريمة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخرة[1]. **والله تعالى أعلم**.

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن ٢٨/٦.

المبحث الثاني	دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. الآيات (١٠ - ١١)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

في هاتين الآيتين يوجه الله ﷻ الأنظار إلى عظيم قدرته، وجليل حكمته، وبديع خلقه في هذا الكون الكبير، فـ "بيَّن سبحانه قدرته العظيمة على خلق السماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما"[(١)] ، سماواتٌ بلا عَمَدٍ، وجبالٌ تحفظ توازن الأرض، ومخلوقاتٌ مبثوثةٌ بلا عَدٍّ، وماءٌ ينزل من السماء فيحيي البلاد والعباد بإذن الله، كلُّ ذلك بنظامٍ محكمٍ وتناسقٍ بديعٍ.

ثمَّ يقول سبحانه بعد ذلك: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[(٢)]، وفي هذا التحدي دلالةٌ كبيرةٌ على بطلان الشرك، وتبكيت المشركين.

التَّناسق بين هذا الموضوع ومقاصد السورة:

من الملاحظ أنَّ المنحى الرئيسي للسورة هو الكلام عن الحكمة: حكمة القرآن، وحكمة منزله سبحانه، وحكمة لقمان عليه السلام، والآيتان في هذا المقطع تتحدَّثان عمَّا يُبرهِن على حكمة الله الذي أنزل القرآن.

• يقول الطبري رحمه الله: ((ومن حكمته أنه ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ السبع ﴿ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾))[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٣٢.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١١.

(٣) جامع البيان ١٨/٥٤٢.

فالآيتان كانتا جسرًا للعودة إلى الكلام عن الحكمة الموجودة بهذا القرآن من خلال الكلام عن حكمة الله منزِّل هذا القرآن [١].

وذلك بعرض صفحة الكون الكبير برهانًا قاطعًا يطالع الفطرة من كلِّ جانبٍ، ويخاطبها بكلِّ لسانٍ، ويواجهها بالحقِّ الهائل الذي يمرُّ عليه النَّاس غافلين[٢].

أمَّا عن تناسق هذا الموضوع **لمقصد الشكر**: فإنَّ في هاتين الآيتين لفتُ نَظَرٍ لعظمة الخلق في الكون وحكمة الخالق وقدرته سبحانه، ومايوجبه ذلك من الإيمان به وشكر نعمته سبحانه[٣].

التناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق:

كان الحديث في آيات المقطع السابق عن آيات القرآن الكريم المشتمل على الحكمة والهداية، وموقف الناس منه، وبيان جزائهم؛ ولأنَّ وعد الله نافذٌ، وهو العزيز الحكيم سبحانه، جاءت الآيات لتبرهن على كمال سلطان الله الذي يقوم له كلُّ شيءٍ، وأنَّه لن يعجزه شيءٌ، وإنَّ من دلائل عزته ونفوذ سلطانه: خلق السماوات، وإقامتها بلا عمد، وتثبيت الأرض بالجبال الرواسي، ونشر مختلف الدوابِّ، وإنزال الغيث، وإنبات الزرع، وهذا أبلغ في الدلالة على القوة والعزة والسلطان، سبحانه هو العزيز الحكيم[٤].

وبعد أنْ أثبت جلَّ وعلا في آيات المقطع السابق حكمة آيات الكتاب المسطور، أردف ببيان حكمة آيات الكون المنظور، وختمت آيات الموضوع السابق بقوله تعالى: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥]، فبيَّن عزته وقوَّته وحكمته بقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[٦].

---

(١) انظر: الأساس في التفسير ٤٣١٢/٨.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٨١/٥.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن ٣١/٦.

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٥٦٠/١١.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٩.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٤٣/٢٥، اللباب في علوم الكتاب ٤٤٠/١٥.

• يقول البقاعي رحمه الله: ((لما ختم بصفتي العزة وهي غاية القدرة، والحكمة وهي ثمرة العلم، دلَّ عليها بإتقان أفعاله وإحكامِها فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أيْ: على عُلُوِّها وكبرها وضخامتها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾، وقوله: ﴿تَرَوْنَهَا ﴾ دالٌّ على الحكمة، إنْ قلنا إنَّه صفةٌ لعَمَدٍ أو استئنافٌ. أمَّا إنْ قلنا بالثاني، فلكون مثل هذا الخلق الكبير الواسع يحمل بمحض القدرة. وإنْ قلنا بالأول فتركيبُ مثله على عمد تكون في العادة حاملةً له، وهي مع ذلك بحيث لا ترى أدخل في الحكمة وأدقّ في اللطافة والعظمة؛ لأنَّه يحتاج إلى عملين: تخفيف الكثيف، وتقوية اللطيف))، ثم قال: ((ولما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته وحكمته، ثبتت ألوهيته، فألزمهم وجوب توحيده في العبادة كما توحَّد بالخلق؛ لأنَّ ذلك عين الحكمة، كما كان خلقه لهذا الخلق على هذا النظام ليدلَّ عليه سبحانه سر الحكمة، فقال ملقِّنًا للمحسنين من حزبه ما ينبِّهون به المخالفين موبِّخًا لهم مقبِّحًا لحالهم في عُدُولهم عنه مع علمهم بما له من التفرد بهذه الصنائع: ﴿ هَٰذَا ﴾ أيْ: الذي تشاهدونه كله ﴿خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ أي الذي له جميع العظمة فلا كفوء له))[1]. **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

(١) نظم الدرر ١٥/١٥٢-١٥٣. وانظر: روح المعاني ٢١/٨١، تفسير المراغي ٢١/٧٧.

المبحث الثالث	لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. الآيات (١٢ - ١٩)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

احتوت الآيات في هذا المقطع على وصايا لقمان الحكيم ومواعظه لابنه، فذكرتْ أنَّ الله سبحانه وتعالى قد آتى لقمان عليه السلام الحكمة، وأوجب عليه الشكر من أجلها، ونبَّهه على أنَّ الذي يشكر فإنَّما يفيد نفسه، وأنَّ الله غنيٌّ عمَّنْ يكفره، حميدٌ لمن يشكره، ثمَّ عَطَفَتْ على ذكر وصايا لقمان عليه السلام لابنه، حيث نهاه عن الشرك بالله، وأوصاه بجملةٍ من الوصايا التربوية، في مجال العبادة والمعاملات والآداب، وتخللت الوصية التذكير بحق الوالدين العظيم.

التَّناسق بين هذا الموضوع ومقاصد السورة:

جاءت هذه الآيات في نسقٍ جديد، نسقِ الحكاية والتوجيه غير المباشر على لسان رجل آتاه الله الحكمة[1]، ونقل هذه التجربة لمن يليه، ولما كانت (الحكمة) من مقاصد السورة، وجاء في ثنايا السورة الحديث عن حكمة الله جلَّ جلاله، وحكمة كتابة سبحانه، جاء الحديث هنا

(١) انظر: في ظلال القرآن ٥/٢٧٨٧.

عن لقمان عليه السلام ووصاياه الجليلة، لتبرهن أنَّ العقول الصحيحة والفِطر السليمة متى ما صفا جوهرها، وأعملت عقولها، أدركت أنَّ للكون إلهً، يستحق العبادة وحده دون سواه.

وحقيقٌ بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا بها، ولهذا مِن منَّة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قصَّ عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة(١).

تأتي قصة لقمان عليه السلام متضمِّنةً عجيبَ حاله في الاهتداء والحكمة، في صورةٍ متضادَّةٍ مع من حاله في الضلالة، ويعتني بلهو الحديث، ليضلَّ عن سبيل الله بغير علمٍ، ويتخذ آيات الله هزوا، والتي جاء الحديث عنها في مقدمة السورة(٢).

ومن الحِكم في كلام الله تعالى: أنَّه يتضمن دعوة الإنسان لأنْ ينتفع من تجارب الآخرين سواء في تعاملهم مع الله أو مع سائر الخلق، كتجربة لقمان عليه السلام في حياته، وفي وصاياه لابنه التي لا تخرج إلَّا من حكيم، ولا يتَّصف بها إلَّا حكيم(٣).

وهذا المقطع من السورة يعدُّ محورًا رئيسًا فيها، بما تضمَّنه من بيان نعمة الحكمة على لقمان، وما تضمنته تلك الحكمة من وصايا عظيمةٍ نافعةٍ لابنه، وكلُّ مَنْ ألقى السمع وهو شهيد من بعده، مع التوجيه بشكر النعمة فكان بيانًا صريحًا بنعمة الحكمة وأمرًا واضحًا بشكر تلك النعمة(٤).

التَّناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق:

جاء الكلام في هذه الآيات مستأنفًا لبيان بطلان الشرك عن طريق النقل، بنقل قصة العبد الحكيم الموحد لقمان، بعد أن سبق بيان بطلانه عن طريق العقل بعرض الأدلة الكونية(٥).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢١/١٤٨.

(٣) انظر: جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها ص(٢٤٧).

(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٦/٣٥.

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ٤/٣٧٥، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ١١/١١٧، التفسير الواضح لمحمد حجازي ٣/٤٧.

فلمَّا كان البيان في الآيات السابقة بفساد عقيدة المشركين بسبب عنادهم وإعراضهم بإشراك مَنْ لا يخلق شيئًا بمن خلق كلَّ شيءٍ، في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[١].

وبيَّن أنَّ المشرك ظالمٌ ضالٌّ، ذكر ما يدل على أن ضلالهم وظلمهم بسبب جهلهم وبعدهم عن الحكمة، وإن لم يكن هناك نبوَّة، فنعم الله الظاهرة في الكون، والباطنة في النفس كالعقل والعلم والحكمة ترشدان إلى وحدانية الله جل جلاله، وقد حباها الله لبعض عباده كلقمان عليه السلام[٢].

• يقول البقاعي رحمه الله: ((ولما ثبتت حكمته سبحانه وأنَّه أبعدهم عنها بما قضى عليهم من الجهل وغباوة العقل، وآتاها من تاب، واعتصم بآيات الكتاب، توقَّع السامع الإخبار عن بعض مَنْ آتاه الحكمة من المتقدمين الذين كانوا من المحسنين، فوضعوا الأشياء في مواضعها بأن آمنوا)) [٣].

فلما نفت الآيات السابقة الحكمة عن تلك الفئة من البشر التي طمس الهوى أعينها، وحبس الجهل مسيرهم في درب العلا والفلاح، جاءت الآيات لتثبت الحكمة لبعض أولياء الله الذين وحَّدوه وأحسنوا عبادته. **والله تعالى أعلم**.

(١) سورة لقمان: من الآية ١١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٤٦/٢٥، اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٤٤٤، السراج المنير ١٨٣/٣، تفسير المراغي ٧٩/٢١، التفسير المنير للزحيلي ١٤٤/٢١.

(٣) نظم الدرر ١٥٥/١٥.

المبحث الرابع	تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس حيال ذلك. الآيات (٢٠ - ٢٤)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.

يلفت الله جلَّ جلاله نظر العباد وفكرهم في هذا المقطع من الآيات إلى هذه النعم الجليلة التي يرفلون فيها، حيث سخَّر لهم ما في السماوات وما في الأرض، وعمَّهم بالنعم الظاهرة والباطنة، المحسوسة والمعقولة، ومع ذلك فمنهم من آمن، ومنهم من أعرض وجادل بغير علمٍ ولا هدًى، بل حتى حين تعرض عليهم الآيات ويقال لهم اتبعوا ما أنزل الله، يستكبرون عن الحقِّ ويفضِّلون تقليد الآباء في الضلال!

ثم قال مسليًّا النبي ﷺ وأتباعه المؤمنين: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾[1]، وقال ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾[2] من أعرض سيلقى جزاءه، ومن آمن واستجاب فقد تعلق بأوثق الأسباب الموصلة لرضوان الله، وإلى الله المصير.

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٢٢.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢٣.

التَّناسق بين هذا الموضوع ومقاصد السورة:

من تمام حكمة الله جلَّ جلاله أنْ نوَّع الآيات الدالة عليه في كتابه، وجاء بها في سياقات متعددة، وهذا المقطع ظاهر الصلة بمقاصد السورة فهو صريحٌ بفضل الله على عباده في إسباغ النعم الظاهرة التي يرونها، والنعم الباطنة التي يغفلون عنها، وهي من الكثرة والتنوُّع بحيث لا يحصرها عدٌّ ولا يحدُّها حَدٌّ، وكلُّ واحدةٍ منها تستحقُّ الشكر وترك الكفر(١)

جاء في هذا المقطع عرضٌ لمظاهر قدرة الله تعالى، وما فيها من الحكمة لمن يعنيه أن يكون من أهلها(٢).

وفي هذه الآيات مع ما يليها إلى ختام السورة دعوةٌ إلى الإيمان بما اتفقت عليه حكمة القرآن الكريم، وحكمة لقمان عليه السلام، فدعاهم إلى ما اتّفقت عليه الحكمتان من الإيمان به، وعاب عليهم أن يجادلوا فيه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٣)، **والعلم** إشارةٌ إلى الحكمة المأثورة، والكتاب إشارة إلى الحكمة المنزّلة وإنما هو تقليد لآبائهم من غير اعتماد على دليلٍ(٤).

ومع ذلك فإنَّ فئةً من الناس تمسَّكوا بعقيدة آبائهم مع ما فيها من ضلالٍ وسفهٍ، وأعرضوا عن هذا الكتاب الذي مُلِئَ حكمةً وعلمًا وهديًا.

إنَّ أبسط مقومات الحكمة غابت عن هذه الفئة، فهم لم يُعملوا عقولهم فيما يرون في هذا الكون، ولم يوقظوا قلوبهم فيما يسمعون من دعوة الحق، بل حتى جدالهم لم تقم لهم فيه حجة؛ لأنَّ جدالهم كان مبنيًّا على جهلٍ، ولم يستندوا إلى دليلٍ قاطعٍ، أو برهانٍ ساطعٍ، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٥).

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٣٧/٦.

(٢) انظر: التفسير الأدبي لسورة لقمان ص(١٤٠).

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٤) انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين ٣٤/٧.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

واتخذوا موقفًا سلبيًّا معارضًا؛ فاتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم وقومهم فضَلُّوا وأضلُّوا، واتفق هذا الموقف المعارض للحقِّ والحكمة، مع ما جاء ذكره في فاتحة السورة الذي تمثَّل في صورة مشترٍ للَّهْو، مُعرِضٍ عن الآيات القرآنية، مستهزئٍ بها.

التَّناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق:

كان في الآيات السابقة حكايةٌ عن لقمان عليه السلام الذي وافقت فطرته السليمة عقله الصحيح، ودلَّه ذلك على وجود خالقٍ مدبِّرٍ للكون يستحقُّ العبادة وحده دون سواه، ثمَّ جاءت الآيات في هذا المقطع تحمل الدلائل والبراهين لأصحاب الفطر السليمة والعقول السويّة بلفت النظر إلى جملة النعم التي يعيش الناس فيها، وفي ذلك توبيخٌ للمشركين على إعراضهم مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد عيانًا بيانًا في السماوات والأرض، وتسخير ما فيهما لمنفعتهم.

• يقول الرازي رحمه الله مظهرًا وجه التناسب والتناسق بين آيات هذا المقطع مع ما سبقه من آيات: ((لما استدلَّ بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾[1] على الوحدانية، وبيَّن بحكايةِ لقمان أنَّ معرفة ذلك غير مختصَّةٍ بالنبوة بل ذلك موافقٌ للحكمة، وما جاء به النبيُّ عليه السلام من التوحيد والصلاة ومكارم الأخلاق كلُّها حكمةٌ بالغةٌ، ولو كان تعبُّدًا محْضًا للزم قبوله، فضلًا عن أنَّه على وفق الحكمة، استدلَّ على الوحدانية بالنعمة؛ لأنَّا بيَّنا مرارًا أنَّ الملك يُخدم لعظمته، وإن لم يُنعِم، ويُخدم لنعمَته أيضًا، فلما بَيَّن أنَّه المعبود لعظمته بخلقه السماوات بلا عَمَدٍ، وإلقائه في الأرض الرواسي، وذكر بعض النِّعم بقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾[2]، ذكر بعده عامة النعم فقال: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[3]، أيْ: سخَّر لأجلكم ما في السموات وما في الأرض))[4].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ١٥٣/٢٥، وانظر: تفسير المراغي ٩٠/٢١، التفسير المنير ١٥٨/٢١، التفسير الواضح ٥٠/٣.

ففي هذا المقطع وصلٌ بين أجزاء المشهد الذي بُدِئَ بحكايته في آيات السورة الأولى والذي اعترضته آيات لقمان على سبيل الاستطراد وضرب المثل إذا ما أمعن النظر فيها[١]. **والله تعالى أعلم.**

(١) انظر: التفسير الحديث ٤/٢٥٤.

المبحث الخامس	إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق، واستخفافه للعبادة. الآيات (٢٥ - ٣٢)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.

يبيِّن الله جلَّ جلاله في هذا المقطع من السورة عظمة خلقه وجميل إنعامه على البشر، وابتدأه بالإخبار عن هؤلاء المشركين أنَّهم في قرارة نفوسهم يعرفون أنَّ الله تعالى خالق السماوات والأرض، ومع ذلك فهم يشركون معه غيره، فلم ينفعهم إقرارهم في حقيقة الأمر.

ثمَّ أتبعها بصورةٍ بيانيةٍ بديعةٍ تظهر سعة علمه سبحانه، وعظمته وكبريائه، وكلماته التي لا يحيط أحدٌ بها علمًا، ولا اطلاع لبشرٍ عليها: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[1].

وهذه الآيات الدالَّة على قدرته سبحانه وكمال علمه تُبطل إنكارهم للبعث، إذ من كان هذا علمه وقدرته فإنَّه لا يعجزه إخراج الموتى من القبور، بل جاءت الآيات لتؤكد هذه الحقيقة

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٢٧.

بأبعد من ذلك، فخَلْقُ جميع المخلوقات وبعثُها بعد الموت كخَلْقِ نفسٍ واحدةٍ وبعثها.

ثمَّ تتابعت الآيات القرآنيَّة بعرض جملةٍ من الآيات الكونيَّة، آية الليل والنهار، وآية الشمس والقمر، وآية الفلك التي تجري في البحر، ثمَّ عرضت لموقف اضطراب البحر، وحال الناس حين يحيط بهم الموج من كل جانب، ويوشكون على الهلاك، أنهم يلجؤون إلى الله الواحد سبحانه، يدعونه ليكشف ما بهم من ضرٍّ، ثمَّ إذا نجوا، اختلفت مواقفهم: فمنهم مَنْ آمن، ومنهم مَنْ جحد وكفر.

التَّناسق بين هذا الموضوع ومقاصد السورة:

يأتي سياق هذه الآيات في نسقٍ متوائمٍ مع مقاصد السورة الكريمة، ففي عرض هذه الآيات الكونية والنعم العظيمة والحقائق الدالة على سعة علم الله سبحانه وقدرته، استمرارٌ بالدعوة إلى الإيمان بما اتفقت عليه حكمة القرآن الكريم، وحكمة لقمان عليه السلام، كما مرَّ في المقطع السابق، فدعاهم سبحانه إلى ما اتّفقت عليه الحكمتان من الإيمان به[١].

ومقصد الحكمة ظاهرٌ هنا أيضًا في إقامة الحجج على المخالفين:

فإقرارهم بربوبية الله سبحانه حجَّةٌ عليهم في استحقاقه سبحانه التفرُّد في الألوهية.

وبيان موقفهم في حال الاضطرار ونزول النوازل كحالهم حين ركوب البحر: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٢] حجَّةٌ عليهم في أنه سبحانه هو المستحقُّ للعبادة.

والملاحظ هنا افتتاح آيات المقطع ببيان إقرار المشركين بربوبية الله، وختامها باعترافهم بتفرده في العبادة إذا نزلت بهم النوازل، بدليل دعاؤهم إياه وحده حال الضرِّ، ففي بداية المقطع "ذكر أنَّ الكلَّ معترفون به، غير أنَّ البصير يدركه أولًا، ومَن في بصره ضعفٌ لا يدركه أولًا، فإذا غشيه موجٌ ووقع في شدَّةٍ، اعترف بأنَّ الكلَّ من الله، ودعاه مخلصًا، أيْ: يترك كلَّ مَنْ عداه، وينسى جميعَ مَنْ سواه"[٣] وفي ذلك بيان لما هم فيه من ضلالٍ وتناقضٍ، وبُعْدٍ عن الحكمة،

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين ٣٤/٧.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٣٢.

(٣) مقتبس من مفاتيح الغيب للرازي ١٦٣/٢٥.

كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[١].

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ في إعلام الله لخلقه بكمال قدرته في الخلق، وتمام إحاطته في العلم نعمةً تستوجب الشكر، وحكمةً تدعو إلى الإيمان والخضوع له جلَّ جلالُه، وفي تعداد النعم التي يسرها الله تعالى، فعظُم الانتفاعُ بها ما يوجب على العباد الشكر، وصرْف العبادة لموجدها ومسخِّرها سبحانه[٢].

التَّناسق بين هذا الموضوع والموضوع السابق:

بعد أنْ ذكر الله سبحانه في المقطع السابق تسخيرَ ما في السماوات والأرض، وإسباغَ نعمه على عباده ظاهرًا وباطنًا، وانقسامَ الناس مع ذلك إلى مؤمنٍ وكافرٍ وجدالِ بعضهم بغير علمٍ، جاءت هذه الآيات لتذكِّر ببعض النِّعم التي في السماوات والأرض، كتقلب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، وجريان الفلك في البحر، ولتؤكد وحدانية الله جل وعلا، واعتراف المشركين بذلك في قرارة نفوسهم.

• يقول البقاعي رحمه الله: ((ولما كان من أعجب العجب مجادلتهم مع إقرارهم بما يلزمهم قطعًا التسليم في أنَّه الواحد لا شريك له، وأنَّ له جميع صفات الكمال فله الحمد كله، قال: ﴿وَلَئِن﴾ أيْ: يجادلون أو يقولون: بل نتبع آباءنا والحال أنهم إنْ ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بأسرها، ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾، وجميع ما فيها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾. وبذلك أقرُّوا بأنَّ كلَّ ما أشركوا به بعضُ خَلْقِه، ومصنوعٌ من مصنوعاته))[٣].

• وللرازي رحمه الله توجيهٌ لطيفٌ في تناسق هذه الآية التي فيها اعترافُ المشركين بربوبية الله تعالى مع ما قبلها، فيقول: ((الآية متعلِّقةٌ بما قبلها من وجهين، **أحدهما**: أنَّه تعالى لما استدلَّ بخلق السموات بغير عمدٍ، وبنعمه الظاهرة والباطنة، بيَّن أنَّهم معترفون بذلك غيرُ منكرين له،

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٣٢.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٤٢/٦.

(٣) نظم الدرر ١٩٢/١٥ بتصرّف يسير.

وهذا يقتضي أن يكون الحمد كلُّه لله، لأنَّ خالق السموات والأرض يحتاج إليه كلُّ ما في السموات والأرض، وكون الحمد كلِّه لله يقتضي ألَّا يُعبد غيره، لكنَّهم لا يعلمون هذا.

والثاني: أنَّ الله تعالى لما سلَّى قلبَ النبيِّ ﷺ بقوله: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم﴾[1] أيْ: لا تحزنْ على تكذيبهم، فإنَّ صدقك وكذبهم يتبيَّن عن قريبٍ عند رجوعهم إلينا، قال وليس لا يتبيَّن إلَّا ذلك اليوم، بل هو يتبيَّن قبل يوم القيامة؛ لأنَّهم معترفون بأنَّ خلق السموات والأرض من الله، وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبيِّن كذبهم في الإشراك، فقُلِ الحمد لله على ظهور صدقك، وكذبِ مكذِّبِيك، بل أكثرهم لا يعلمون))[2]. **والله تعالى أعلم**.

(١) سورة لقمان: من الآية ٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥٦/٢٥.

المبحث السادس	الدعوة إلى التقوى، وبيان اختصاص الله بمفاتح الغيب. خاتمة السورة (وعظ وتذكير) الآيات (٣٣ - ٣٤)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾.

في هذا المقطع الأخير للسورة الكريمة، يختم الله جل وعلا الآيات بدعوة الناس جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، برِّهم وفاجرهم إلى تقواه سبحانه، والاستعداد لليوم الذي لا مفرَّ منه، يومَ لا يغني والدٌ عن ولده شيئًا، وحذَّرهم من الاغترار بالدنيا.

ثمَّ عطف ببيان علم الله الشامل، واختصاصه بأمورٍ تُعَدُّ هي جوامع الغيب كلِّه: فعنده علم الساعة، وإنزال الغيث، وعلم ما في الأرحام، ويعلم ما تكسبه كلُّ نفسٍ في غَدِها، ويعلم بأيِّ أرضٍ تقبض روحها، هو المختصُّ سبحانه بعلم ذلك أجمع، وهو العليم الخبير.

التَّناسق بين هذا الموضوع ومقاصد السورة:

تتجلَّى بوضوحٍ حكمة الحكيم سبحانه في اختيار هذه الآيات لختام السورة. فأَمْرُ الناس بالتقوى، والتذكيرُ باطِّلاع الله عليهم، وتأكيدُ سعة علمه وقدرته سبحانه، هو أنسب ختامٍ لهذه السورة الكريمة، فكأنَّها تعرض النتيجة بعد كلِّ ما تقدَّمها من آياتٍ وحججٍ وبراهين.

• يقول ابن عاشور رحمه الله: ((وموقع هذه الآية بعد ما تقدَّمها من الآيات، موقعُ مقصد الخطبة بعد مقدِّماتها، إذْ كانت المقدِّمات الماضية قد هيَّأت النفوسَ إلى قبول الهداية والتأثر بالموعظة الحسنة، وإنَّ لاصطياد الحكماء فرصًا يحرصون على عدم إضاعتها)) [1].

---

(١) التحرير والتنوير ١٩٢/٢١.

ثمّ إنَّ خَتْم السورة بالأمر بالتقوى متَّفِقٌ مع ما جاءت به الحكمةُ المنزلة، والحكمةُ المأثورة عن لقمان عليه السلام[١]. فكأنَّ هذه الخاتمة خلاصةٌ تُحمل مضمون الحكمتين اللَّتين ذُكِرَتا في السورة، وبذلك يظهر تناسقها مع **مقصد (الحكمة)**.

كما أنَّ لهذه الخاتمة تناسقًا مع **مقصد (الشكر)** أيضًا، وذلك لما في الآيات من تذكير الإنسان الشاكر للنعم والكافر بها، والذاكر للآيات المعتبر بها والمعرض عنها، وحثِّه بالمسارعة بتقوى ربه وطاعته وشكر نعمته لينجو في آخرته، وتحذيره من الإعراض عن آيات الله وكفر نعَمه، والاغترار بشهوات الدنيا وزينتها، فيخسر آخرته، وذلك هو الخسران المبين[٢].

التَّناسق بين هذا الموضوع وما سبقه من موضوعات:

أحكم الله حججه وبراهينه في تقرير مسائل هذه السورة، فأثبت الوحدانية، ونفى الشريك، وأثبت البعث، وذكر حكاية لقمان، وحضَّ على مكارم الأخلاق، وذمَّ التقليد الأعمى، وساق الأدلة الكونية الدالة على قدرته وحكمته، ثمَّ جاءت هاتان الآيتان بمثابة "خاتمةٍ للسورة وما احتوته من فصولِ المناظرة أو مشاهدِها معًا، وقدْ تضمنتا هتافًا قويًّا للناس محذِّرًا منذِرًا داعيًا إلى الله وتقواه"[٣].

فهو سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد على ضروبٍ مختلفةٍ، وأشكالٍ منوَّعةٍ، من أول السورة إلى آخرها، أمر بتقوى الله على سبيل الموعظة والتذكير بذلك اليوم العظيم[٤].

• يقول البقاعي رحمه الله: ((ولما ظهرتْ بما ذكر في هذه السورة دقائقُ الحكمة، وانتشرت في الخافقين ألويةُ العظمة ونفوذ الكلمة، وأعربتْ ألسن القدرة عن دلائل الوحدانية، فلم تدع شيئًا من العُجْمة، فظهر كالشمس أنَّه لا بدَّ من الصيرورة إلى يوم الفصل وختم بالمكذب، أمر

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور ٣٥/٧.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن ٤٥/٦.

(٣) مقتبس من: التفسير الحديث ٢٦٣/٤.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٦٤/٢٥، اللباب في علوم الكتاب ٤٦٦/١٥، السراج المنير ١٩٩/٣، تفسير المراغي ٩٩/٢١، التفسير المنير ١٧٧/٢١.

سبحانه عباده عامَّةً عاصيهم ومطيعهم بالإقبال عليه، وخوَّفهم ما هم صائرون إليه، مناديًا لهم بأدنى أوصافهم لما لهم من الذبذبة كما عرف به الحال))[1].

❁ ❁ ❁

(١) نظم الدرر ١٥/٢١٠.

الفصل الثالث

تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول	تفسير آيات الموضوع الأول: **موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. الآيات (١ - ٩)**

❖ **قال الله تعالى:** ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

بدأت السورة الكريمة بالحروف المقطعة ﴿الٓمٓ﴾[1]، وفي هذا الابتداء تنبيهٌ للأسماع، وإشارةٌ للإعجاز، وتأكيدٌ لمصدر القرآن الربَّاني، وأنَّه ليس اختلاقًا من نبيِّنا محمدٍ ﷺ، ولا من غيره من البشر، لذلك فقد عجز البشر أجمعون عن معارضته، أو الإتيان بسورةٍ مثله، مع أنَّه مؤلَّفٌ من مثل هذه الحروف العربية التي يتحدث الناس بها.

أعقب هذا الافتتاح ذكرٌ للقرآن الحكيم: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[2].

ووَصْفُ القرآن بالحكيم في هذه السورة مُشعِرٌ بالتناسق البديع ما بين آيات السورة

---

(١) للعلماء رحمهم الله كلامٌ حافلٌ في تأويل الحروف المقطعة، ينظر في: جامع البيان للطبري ٢٠٤/١، الكشّاف للزمخشري ١٢٨/١، المحرر الوجيز لابن عطية ٩٩/١، مفاتيح الغيب للرازي ٢/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٧/١، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لابن الزبير الغرناطي ٢٢/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥٠/١، القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور لإياس محمد آل خطاب ص٧٠.

(٢) سورة لقمان: آية٢.

ومقصودها في إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة مُنْزِله سبحانه، والدعوة إلى الإيمان بما اتفقتْ عليه الحكمتان:

١. **حكمة الكتاب المنزَّل** بما فيه من نظام وإحكام.

٢. **والحكمة المأثورة** عن لقمان عليه السلام بما فيها من حِكَمٍ وعِظاتٍ، فناسب هذا الوصفُ الجوَّ العامَّ للسورة.

وفي الإشارة بـ ﴿ تِلْكَ ﴾ دلالةٌ على تعظيم قدر المنزَّل، وإشارة إلى مكانة الآيات التي هي من العلو والعظمة بمكانٍ بحيث لا ينال الانتفاع بها إلَّا مَنْ جاهد نفسه حتى هذَّبها بالتخلِّي عن جميع الرذائل، والتحلِّي بسائر الفضائل(١).

ومن دلائل إحكام آيات القرآن الكريم "أنَّها جاءت بأجلِّ الألفاظ وأفصحها وأبينها، الدالَّة على أجلِّ المعاني وأحسنها.

ومن إحكامها: أنَّها محفوظةٌ من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

ومن إحكامها: أنَّ جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية، مطابقةٌ للواقع، لم يخالفها كتابٌ من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبيٌّ من الأنبياء، ولم يأتِ – ولن يأتي – علمٌ صحيحٌ، لا معقولٌ صريحٌ، يناقض ما دلَّتْ عليه.

ومن إحكامها: أنَّها ما أمرتْ بشيءٍ إلَّا وهو خالصُ المصلحة أو راجحها، ولا نهتْ عن شيءٍ إلَّا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرًا ما يُجمع بين الأمر بالشيء مع ذكر حكمته وفائدته، والنهيِ عن الشيء مع ذكر مَضَرَّته.

ومن إحكامها: أنَّها جمعتْ بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم.

ومن إحكامها: أنَّك تجد آياته المتكررة، كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلُّها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف. فكلما ازداد بها البصير تدبرًا، وأعمل فيها العقل تفكرًا، انبهر عقله، وذهل لبُّه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزمًا لا يُمْترى فيه، أنَّه تنزيلٌ من

---

(١) انظر: نظم الدرر ١٤١/١٥، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٦).

حكيمٍ حميدٍ"[١].

وكلُّ هذه الدلائل انتظمتْ في السورة الكريمة في تناسقٍ بديعٍ، وترابطٍ عجيبٍ، ونظرةٍ عامَّةٍ على المسالك التي سلكتها السورة في الدعوة إلى التوحيد.

- فتارةً تأتي الآيات بالدعوة إلى تحريك العقل وتقليب النظر في ملكوت الله، كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[٢].

- وتارةً بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٣]، وقوله:﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾[٤].

- وتارةً بذكر طرفٍ من قصص السابقين تتمثَّل هنا في ذكر لقمان عليه السلام ووصاياه لابنه.

- وتارةً بالإشارة إلى أسلوب الحوار مع الآخر: كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٥].

- وتارةً ببيان اضطرار الخلق إليه: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾[٦].

- وتارةً بالوعظ المباشر، كقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا

---

(١) مقتبسٌ من: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٦).

(٢) سورة لقمان: آية ١٠-١١.

(٣) سورة لقمان: آية ٨.

(٤) سورة لقمان: آية ٢٣-٢٤.

(٥) سورة لقمان: آية ٢٥.

(٦) سورة لقمان: آية ٣٢.

يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[1].

← وتارةً ببيان علم الله الواسع واستئثاره بعلم ما غاب عن الناس إدراكه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

ومع أنَّ القرآن حكيمٌ إلَّا أنَّ نفعه قاصرٌ على فئةٍ معيَّنةٍ من الناس، ذكرهم الله تعالى فقال: ﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[3].

• يقول الطبري رحمه الله في بيان ذلك: ((هذا الكتاب الحكيم هدًى ورحمةٌ للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه. ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يقول: الذين يقيمون الصَّلاةَ المفروضة بحدودها ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ من جعلها الله له، المفروضة في أموالهم ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون))[4].

وفي وصف الكتاب بـ ﴿وَرَحۡمَةٗ ﴾ و﴿ هُدٗى ﴾ إشارةٌ لما بين آيات السورة ومقاصدها من تناسقٍ.

• يقول ابن عاشور رحمه الله: ((لما كان المقصد من هذه السورة قصة لقمان نبَّه على أنَّ ذكر القصة رحمةٌ لما تتضمنه من الآداب والحكمة؛ لأنَّ في ذلك زيادةً على الهدى أنَّه تخلَّق بالحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، والخير الكثير رحمةٌ من الله تعالى))[5].

وأبعد من ذلك، فإنَّ تخصيص هذين الوصفين للقرآن الحكيم مناسبٌ لما ورد في السورة

---

(١) سورة لقمان: آية ٣٣.

(٢) سورة لقمان: آية ٣٣-٣٤.

(٣) سورة لقمان: آية ٣-٤.

(٤) جامع البيان ٥٣٢/١٨.

(٥) التحرير والتنوير ١٤١/٢١.

من مواضيع وآيات، فقد شاع فيها جو **الهدى والرحمة والإحسان**.

◄ **فمن مظاهر الهدى**: إرشاد لقمان لابنه وهدايته السبيل المستقيم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[١]،والذي يتَّبع السبيل الذي دعا إليه الله تعالى إنَّما يريد الهداية.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[٢]، حيث أبان الطريق الصحيح لمن يريد أن يجادل غيره ويقنعه بما يريد بأنْ يعتمد على أسسٍ علميةٍ في حواره واستدلالاته، وجاء وصف الكتاب بالإنارة، والإنارة إنما تكون للهداية، أمَّا من يسير في الظلام فإنَّما هو ضالٌّ لا يدري أين يتجِّه.

ومن مظاهره: التحذير من طريق الضلال، فبضدِّها تتمايز الأشياء، جاء ذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[٤].

◄ **أمَّا مظاهر الرحمة** في السورة: فمنها ما ذُكر في السورة من آياتٍ كونيةٍ ومسموعةٍ رحمةً بالإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[٥]، فإنَّه ألقى الرواسي رحمةً بمَنْ عليها؛ لئلا تميد بهم الأرض وتضطرب.

ومن مظاهرها: ما ذكره من وصية لقمان لولده وشفقته وحرصه عليه، ومن وصية الإنسان بوالديه ومصاحبتهما بالمعروف، وذكْرِ حَمْلِ الأمِّ لولدها وإرضاعها له، ونجاة المضطر، كلُّ ذلك من مظاهر الرحمة.

◄ **ومن مظاهر الإحسان** ما ذكره من إيتاء الزكاة، وإحسانِ الأب إلى ابنه بإرشاده

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٥.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٦.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢١.

(٥) سورة لقمان: من الآية ١٠.

وتعليمه، وما تضمَّنته وصايا لقمان عليه السلام من أدبٍ في تعامل الإنسان مع غيره.

ومن مظاهره: ما ذكره الله عز وجل من إحسانه إلى خلقه، وتسخير ما في السماوات والأرض لهم، وإسباغ النعم عليهم ظاهرًا وباطنًا(١).

فتناسق أول الآية في مقدمة السورة بمفرداتها مع ما جاء في السورة، وارتبطت به أحسن ارتباط.

وخصَّت الآية المحسنين بالذكر من حيث يظهر لهم نفع القرآن؛ لأنَّهم رأوه بعين الحقيقة، وصدقوا ما فيه، وإلَّا فإنَّ القرآن الكريم هدًى في نفسه(٢).

والواقع يشهد بأنَّ الرسالة المحمدية وإنزال القرآن، كان ذلك فاتحة خيرٍ للعالم، وانطلاقة للأمم من عالم الظلام والجهل إلى عالم النور والمعرفة؛ "لأنَّه يعرض للناس المنهج الصحيح الذي تصلح به حياتهم على الأرض وتستقيم"(٣)، كما قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٤)، لكن البركة الخاصة للقرآن، التي تنفع صاحبها بالهداية من الضلالة في الدنيا، والرحمة من العذاب في الآخرة، لا ينالها إلا مَن آمن واستجاب لداعي الله.

وتخصيص هذه الأمور الثلاث (إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، اليقين باليوم الآخر) بالذكر؛ تأكيدًا عليها، وإشعارًا بفضلها، لجمعها العقيدة الصحيحة وأمَّهات العمل الصالح(٥).

وجاء ترتيب هذه العبادات في غاية المناسبة:

- فلمَّا كانت الصلاة هي صلة ما بين العبد وخالقه، وفيها إحسانٌ للنفس، ناسب أن يعقبها ذكر الزكاة التي هي صلة بين العباد، وفيها إحسان للناس.
- ولما كانت الأعمال لا تُقبل إلَّا بالإيمان، ناسب أنْ يعقبها ذكر اليوم الآخر؛ لأنَّ

---

(١) انظر: على طريق التفسير البياني ٣٣٦/٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٤٠/٧ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣١٨/٤.

(٣) مقتبسٌ من: دراسات قرآنية لمحمد قطب ص(١٩١).

(٤) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(٥) انظر: أنوار التنزيل ٢١٢/٤، فتح القدير ٣٠٨/٤.

الإيمان به وبما أعدَّه الله من ثوابٍ وجزاءٍ على الأعمال أكبر دافع للإحسان إلى النفس وإلى الآخرين في هذه الدنيا.

❖ **ثمَّ قال الله تعالى** مبيِّنًا جزاءهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

جاءت الإشارة إليهم باسم الإشارة الخاص بالبعيد مرَّتين؛ تعظيمًا لشأنهم، وللدلالة على علو منزلة المحسنين، وارتفاع درجاتهم عند الله تعالى[٢].

وبيَّنت الآية أنَّ هؤلاء الذين تقدَّمت صفاتهم وأصلحوا العقيدة والعمل، في قمة الهداية والفلاح، فهم المهديُّون على بصيرةٍ ونورٍ ومنهجٍ واضحٍ من الله، وهم الفائزون وحدهم في الدنيا والآخرة[٣].

وبعد أنْ ذكرت الآيات هذه الفئة التي كان لها حظٌّ من حكمة الكتاب، بفضل موقفهم من القرآن، فإنَّهم وقفوا منه موقف الحكماء الذين استمعوا لآياته، وعقلوا معانيه، فعلموا أنَّها الحقُّ لا مِرْية فيه، فآمنوا به، وأقبلوا عليه، يهتدون بهديه، ويأتمرون بأمره، وينتهون عمَّا نهى، فكانوا من أرباب الهداية في الدنيا، وظفروا بالفلاح في الآخرة.

❖ بعد أنْ ذكرت الآيات هذه الفئة، انتقل السياق إلى الفئة الأخرى، الذين أعرضوا عن آيات الكتاب الحكيم، وانشغلوا بغيره، فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٤].

ومناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّه لما بينت الآيات السابقة أنَّ القرآن حكيمٌ، وأنَّه

---

(١) سورة لقمان: آية ٥.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط ١٧٩/٧، معارج التفكر ودقائق التدبر ٦٨٧/١١، التفسير المنير ١٢٩/٢١.

(٣) انظر: صفوة التفاسير ٤٤٧/٢.

(٤) سورة لقمان: آية ٦-٧.

هدى ورحمة، وأنَّ متَّبعه فائزٌ، جاء البيان هنا لحال مَنْ حُرِم منفعته، والاعتبار به، فاستبدل الضلالة بالهدى، واستبدل اللهو بالحكمة(١).

■ و**الاشتراء** افتعالٌ من الشراء، وهو هنا مستعارٌ من معناه اللغوي المعروف لاستبدالهم الضلالة بالهدى؛ لأنَّه يفيد اختيارهم للضلالة على الهدى، ولعلَّ السرَّ البلاغيَّ الذي عدل من أجله عن أصل التعبير – الذي هو الاستبدال- لأنَّ المشتري يكون راغبا في الشيء المشتَرى ، باذلا للثمن فيه، لأنه غير راغب في الثمن إذا قورن بما اشتراه.

وغرضٌ آخر: وهو أنَّ الشيء المشتَرى ملازمٌ لمن اشتراه، أمَّا الثمن المبذول فيه فمفارقٌ له متى ما وقع البيع بين الطرفين صحيحًا، وهؤلاء كانوا زاهدين في الهدى، ولذلك بذلوه ثمنًا فيما يحبونه –وهو الضلالة- فبيَّن هذا المجاز معان وخفايا مستورة لم يكن للوقوف عليها سبيل لو عبر عنها بأسلوب الحقيقة اللغوية(٢).

■ **ولهو الحديث**: عُنِي به كلُّ ما كان من الحديث مُلْهيًا عن سبيل الله ممَّا نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ ويدخل فيه الغناءُ وأحاديثُ الخَنَا والشرك ونحوها، وسُمِّيتْ بلهو الحديث؛ لأنَّها تلهي عن ذكر الله (٣).

في هذه الآيات وجْهٌ من وجوه حكمة الله جلَّ وعلا في آيات الكتاب المسطور، فقد انتقلت الآيات للحديث عن الصورة المضادَّة والمناقضة للصورة الأولى التي تقدَّمت في بيان حال المقبلين على آيات الكتاب الحكيم، وفي هذه المفارقة حضٌّ وتحذيرٌ، **حضٌ** للسير على منهج المؤمنين، **وتحذيرٌ** من اتباع منهج المعرضين.

تتمثَّل الفئة الأولى في قومٍ حكماء مهتدين محسنين مقبلين على القرآن الكريم.

أمَّا الفئة الأخرى فتتمثَّل في قومٍ ضالِّين جهلاء، بعيدين عن الحكمة، معرضين عن الآيات

---

(١) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن ص(١٤٤)، تفسير البحر المحيط ١٧٩/٧، اللباب في علوم الكتاب ٤٣٧/١٥.

(٢) انظر: خصائص التعبير القرآني ٣٢٣/٢.

(٣) انظر: جامع البيان ٥٣٩/١٨، الكشَّاف للزمخشري ٦/٥، زاد المسير ٣١٦/٦.

الحكيمة، مفضِّلين اللهو والباطل عليها، روي عن قتادة رحمه الله قوله: ((بحسب المرء من الضلالة أنْ يختار حديثَ الباطل على حديثِ الحقِّ))[١].

وتبع المفارقةَ في موقفهم من القرآن الكريم مفارقةٌ في سلوكهم.

فأمَّا المؤمنين فإنَّهم أحسنوا لأنفسهم ولغيرهم في إيمانهم بالكتاب واتباعهم لهديه، واستثمروا وقتهم فيما يعود عليهم بالفائدة.

وأمَّا المعرضين فإنَّهم أساءوا لأنفسهم ولغيرهم وضَلُّوا وأضلُّوا وسلكوا درب اللهو والغواية.

❖ **يقول الله تعالى:** ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٢].

بيَّن الله تعالى حال هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب: أنَّه إذا تُلِيتْ عليه الآيات القرآنية، ولَّى عنها، وأعرض وأدبر، وتصامَّ وما به مِنْ صممٍ، كأنَّه ما يسمعها؛ لأنَّه يتأذَّى بسماعها؛ إذْ لا انتفاع له بها، ولا أَرَبَ له فيها[٣].

ومع أنَّ القرآن كتابٌ حكيمٌ، والواجب على العاقل أنْ يطلب الحكمة بأيِّ شيءٍ يجده ويشتريها، إلَّا أنَّ هؤلاء المعرضين ما كانوا يطلبون الحكمة، وإذا جاءتهم مجَّانًا ما كانوا يسمعونها، بل يتركونها ويشتغلون بغيرها.

وفي هذه الآيات ما يُبَيِّن سوء صنيعهم من وجوه:

الأول: ترك الحكمة والاشتغال بحديثٍ آخر، وهذا قبيحٌ.

الثاني: الاشتغال بأحاديث اللهو التي لا فائدة فيها، وهذا أقبح.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢١/٣، وابن جرير في جامع البيان ٥٣٤/١٨، وأرده البغوي في معالم التنزيل ٢٨٥/٦، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٦/١١، والسيوطي في الدر المنثور ٦١٥/١١، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٢) سورة لقمان: آية ٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧/١١.

الثالث: الإعراض والاستكبار، وهذا أقبح وأقبح[١].

وكما كانت المفارقة بين المؤمنين والمعرضين في موقفهم من القرآن الكريم، وسلوكهم العملي، كذلك كانت المفارقة في جزائهم في الآخرة. فلِكُلِّ فريقٍ جزاءٌ من جنس ما عمل، قال الله تعالى في جزاء الكافرين المعرضين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢]. أيْ: كما استهانوا بآيات الله وسبيله، أُهِيْنوا يومَ القيامة في العذاب الدائم المستمر، وقال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣] يؤلمه، كما تألَّم بسماع كتاب الله وآياته، والتبشير بما يَضُرُّ ولا يَسُرُّ يحمل معه التهكُّم، وهذا النوع من الناس مُسْتَحِقٌ[٤].

❖ ثمَّ عطف سبحانه بذكر جزاء الحكماء السعداء الذين أقبلوا على آياته وانتفعوا بها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥].

بعْدَ أن أجْمل مآلهم في مقدمة السورة عاد هنا ليفصِّل هذا الإجمال بزيادة إيضاحٍ وفي صورةٍ تناسبيةٍ مضادَّةٍ لمآل المعرضين، فبشَّرهم تعالى بجناتٍ يتنعَّمون فيها بكلِّ ما تشتهيه أنفسهم، خالدين فيها لا يبغون عنها حولًا.

ولما كانت الثقة بالوعد على قدر الثقة بالواعد، وكان إنجاز الوعد من الحكمة، قال سبحانه مؤكِّدًا لمضمون الوعد بالجنات: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ الذي لا شيءَ أجلُّ منه؛ فلا وعد أصدق من وعده، وأكَّده بقوله ﴿حَقًّا﴾ أيْ: ثابتًا؛ لأنَّه وعْدُ مَنْ ليس كمثله شيءٍ[٦].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ١٤١/٢٥.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٦.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧/١١، أيسر التفاسير للجزائري ٢٠١/٤.

(٥) سورة لقمان: آية ٨-٩.

(٦) انظر: نظم الدرر ١٥١/١٥.

♦وختم الآيات باسمين مناسبين لمضمون وعده لعباده ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

فهو سبحانه كاملُ العزة، لا يغلبه غالب، ولا يمنعه مانع من إنجاز وعده ووعيده، كاملُ الحكمة في كلِّ أفعاله وأقواله سبحانه، يقدر على الشيء وضدِّه، فيُعطي النعيم مَنْ شاء، والبؤسَ مَنْ شاء، مِنْ عزَّته وحكمته، وفَّق مَنْ وفَّق، وخَذَل مَنْ خَذَل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته[1]. وهنا ينتهي تفسير هذا المقطع من الآيات، **والله تعالى أعلم**.

(١) انظر: الكشَّاف ٩/٥، أنوار التنزيل ٢١٣/٤، فتح القدير ٣٠٩/٤، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٧).

المبحث الثاني	تفسير آيات الموضوع الثاني: دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. الآيات (١٠ - ١١)

❖**قال الله تعالى:** ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

يبيِّن الله تعالى في هذه الآيات شيئًا من دلائل قدرته عزَّ وجلَّ وعزته وحكمته في هذا الكون البديع، لتتضافر بذلك حكمة الآيات في الكتاب المسطور، وحكمتها في الكون المنظور.

◆ فمن حكمة الله وعنايته بعباده ورحمته بهم أنَّه لم يكتفِ بدعوتهم إلى الإيمان بآيات الكتاب الحكيم، فقد يُكابِر من يكابر، ويُعرض من أعرض، لذلك قدَّم الآيات القرآنية مقرونةً بالآيات الحسيَّة التي يشاهدونها ويشعرون بها، لتدُلَّهم على قدرة الله العظيمة، وأنَّ للكون خالقًا يستحقُّ العبادة، فهذا الكون لم يُخلقْ عبثًا، وهذه الحقيقة يعقلها من تفكَّر في مخلوقات الله تعالى، ونظر إليها بعين البصيرة والفهم.

ففي هذا المقطع من الآيات برهان و"استدلال على الذين دأبهم الإعراض عن آيات الله، بأنَّ الله هو خالق المخلوقات، فلا يستحق غيره أن تثبت له الإلهية، فكان ادعاء الإلهية لغير الله هو العلة للإعراض عن آيات الكتاب الحكيم، فهم لما أثبتوا الإلهية لما لا يخلق شيئًا كانوا كمن يزعم أنَّ الأصنام مماثلةٌ لله تعالى في أوصافه، فذلك يقتضي انتفاء وصف الحكمة عنه، كما هو منتفٍ عنها"[1].

---

(١) مقتبس من: التحرير والتنوير ٢١/١٤٥.

تأتي هذه الآيات في سياقها لتنبِّه على خمس آيات ظاهرة في الكون، فيها تقريرٌ لوحدانية الخالق، وإبطال أمر الشرك، وتبكيت أهله، وجاءت بعد ختم الآيات السابقة باسمين جليلين من أسماء الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[١]، لتبيِّن أنَّ من دلائل عزَّته وحكمته، ونفوذ سلطانه، خَلْقَ هذا الكون وما فيه من آيات عظيمة.

• يقول البقاعي رحمه الله: ((لما ختم بصفتي **العِزَّة** وهي غاية القدرة، **والحكمة** وهي ثمرة العلم، دلَّ عليها بإتقان أفعاله وإحكامها))[٢]

◆ **أول هذه الآيات الكونية** قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾[٣].

أي: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ السبع على عظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل.

﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾ أيْ: ليس لها عَمَدٌ يسندها، وإنَّما استقرتْ واستمسكتْ بحُكْم الله وتقديره ومشيئته وتدبيره[٤].

وبعد أنْ ذكر السماوات والعَمَد المُقِلَّة، أتبعها بذكر الأوتاد المُقِرَّة[٥]:

◆ **ثاني الآيات الكونية** قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾[٦].

أيْ: ألقى في الأرض الجبال التي أرْسَتْها وثقَّلتْها وثبَّتتْها؛ رحمةً بعباده حتى لا تضطرب الأرض بأهلها، وتغمرها مياه البحار والمحيطات التي تُكَوِّن أكثر الكرة الأرضية، فتفسد الحياة وتختلُّ[٧].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٩.

(٢) نظم الدرر ١٥٢/١٥.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٧).

(٥) انظر: نظم الدرر ١٥٣/١٥.

(٦) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٧) انظر: المحرر الوجيز ٤٣/٧، تفسير القرآن العظيم ٤٩/١١، التفسير المنير ١٣٩/٢١.

وبعد ذكر إيجاد الأرض وإصلاحها للعيش، أتبعها بذكر ما خلق الله عليها[١]:

◆ **ثالث الآيات اللونية** قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾[٢].

أيْ: نشر وفرَّق في أرجاء الأرض من كلِّ أنواع الحيوانات والدواب من مأكولٍ ومركوبٍ، ممَّا لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلَّا الذي خلقها سبحانه[٣].

والتعبير في الآية يوحي كأنَّما هناك يدٌ خفيةٌ تمسك بهذه الدواب، فتبثُّها هنا وهناك في كلِّ مكانٍ على الأرض. وهو كذلك بالفعل، فمن ذا الذي يبثُّ هذه الدوابَّ وينشرها في مختلف الأماكن على الأرض إلا الله تعالى[٤].

ولما ذكر سبحانه خلق السماء، وإصلاح الأرض، وذكر ما خلق لها من دواب، ذكر بعدها ما يلزمها للعيش والحياة[٥]:

◆ **رابع الآيات اللونية** قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[٦].

أيْ: أنزل الله بقدرته من السماء المطر، الذي هو مادة الحياة للبشر والحيوان والزرع، وفي تأمّل نظام دورة المياه في الكون بتبخرها من مصادر المياه على سطح الأرض، ثم تكوينها سحبًا، ثم إنزالها مطرًا، كل ذلك بتقدير حكيم، دلالة عجيبة على إتقان صنع الله وعنايته بعباده.

ولما كان الماء النازل من السماء سببًا في إنبات الزرع وإيجاد أقوات مَن على الأرض، عطف بعدها بذكر هذه الآية:

◆ **خامس الآيات اللونية** قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[٧].

---

(١) انظر: نظم الدرر ١٥/١٥٣.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٣) انظر: صفوة التفاسير ٢/٤٤٩.

(٤) انظر: دراسات قرآنية لمحمد قطب ص(١٩٥)

(٥) انظر: نظم الدرر ١٥/١٥٣، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٧).

(٦) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٧) سورة لقمان: من الآية ١٠.

أيْ: فأنبت الله ﷻ في الأرض من كلِّ زوجٍ كريمِ المنظر، نافعٍ مباركٍ، فرَتَعَتْ فيه الدواب المنبثَّة، وسكن إليه كلُّ حيوانٍ[١].

والالتفات من الغَيْبَة إلى التكلُّم في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾، وقوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾، وإسناد هذين الفعلين إلى الله جلَّ جلاله، للاهتمام بهذه النعمة التي هي أكثر دورانًا عند الناس، وليتنبه الإنسان إلى شكر نعمة المنعِم، ليزيد له من رحمته[٢].

هذه الآيات الكونية العظيمة انتظمتْ بهذا الترتيب المتناسق بين أجزاء الآية الواحدة. وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على حكمة الخالق سبحانه، ورحمته بعباده. فسبحان مَنْ أحكم آيات كتابه المسطور، وآيات كتابه المنظور!

• يقول ابن عاشور رحمه الله: ((قد أدمج في أثناء دلائل صفة الحكمة الامتنان بما في ذلك من منافع للخلق بقوله أن تميد بكم، وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ، فإنَّ من الدواب المبثوثة ما ينتفع به الناس من أكل لحوم أوانسها ووحوشها، والانتفاع بألبانها وأصوافها وجلودها وقرونها وأسنانها، والحَمْل عليها، والتجمُّل بها في مرابطها، وغُدُوِّها ورَوَاحِها، ثمَّ من نعمة منافع النبات من الحَبِّ والثمر والكلأ والكمأة. وإذ كانت البحار من جملة الأرض، فقد شمل الانتفاع بدوابِّ البحر، فالله كما أبدع الصنع، أسبغ النعمة فأرانا آثار الحكمة والرحمة))[٣].

❖ **ثم قال تعالى:** ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

يقول الله تعالى ذِكْرُه: هذا الذي أعدَدْتُه – أيها الناس – وخلقتُه هو خَلْق الله الذي له الألوهية والعبادة، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيءٍ سواه، فأروني – أيها المشركون – في عبادتكم إيَّاه مِنْ دون الله من الآلهة والأوثان، أيُّ شيءٍ خَلَق الذين مِنْ دونه من آلهتكم

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ١٤٥/٢٥، التحرير والتنوير ١٤٦/٢١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٤٦/٢١.

(٤) سورة لقمان: آية ١١.

وأصنامكم، حتى استحقَّت عليكم العبادة فعبدتموها، كما استحقَّ ذلك عليكم خالقُكم، وخالقُ هذه المعبودات(١).

بل ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنَّها تخلق شيئًا، ولكنَّهم دعاهم إلى عبادتها ضلالُهم، وذهابُهم عن سبيل الحقِّ، فهم في ضلالٍ وجَوْرٍ عن الحقِّ، وذهابٍ عن الاستقامة.

﴿مُّبِينٍ﴾: يَبِيْنُ لمن تأمَّله، ونظر فيه وفكَّر بعقلٍ أنَّه ضلالٌ لا هدًى(٢).

والاستفهام: للتقريع، والتوبيخ. **والمعنى**: فأروني أيَّ شيءٍ خلقوا ممَّا يحاكي خلقَ الله أو يقاربه؟

وهذا الأمر لهم لقصد التعجيز والتبكيت، بكَّتهم بأنَّ هذه الأشياء العظيمة ممَّا خلقه الله وأنشأه، وتحدَّاهم بأنْ يُروه ماذا خلقتْ آلهتهم حتى تستوجب العبادة من دون الله.

ثمَّ أضْرَبَ عن تبْكِيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورُّط في ضلالٍ ليس بعده ضلالٌ، فحكم عليهم بالضلال الظاهر، فقال: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فقرَّر ظلمَهم أولًا، وضلالَهم ثانيًا، ووصف ضلالَهم بالوضوح والظهور، ومَنْ كان هكذا فلا يَعْقل الحُجَّة، ولا يهتدي إلى الحقِّ(٣).

فدلائل وحدانية المولى جل جلاله، وآياته الكونية المعجِزة، وإن كانت ساطعة الظهور، إلَّا أنَّ المعتبرين بها هم القوم المحسنون، الذين ظهرت فيهم صفة الحكمة.

أمَّا الذين أعموا أبصارهم وبصائرهم عن تلك الآيات الكونية فقد غابت عنهم الحكمة، كما غابت عن أولئك الذين ذكرتهم الآيات في بداية السورة فصمُّوا آذانهم عن سماع الآيات القرآنية، واشتروا الضلالة بالهدى، فضلُّوا وأضلُّوا، وبذلك استوى هؤلاء وهؤلاء في الضلالة.

وهنا ينتهي تفسير المقطع الثاني من السورة. **والله تعالى أعلم**.

---

(١) انظر: جامع البيان ١٨/٥٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: الكشاف٥/٩، فتح القدير ٤/٣١٠.

المبحث الثالث: تفسير آيات الموضوع الثالث: لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. الآيات (١٢ - ١٩)

❖ **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

ينتقل سياق الآيات في هذا المقطع إلى الحديث عن لقمان عليه السلام ووصاياه لابنه، في نَسَقٍ جديدٍ، وأسلوبٍ مغايرٍ، وهو أسلوب الحكاية والتوجيه غير المباشر.

تأتي قصة لقمان عليه السلام بعدما تقرَّر في الآيات السابقة أنَّ القرآن الكريم حكيمٌ من عند حكيمٍ، ومِنْ ثَمَّ تأتي القصة لتعرِّفنا على أدب تلقي الحكمة من الله تعالى، ولترينا نماذج من حكمة الحكماء الذين انطبقت حكمتهم مع ما أمر به القرآن، وكنموذجٍ على الحكمة في القرآن أصلًا، ولترينا أدب الحكماء في نشر الحكمة وتعميمها[1].

---

(١) انظر: الأساس في التفسير ٤٣١٧/٨.

فلمَّا بيَّن الله تعالى فساد اعتقاد المشركين في عبادة من لا يَخلق شيئًا في قوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١] ذكر هنا ما يدل على أنَّ ضلال المشركين وظلمهم نقيض الحكمة، فإنَّ معرفة الخالق مما فُطِرت عليه النفوس، وتدركه العقول، وإنْ لم تكن هناك نبوةٌ[٢].

← ولما بيَّن أنَّ المشرك **ظالمٌ ضالٌّ**، **ظالمٌ**؛ لعبادته غير الله، و**ضالٌّ**؛ لأنَّه ضلَّ في نفسه أولًا، وسعى ليضلَّ غيره: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٣].

ذكر هنا حال لقمان عليه السلام **المؤمن الحكيم**، **مؤمنٌ**؛ لأنَّه آمن بالله واعترف بحقِّه في العبادة والشكر، **حكيم**؛ لأنَّه اهتدى في نفسه أولًا، ثمَّ حرص على نقل الهداية لغيره، فجاءت هذه الوصايا الحكيمة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

وروح الآيات ومضمونها يلهمان أنَّها جاءتْ على سبيل ضَرْب المثل، وأنَّها غير منقطعةٍ عن الآيات السابقة لها، حيث احتوت الآيات في مقدمة السورة وصف مواقف التكبر والزهو والتعطيل التي يقفها الكفار حينما تتلى عليهم آيات الله ويدعون إلى سبيله.

واحتوت هذه الآيات تقبيحًا لهذه الأخلاق، وتنديدًا بالشرك على لسان حكيمٍ مُهْتدٍ بهدي الله وسائر في سبيله. وقد وصف المشركون في الآيات السابقة بوصف الظالمين، ووصف الشرك في هذه الآية بالظلم العظيم، ممَّا يشي بالتناسق والترابط بين المجموعتين[٤].

---

(١) سورة لقمان: آية ١١.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ١٤٥/٢٥، اللباب في علوم الكتاب ٤٤٤/١٥.

(٣) سورة لقمان: آية ٦.

(٤) انظر: التفسير الحديث ٢٤٧/٤.

❖ **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾[١].

يخبر الله تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان **بالحكمة، وهي:** العلم بالحقِّ على وجهه وحكمته، والعلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيمًا[٢].

والحِكْمة في عُرْف العلماء: استكمال النَّفسِ الإنسانيَّة باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملَكَة التامَّة على الأفعال الفاضلة على قَدْر طاقتها[٣].

والحكمة: "المنطق الذي يَتَّعِظُ به ويَتنبَّهُ به، ويَتناقَلُه الناس لذلك"[٤].

ومن لوازم الحكمة: العلم والعمل، ولهذا فُسِّرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح[٥].

وقد نبَّه الله سبحانه على أنّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي: هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له، حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر[٦]

فحقيقة الحكمة التي دلَّتْ عليها آيات السورة الكريمة تكمن في: توحيد الله، وشكر نعمته، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ومجانبة الأهواء وسبل الضلال.

والشُّكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانةً، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا[٧].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٨).

(٣) انظر: أنوار التنزيل ٢١٣/٤، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٧١/٧.

(٤) تفسير البحر المحيط ١٨١/٧.

(٥) انظر: روح البيان ٧/ ٧٤، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٨).

(٦) انظر: الكشَّاف للزمخشري ١١/٥.

(٧) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٢٣٧/٢.

◆ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[١].

يبيِّن الله تعالى أنَّ عائد الشكر إنما يعود للشاكر نفسه؛ لأنَّ الله يجزل له الثواب على شكره، وينقذه به من الهلكة.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ منْ كَفَرَ نعمة الله فقد أساء إلى نفسه؛ لأنَّ الله مُعاقِبه على كفرانه إياه، والله غنيٌّ عن الشكر، لا حاجة به إليه؛ لأنَّ الشكر لا يزيد في سلطانه سبحانه، والكفر لا ينقص من مُلْكه.

ويعني بقوله: ﴿حَمِيدٌ ﴾ أيْ: محمودًا على كلِّ حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها، وكل موجود ناطق بحمده بلسان الحال[٢].

❖ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾[٣]

بدأت الآيات في ذكر وصايا لقمان عليه السلام، وجاءتْ بعد التصدير بقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾[٤]، وأفاد هذا التصدير أكثر من غرض، من ذلك: ما تبيَّن منه أنَّ الحكمة لها جانبان، جانبٌ يتعلَّق بإصلاح النفس، وجانبٌ يتعلَّق بإصلاح الآخرين.

ـ وفي هذا توجيهٌ للدعاة والمربِّين بأنْ يبدؤوا بأنفسهم قبل الآخرين.

ـ وفيه توجيهٌ إلى أن من موجبات الحكمة أن يعلِّم الآباء والمربون من يلونهم ويوجهونهم ويرشدونهم[٥].

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٢.

(٢) انظر: جامع البيان ٥٤٩/١٨، فتح القدير ٣١٢/٤.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٢.

(٥) انظر: على طريق التفسير البياني ٣٦٥/٢.

وصايا لقمان عليه السلام:

❖ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾[١]

افتتح لقمان عليه السلام موعظته لابنه، وتذكيره إيَّاه بما يلين قلبه، فناداه بـ **"يا بُنيَّ"**.

وهذا النداء بالتصغير يحمل في طياته معاني الرفق واللين، والعطف والمحبة، كما قال الشاعر:

ولكِنْ إِذَا مَا حُبَّ شَيْءٌ تَوَلَّعَتْ ... بِهِ أَحْرُفُ التَّصْغِيرِ مِنْ شِدَّة الوَجْدِ[٢]

• يقول ابن عاشور رحمه الله: ((والتصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير، كنايةً عن الشفقة به والتحبُّب له، وهو في مقام الموعظة والنصيحة إيماءٌ وكنايةٌ عن إِمْحاض النُّصْح وحبِّ الخير، ففيه حثٌّ على الامتثال للموعظة)) [٣].

◆ **الوصية الأولى: الأمر بتوحيد الله، وعدم الإشراك به.**

◆ **قال تعالى:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٤].

أول ما وعظ به لقمان ابنه: التحذير من الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

"**ووجْه كونه عظيمًا**: أنَّه لا أفظع وأبشع ممَّنْ سَوَّى المخلوق من ترابٍ، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئًا، بمن له الأمر كلُّه، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالربِّ الكامل الغنيِّ من جميع الوجوه، وسوَّى من لم يُنْعم بمثقال ذرَّة من النعم بالذي

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٢) وجدت البيت منسوبًا لثعلب في درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ص١٦، ووَرَد بلا نسبة في: اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ ٦٧٣/٢، المغني لابن قدامة ٢٨٥/٧، موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز السلمان ٤٩٥/٣. ولم أعثر عليه في غير ما ذُكِر.

(٣) التحرير والتنوير ١٥٥/٢١.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٣.

ما بالخلق من نعمةٍ في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلَّا منه، ولا يصرف السوءَ إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء!؟

وهل أعظم ظلمًا ممَّنْ خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخسِّ المراتب، جعلها عابدةً لمن لا يسوى شيئًا، فظلم نفسه ظلمًا كبيرًا"[١].

ويأتي هذا الوصف (بالظلم) للشرك متناسقًا ومترابطًا مع ما وُصِف به المشركون في الآيات السابقة، حيث وصفهم بالظلم والضلال المبين في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

◆ الوصية الثانية: الوصية بالوالدين.

❖ **قال تعالى:** ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

تأتي هذه الوصيَّة بالوالدين، على سبيل الاستطراد أثناء وصية لقمان عليه السلام، تأكيدًا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك، يعني: إنَّا وصيناه بوالديه، وأمرناه ألَّا يطيعهما في الشرك وإنْ جَهِدا كلَّ الجهد لقبحه. ولما جاء في الآية السابقة التذكير بشكر الله تعالى، عطف على التذكير بشكر الوالدين وبيان عظيم حقهما، وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد والده، وامتثال أمره في طاعة الله[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٨).

(٢) سورة لقمان: آية ١١.

(٣) سورة لقمان: آية ١٤-١٥.

(٤) انظر: الكشَّاف ٢١/٥، مدارك التنزيل وحقائق التأويل٩٠٧/٣، تفسير البحر المحيط ١٨٢/٧، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣٧٦/٤، روح البيان ٧٨/٧.

◆ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ أيْ: أمرناه ببرِّهما وطاعتهما، والقيام بحقوقهما، وهذا من عادة القرآن في الوصية بالوالدين، فإنَّه يقرن بين الأمر بتوحيد الله وبر الوالدين، ويقرن عقوقهما بالشرك كقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1].

ثمَّ ذكر مِنَّة الوالدة خاصة لما فيها من كبير المشقة، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أيْ: حملته وهي في ضعف يتزايد بازدياد ثقل الحمل إلى حين الطلق، ثم مدة النفاس.

ثمَّ أردفها بذكر مِنَّةٍ أخرى، وهي الشفقة عليه وحسن كفالته حين لا يملك لنفسه شيئا، فقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ أيْ: وفطامه من الرضاع بعد وضعه في عامين، تعاني الأم خلالها في رضاعه وشئونه ورعايته جمَّ المصاعب والآلام التي لا يقدر قدرها إلا العليم بها، ومن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وقد وصى بالوالدين لكنه ذكر السبب في جانب الأم فحسب؛ لأنَّ المشقة التي تلحقها أعظم[2]. لذلك جاءت الوصية بها في الحديث النبوي: حين جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي ؟ قال: «أمُّك»، قال: ثمَّ منْ؟ قال: «ثمَّ أمُّك»، قال: ثمَّ منْ؟ قال: «ثمَّ أمُّك»، قال: ثمَّ منْ؟ قال: « ثمَّ أبوك»[3].

ثمَّ قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾

في ظلال تلك الصورة الحانية يوجه إلى شكر الله المنعم الأول، وشكر الوالدين المنعمين التاليين ويرتب الواجبات. فيجيء شكر الله أولًا، ويتلوه شكر الوالدين، ويربط بهذه الحقيقة حقيقة الآخرة: ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ حيث ينفع رصيد الشكر المذخور[4].

ومن لطائف التعبير القرآني الذي يحمل دلالة تناسبية في موضوعات الآيات: أن السياق يبدأ بقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾، ولكنه عندما ينصّ على الوصية

---

(١) سورة النساء: من الآية ٣٦.

(٢) انظر: تفسير المراغي ٨٢/٢١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٢٧/٥، برقم ٥٦٢٦، كتاب الأدب، باب من أحقّ الناس بحسن الصُّحبة.

(٤) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٨٨/٥ .

يقول: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، أيْ: أنَّ السياق يمضي هكذا - بغير الجملة المعترضة - «ووصَّينا الإنسانَ بوالديه أنِ اشكُرْ لي ولوالديك إليَّ المصير». وكأنما الوصيَّة بالوالدين هي: شكر الله أولًا، ثمَّ شكر الوالدين(١).

لكنْ ذكْرُ هذه الجملة: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ يحمل دلالاتِ رحمةٍ وعطفٍ في ترقيق قلوب الأبناء، ودلالاتِ حكمةٍ وعدلٍ في ذكر الأسباب الموجبة للقيام بحق الوالدين، وهو متوافق مع جو الرحمة والحكمة المشاع في السورة، والذي دل عليه افتتاح السورة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

❖ **ثمَّ قال تعالى:** ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣).

بيَّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ رابطة الوالدين بالوليد- رغم كلِّ هذا الانعطاف، وكلِّ هذه الكرامة - إنَّما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة. فمهما بذل الوالدان من جهدٍ، ومن جهادٍ، ومن مغالبةٍ، ومن إقناع؛ ليغرياه بأنْ يشرك بالله، فإنَّ واجب طاعتهم يزول حينئذٍ، ويبقى صاحب الحقِّ الأول في الطاعة هو الله سبحانه وتعالى.

لكن الاختلاف في العقيدة، والأمر بعدم الطاعة في خلافها، لا يُسقط حقَّ الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صاحبهما مصاحبةً يرتضيها الدين، وتقتضيها مكارم الأخلاق، مع البعد عن جفائهما والغلظة عليهما. وقوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يشير إلى تخفيف هذا الأمر وتهوينه، فهي رحلةٌ قصيرةٌ على الأرض، أيامٌ قلائل وشيكة الانقضاء، فلا يصعب تحمُّل مشقتها.

---

(١) انظر: دراسات قرآنية لمحمد قطب ص(٢٠٠).

(٢) سورة لقمان: آية ٢-٣.

(٣) سورة لقمان: آية ١٥.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ واسْلُكْ سبيل المؤمنين الذين رجعوا إلى الله بالتوبة والإنابة والطاعة والإخلاص.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد رحلة الأرض المحدودة، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ولكلٍّ جزاءُ ما عمل من كفرٍ أو شكرٍ، ومن شركٍ أو توحيدٍ(١).

◆وفي قوله تعالى:﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه لا يمكن أن يدلَّ علمٌ من أنواع العلوم على شيءٍ من الشرك بنوع من أنواع الدلالات، بل العلوم كلُّها دالَّةٌ على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول، وتضافرت عليه من الأنبياء والرسل والنقول(٢).

وفي ذلك تأكيد على الحقيقة التي تقدَّم ذكرها في الآيات السابقة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٤) وهي أنَّ المشرك بالله مهما بلغ من العلوم والمعارف فإنَّه سيظلُّ بعيدًا عن الحكمة، ضالًّا عنها حتى يؤمن بالله.

◆ **وقوله تعالى:** ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

جاء في غاية المناسبة لسياق الآيات وموضوعها؛ لأنَّ الموضوع عن قصة لقمان عليه السلام ووصاياه في المصاحبة والمعاشرة ومعاملات الناس. فقد بدأت هذه الوصايا: **١.** بمصاحبة الأب لابنه، وحسن معاشرته وتوجيهه، **٢.**ثمَّ بوصية الأولاد بوالديهم، **٣.** ثمَّ في أصول معاشرة الناس ومصاحبتهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التكبر والفخر عليهم، والاختيال مما يبغضه الناس من الصفات والأفعال (٥).

---

(١) انظر: تفسير المراغي ٨٣/٢١، في ظلال القرآن ٢٧٨٨/٥ .

(٢) انظر: نظم الدرر ١٦٧/١٥.

(٣) سورة لقمان: آية ٦.

(٤) سورة لقمان: آية ١١.

(٥) انظر: على طريق التفسير البياني ٣٧٦/٢.

◆ **وفي قوله تعالى:** ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، **أناب** معناه: مَالَ ورَجَع إلى الشيء[١].

في هذا الجزء من الآية وصيةٌ للجميع، باتباع سبيل الصالحين المنيبين إلى الله، وترك ما سواه من السبل، ولو كان الوالدين أو الأقربين. فالمأمور حُسن مصاحبتهما في الدنيا، لا اتباعهما في الدين والعقيدة، وهذه وصية هامة ونفيسة لمن ابتلي ببيئة أسرية فاسدة، بأن يتغلب على هذا العائق ويتقوَّى بإخوة الدين والصحبة الصالحة، ويبتعد عن الصحبة الفاسدة.

◆ الوصية الثالثة: مراقبة الله في السر والعلن.

❖ **قال تعالى:** ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

هذا القول من لقمان عليه السلام إنما قصد به إعلام ابنه بعظيم قدرة الله تعالى، والحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، ما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ، والتذكير باليوم الآخر وما فيه من حسابٍ دقيقٍ، وهذا أعظم حاثٍّ على توحيد الله تعالى.

وجاء بهذه المعاني في صورة تقرِّب المعنى للأذهان: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾. فالخردلة من أصغر الأشياء وأحقرها، التي لا يدرك المرء لها ثقلًا ولا ترجِّح ميزانًا، والمعنى: إنْ تكن هذه الحبة من الخردل في وسط صخرة، أو في أي جهة من جهات السماوات والأرض ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾؛ لسعة علمه، وتمام خبرته وكمال قدرته، ولو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، أيْ: لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن اتباع سبيل من أناب إلي، ولو كانت هذه الفعلة التي فعلتها من الإساءة والإحسان بوزن حبة الخردل

---

(١) انظر: مادة "نوب" في: لسان العرب، القاموس المحيط. وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٤.

(٢) سورة لقمان: آية ١٦.

فإنَّ الله مطَّلعٌ عليها وسيأتي بها يوم القيامة للحساب، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أيْ: لَطُف في علمه وخبرته، حتى اطَّلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار. وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالى قد أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، سبحانه لا شريك له، وما يبلغ تعبيرٌ مجردٌ عن دِقَّة علم الله وشموله، وعن قدرة الله سبحانه، وعن دِقَّة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور(١).

وهذه الآية تجيء في موقعٍ مناسبٍ لما ختم الله ﷻ الآية السابقة، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يجازي الشاكر على شكره والكافر على كفره، فلا تخفى خافيةٌ عليه جلَّت قدرته، ودلَّل على ذلك بهذه الآية التي جاءت ضمن وصايا لقمان.

◆ الوصية الرابعة: إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر.

❖ **قال تعالى:** ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٢).

في هذه الآية يحث لقمان عليه السلام ابنه على فعل جملةٍ من العبادات، فأمره بإقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه، والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به؛ من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ وهو أمر بالصبر على المحن والابتلاءات عامة، وأمر بالصبر على ما يلاقي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عادة من معوقات في سبيل الدعوة.

ثمَّ قال: هذا الذي وعظ به لقمانُ عليه السلام ابنه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أيْ: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل الحزم والعزائم السالكين طريق النجاة(٣).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٤، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٨)، في ظلال القرآن ٢٧٨٩/٥.

(٢) سورة لقمان: آية ١٧.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٨).

ووجه تخصيص هذه الطاعات بالذكر: أنها أمَّهات العبادات، وعماد الخير كله، ولكونها مأمورًا بها في سائر الأمم، فالصلاة لم تزل عظيمة الشأن، سابقة القدم على ما سواها، موصًى بها في الأديان كلِّها [١].

◆ الوصية الخامسة: الحث على جملة آداب في التعامل مع الناس.

❖ **قال تعالى**: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٢].

في هذه الوصايا جملةٌ من مكارم الأخلاق التي تُصلح الناس في علاقاتهم ببعض.

وفي ذكرها وجه مناسبة وارتباط بما قبلها: فإنَّه لما أمره بأن يكون كاملًا في نفسه مكمِّلًا لغيره خُشي بعدهما من أمرين:

أحدهما: التكبر على الغير بسبب كونه مكملًا له.

والثاني: التبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه.

ولما كان من آفات العبادة الإعجاب بالنفس والتكبر على الغير، جاء التحذير من هذه الصفات المذمومة[٣]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مِثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر» قال رجل: إنَّ الرَّجل يحب أن يكون ثوبُه حسَنًا ونَعْله حسَنة، قال: «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكِبْرُ بَطَر الحقِّ، وغَمْط الناس»[٤].

وجاءت هذه الوصية أيضًا للتنبيه على أنَّ المطلوب في الأمر والنهي اللين لا الفظاظة والغلظة الحاملان على النفور[٥].

---

(١) انظر: الكشاف ١٦/٥، فتح القدير ٣١٤/٤.

(٢) سورة لقمان: آية ١٨-١٩.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ١٥٠/٢٥، نظم الدرر ١٧٦/١٥.

(٤) أخرجه مسلم ٩٣/١، برقم ١٤٧، كتاب الإيمان، باب تحريم الكِبْر وبيانه. وبَطَر الحقِّ: دَفْعُه وَإِنْكَارُه تَرَفُّعًا، وغَمْط الناس: احتقارهم، انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/٢.

(٥) انظر: نظم الدرر ١٧٦/١٥.

◆يقول الله تعالى على لسان لقمان عليه السلام: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾.

الصَّعَر: مَيْلٌ في العُنُق، والتَّصْعير إمَالَتُه عن النظر كِبْرًا، وأصل "**الصَّعَر**" داءٌ يصيب الإبل يلوي عنقها[١]. وشُبِّه به الرجل المتكبِّر على الناس، لأنَّه يلوي شِقَّ وجهه عن الناس أَنَفَةً وتكبُّرًا، **والمعنى**: أقْبِلْ على الناس بوجهك تواضعًا، ولا تُوَلِّهم شقَّ وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أيْ: لا تمشِ في الأرض مختالًا بَطَرًا، فخرًا بالنعم، ناسِيًا المنعم، معجَبًا بنفسك[٢].

وليس صَعَر الخَدِّ والتبَخْتُر في المشي إلا من مشاعر التعالي والعجب، وذلك ممَّا يعزل الإنسان عن الناس ويعزل الناس عنه، ولا يكون من هذا إلا الجفاء، ثمَّ العداوة والبغضاء[٣].

◆وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ تعليلٌ لهذا النهي، ودافعٌ للبعد عن هذا الخلق الذميم، **والمُختال**: هو المتكبِّر في نفسه وهيئته وتعاظمه، **والفَخُور**: هو من يباهي ويتكبَّر في أشياء خارجة عن الإنسان كالمال والجاه[٤]، قال مجاهد رحمه الله[٥]: هو الذي يُعَدِّد ما أعطى، ولا يشكر الله[٦].

فصاحب الكبر والبطر، كما يلقى الكراهية والنفور من الناس، فإنه يلقى البغض من الله،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزَّجاج ١٩٨/٤، تهذيب اللغة ١٨/٢، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) ٣١٥/٧، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٦٩/٢ .

(٢) انظر: جامع البيان ٥٥٩/١٨، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٩).

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٥٧٣/١١.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ٤٨٤/٢، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٩).

(٥) **هو**: أبو الحجاج المكِّي مجاهد بن جبر، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، عرض القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، يقف عند كل آية، يسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ توفي سنة ١٠٣هـ وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، تقريب التهذيب ص(٥٢٠).

(٦) انظر: تفسير مجاهد ص(٥٤٢)، وأخرجه الطبري في جامع البيان ٥٦٢/١٨، وممن ذكره: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤٨٢/١٦، وأبو حيان في تفسير البحر المحيط ١٨٣/٧.

والبعد عن مواقع رضاه؛ لأنَّ الكبر مفتاح كلِّ رذيلة، وبابَ كلِّ شرٍّ وضلالٍ، وما أوتي المشركون الذين تحدَّوا رسالة الإسلام، وعَمُوا عن الهدى الذي فيها إلا من كِبْرهم وعجبهم بأنفسهم، وبما زيَّنتْ لهم أهواؤهم(١). وما تلك الفئة التي ذكرها الله في مقدمة السورة بعيد عن هذه الحقيقة: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٢)، دفعهم جهلهم واستكبارهم إلى الإعراض عن آيات الله، نعوذ بالله من الضلال.

◆ **ثمَّ قال تعالى:** ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(٣).

القَصْد: استقامة الطريق، يقال: قَصَدْتُ قَصْدَه، أيْ: نَحَوْتُ نَحْوَه، ومنه الاقتصاد، والاقتصاد على ضَرْبين، **أحدهما:** محمودٌ على الإطلاق وذلك فيما له طرفان: إفراط وتفريط، كالجود فإنه بين الاسراف والبخل، وكالشجاعة فإنها بين التهور والجبن، ونحو ذلك، وعلى هذا قوله: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾. **والثاني:** يكنى به عما يتردد بين المحمود والمذموم وهو فيما يقع بين محمودٍ ومذمومٍ كالواقع بين العدل والجور، والقريب والبعيد، وعلى ذلك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾(٤) وكلا المعنيين جاء ذكرهما في السورة(٥).

وتناسُبُ الآيات ظاهرٌ في أنَّه لما نهاه عن الخلق الذميم رَسَم له الخلق الكريم، الذي ينبغي أن يستعمله من القصد في المشي، بأن يمشي مشيًا متوسِّطًا متَّئِدًا، ليس بالبطيء المتثبِّط، ولا بالسريع المفرط، بعيدًا عن الاستعجال والتكبُّر، مشية قاصدة بدون تلكُّؤٍ ولا تبخْتُرٍ(٦).

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٥٧٣/١١.

(٢) سورة لقمان: آية ٧.

(٣) سورة لقمان: آية ١٩.

(٤) سورة فاطر: من الآية٣٢.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٥٢٣/٢. وسبق تعريف "القصد" بالمعنى العام ص (١٤١).

(٦) انظر: جامع البيان ٥٦٣/١٨، المحرر الوجيز ٥٣/٧، البحر المحيط ١٨٣/٧، في ظلال القرآن ٢٧٩٠/٥.

◆وقوله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ أيْ: انقص منه، واخفضه، ولا تتكلَّف رفْعَه، بل اجعله وسطًا بمقدار ما تُسمِع، بلا زيادةٍ أو نقصان، وفي الغَضِّ من الصوت أدبٌ وثقةٌ بالنفس واطمئنانٌ إلى صدق الحديث وقوته، أما الجهر بأكثر من الحاجة، فإنَّه يؤذي السَّامع والمتكلِّم، وفيه رعونة لا تليق بالعاقل الرشيد.

◆وقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ تعليلٌ للأمر بالغضِّ من الصوت، وفي هذا التعبير تقبيحٌ للفعل بصورة منفِّرة، فإنَّ أبشع الأصوات وأقبحَها برفعها فوق الحاجة بلا داعٍ هو صوت الحمير، وغاية من يرفع صوته أنَّه يجعله شبيهًا بصوت الحمار في عُلوِّه ورَفْعه، وهو البغيض إلى الله، وفى ذلك ما لا يخفى من الذم، وتهجين رفع الصوت، والترغيب عنه[1].

وهذه الوصايا التي وصَّى بها لقمان عليه السلام ابنه، تجمع أمَّهات **الحِكَم**، وتستلزم ما لم يذكر منها.

ومن تمام حكمة الله جلَّ وعلا أنَّ كلَّ وصيةٍ فيها قُرنت بها ما يدعو إلى فعلها، إنْ كانت أمْرًا، وإلى تركها إنْ كانت نَهْيًا.

وفي هذا الترتيب لآيات الوصايا وجه تناسق وتناسب، فهي:

← أولًا: جاءت بالدعوة إلى التعرُّف على الله تعالى وعلى حقوقه وأدائها بإحكام على أحسن وجه، وهذا أصل الدين: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾[2]، ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[3].

← ثم جاءت بالدعوة إلى التعرف على حقوق الخلق وعلى رأسهم الوالدان: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[4].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٨٣/١٦، فتح القدير ٣١٥/٤، تفسير المراغي ٨٦/٢١، معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٢٧/١١.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٢.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٤.

← وأكَّد على استشعار مراقبة الله؛ لأن الإيمان الراسخ هو الأصل الذي تنبثق منه سائر الفضائل الخلقية: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾(١).

← ثمَّ أرشد إلى معرفة واجبات النفس من العبادات كإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر الذي يسهل به كل أمر: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾(٢).

← وأرشد إلى تزكية النفس وتجنيبها الآفات الخُلقية، والحث على التوسط والاعتدال في الأقوال والأفعال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾(٣)، ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾(٤).

وهذا هو طريق العقيدة المرسوم: توحيدٌ لله، وشعورٌ برقابته، وتطلُّعٌ إلى ما عنده، وثقةٌ في عدله، وخشيةٌ من عقابه.

ثم انتقالٌ إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والتزوُّد بزاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة وإقامة الفرائض، والصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها، ومن أذىً تمتَدُّ به الألسنة وتمتَدُّ به الأيدي، ومن الابتلاء في المال، والابتلاء في النفس عند الاقتضاء، والتجمُّل بالأخلاق الفاضلة والتواضع ولين الجانب والتوسط في الأمور كلها، بلا إفراط أو تفريط.

إنَّه حقيقٌ بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا بها؛ ولهذا من

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٦.

(٢) سورة لقمان: آية ١٧.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٨.

(٤) سورة لقمان: من الآية ١٩.

مِنَّة الله على لقمان عليه السلام وعلى سائر عباده: أنْ قصَّ عليهم من حكمته ما يكون لهم به أسوةٌ حسنةٌ، وما يرشدهم إلى طريق الهداية والإحسان، وحقيقٌ بمن امتثل بها، وطبَّق ما فيها أن تشمله الحكمة، ويظفر بخيري الدنيا والآخرة، ويكون من المهتدين المحسنين بإذن الله[1].

وهنا ينتهي تفسير المقطع الثالث من السورة، **والله تعالى أعلم**.

(١) انظر: البحر المحيط ١٨٣/٧، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٩)، في ظلال القرآن ٢٧٩٠/٥، التفسير الأدبي لسورة لقمان ص(١١٨)، جنى القلب الهائم في مقاصد السور ومحاورها ص(٢٤٧).

المبحث الرابع	تفسير آيات الموضوع الرابع: **تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس حيال ذلك. الآيات (٢٠ - ٢٤)**

❖ **قال الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.

ينتقل سياق الآيات إلى نسقٍ جديدٍ مرتبطٍ بما قبله من الآيات، فإنَّ آيات السورة السابقة قرَّرت حكمة القرآن اللازم منها حكمة منزِّله سبحانه، وقرَّرت ضرورة الإحسان والاهتداء بكتاب الله جل وعلا، وجاء فيها التحذير من الشرك والدعوة إلى التوحيد، بإقامة الدلائل الكونية الدالة على عظمة الخالق سبحانه، وبذكر وصايا لقمان عليه السلام الداعية إلى العقيدة والأخلاق، ثم جاءت الآيات هنا لتؤكد تلك الحقائق بأسلوب التذكير بالنعمة، فالله هو الذي سخَّر للعباد ما في السماوات والأرض، وأسبغ عليهم النِّعم ظاهرًا وباطنًا، ووهبهم العقول ليتفكروا، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، كل ذلك ليدلهم على الحقيقة التي لا مراء فيها : أن للكون إله يستحق العبادة وحده لا شريك.

• يقول الرازي رحمه الله: ((لما استدلَّ بقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾[1] على الوحدانية، وبيَّن بحكاية لقمان أنَّ معرفة ذلك غير مختصَّةٍ بالنبوة، بل ذلك موافقٌ للحكمة، وما جاء به النبي ﷺ من التوحيد والصلاة ومكارم الأخلاق كلُّها حكمةٌ بالغةٌ، ولو كان تعبُّدًا محضًا

(١) سورة لقمان: من الآية ١٠.

للزم قبوله، فضلًا عن أنَّه على وفق الحكمة، استدلَّ على الوحدانية بالنِّعمة؛ لأنَّا بينَّا مرارًا أنَّ الْمَلِك يُخْدم لعظمته وإنْ لم يُنعِم، ويُخْدم لنعمته أيضًا، فلمَّا بيَّن أنَّه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمدٍ وإلقائه في الأرض الرواسي، وذكر بعض النِّعم بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[١]، ذكر بعده عامَّة النعم، فقال: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٢]، أيْ: سخَّر لأجلكم ما في السموات))[٣].

◆ **وابتدأت الآيات** بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ استفهامٌ لتقرير الواقع وتأكيده، بأنَّكم قد رأيتم وشاهدتم نعم الله المسخَّرة لمنفعتكم ومصلحتكم[٤].

وهذه العبارة فيها تنبيهٌ للمخاطبين؛ لرؤية ما يحيط بهم من النِّعم رؤيةَ القلب والبصيرة، لا مجرّد رؤية النظر بالعين. فالعبارة مستمدة من مشاهدات الناس وممارساتهم، وأنَّ سامعي القرآن مباشرة يعرفون مداها، فقصدت حكمة التنزيل تنبيههم إلى ما يعرفون ويتمتعون به من فضل الله عليهم، وواجب الاعتراف به والشكر على ذلك[٥].

❖ يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٦].

يلفت الله سبحانه وتعالى انتباه العباد إلى نعمه الجليلة عليهم، وتسخيره ما في السموات والأرض لمنافعهم، وما فيه مصلحتهم في المعاش والمعاد، فسخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وما فيها من جو يقطع الناس فيه ما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب راحلين مسافرين، وأنْ جعلها

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٣) مفاتيح الغيب ١٥٢/٢٥.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ١٧٤/١٢، التفسير الوسيط لطنطاوي ١٢٤/١١، تفسير المنتصر الكتّاني ١٨٤/٢.

(٥) انظر: التفسير الحديث ٢٥٦/٤.

(٦) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

بأكملها سقفًا محفوظًا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، وخيرات ومعادن، وغير ذلك مما لا يحصى عددا، وأفاض على العباد وغمرهم بنعمه الظاهرة والباطنة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ وهذا يشمل النِّعم كلَّها بكافة أنواعها: المحسوسة والمعقولة، المعروفة وغير المعروفة، نعم الدنيا، ونعم الدين(١).

إنَّ التناسق بين حاجات الإنسان على الأرض وتركيب هذا الكون مما يقطع بأنَّ هذا الكون بما فيه لا يمكن أن يكون فَلْتَةً ولا مصادفةً، ولا مفرَّ من التسليم بالإرادة الواحدة المدبِّرة، التي تنسق بين تركيب هذا الكون الهائل وحاجات البشر على هذا الكوكب الصغير الضئيل، الأرض(٢).

◆ومن حكمة الله العليم القدير أن أظهر هذه الآيات وسخّرها لعباده، ليستدلُّوا بها على وجود الخالق، وليستيقنوا أنَّه الحق، وأنَّ كلَّ ما دونه باطلٌ، وأنَّه الغني الحميد، وأنَّ كلَّ ما سواه مفتقرٌ إليه، ومع ذلك فإنَّ فئة من الناس عَمُوا عن هذه الحقيقة، وظلموا أنفسهم، وعطَّلوا عقولهم، وجادلوا بغير مستندٍ عقليٍّ ولا نقليٍّ.

❖ يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾(٣).

أيْ: هناك فئة من الناس تجادل عن الباطل لتدحض به الحق، وتدفع ما جاء به الرسول ﷺ من الأمر بعبادة الله، فتجادل في توحيد الله وصفاته بناءً على الجهل والعناد والاستكبار؛ إذ **ليس معهم علمٌ** حصَّلوه بالنظر والتأمل، أو أفادوه من دليل عقلي أو نقلي، **ولا هدًى** تلقَّوه من الرسول الذي جاءهم بالبينات من رب العالمين، أو من اقتدائهم بالمهتدين من سبقهم، **ولا كتابٌ منيرٌ** تلقَّوه عن رسول من رسل الله، وصانوه عن التحريف، وانتفعوا بما فيه من علم وهدى، وبذلك غابت عنهم كلُّ عناصر العلم، وانتفت عنهم الحكمة، وأصبح جهلهم جهلاً

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٥/١١، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٩٢/٥.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

مركَّبًا، فلا معقول، ولا منقول، ولا اقتداء بالمهتدين[١].

إنَّ المجادلة في الله سبحانه وتعالى بغير علمٍ ولا هدًى ولا كتابٍ منيرٍ من أنكر المجادلات، وهي بالغة النكران في العقول، ومن لطيف الموافقات أن تكون هذه الآية بعد قول الحق تبارك وتعالى:﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[٢].

❖ **ثمَّ قال تعالى:** ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣].

وهذا موقفٌ من مواقف الضَّالين في مواجهة الحق، وفي لقاء من يدعوهم إلى اتباع ما أنزل الله على رسوله من شرعٍ يُفرِّق بين المحقِّ والمبطل، ويَفْصل بين الضالِّ والمهتدي، وبانت أدلة صدقه في الآفاق والأنفس، هم في هذا الموقف يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فإذا أفحموا بالحجج والبراهين، ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ﴾، لم يجدوا جوابًا إلا تقليد الآباء والأجداد، تلك هي حجَّتهم، وهذا هو مستندهم، وما ذاك إلَّا من نزغات الشيطان، والشيطان لا يدعو إلَّا إلى الضلال الموصل إلى النار، وبئس القرار[٤].

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ للتعجب من فظاعة ضلالهم وعماهم بحيث يتبعون من يدعوهم إلى الجهالة والضلال في الدنيا، وإلى العذاب والهلاك في الآخرة. وفيه توبيخٌ لهم لاتباعهم معتقدات آبائهم من غير حُجَّةٍ أو معرفة دليلٍ، بل سلَّموا وجودهم لغيرهم، دون أن يكون لهم نظرٌ وتفكُّرٌ فيما تلقوه، وفي هذا ذمٌّ لهم، وتحذيرٌ من فعلهم[٥].

وهذا الموقف الذي وقفوه في مواجهة الحق يشابه موقف الفئة التي جاء ذكرها في فاتحة

---

(١) انظر: تفسير المراغي٢١/٨٨، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٤٩)، التفسير القرآني للقرآن ١١/٥٧٦.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٩. انظر: على طريق التفسير البياني ٢/٣٩٨.

(٣) سورة لقمان: آية ٢١.

(٤) انظر: جامع البيان ١٨/٥٦٩، تفسير المراغي ٢١/٨٨، التفسير القرآني للقرآن ١١/٥٧٧.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٢١/١٧٦، التفسير القرآني للقرآن ١١/٥٧٨.

السورة، أولئك تمثَّل موقفهم في صورة مشترٍ لِلَّهْو هازئٍ بالآيات، وهنا جاء في صورة مقلِّد للموروث الثقافي الاجتماعي الفاسد، وكلاهما غابت عنه الحكمة، وغرق في ضلاله واستكباره(١).

وبعد أن ذكر سبحانه حال المشرك المجادل في الله بغير علم، أردف ذلك ذكر حال المستسلم المفوّض أموره إلى الله، وبيان عاقبته ومآله، ليتجلى الفرق بين الفئتين، وتتحرك النفوس إلى طلب الأفضل، ثم سلَّى رسوله ﷺ على ما يلقاه من المشركين من العناد والكفران، وبيَّن له أنَّه قد بلَّغ رسالات ربه، وتلك وظيفة الرسل، وعلى الله الحساب والجزاء، فهو يجازيهم بما يستحقُّون من العذاب الغليظ في جهنم وبئس المصير(٢).

❖ **يقول تعالى:** ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾(٣).

وَهُوَ مُحْسِنٌ: أيْ: وهو مطيعٌ لله في أمره ونهيه، مخلصٌ بباطنه كما أخلص بظاهره(٤).

وفي تخصيص هذه الصفة تقريرٌ لضرورة الإحسان، وتأكيدٌ على أوصاف الإحسان التي ذُكِرتْ في فاتحة السورة: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(٥)، وارتباطٌ بما ورد في السورة من مظاهر الإحسان، كوصف المنتفعين بآيات القرآن بالمحسنين، وبيانُ صورةٍ من صور الإحسان في إحسان الوالد إلى ولده بإرشاده وتعليمه كفعل لقمان عليه السلام، وما تضمنته وصايا لقمان عليه السلام من أدب في تعامل الإنسان مع غيره، وذكر إحسان الله على عباده بتسخيره لهم ما في السماوات والأرض.

---

(١) انظر: التناسب البلاغي في سورة لقمان ص(٦٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٥٦/٧، مفاتيح الغيب ١٥٤/٢٥، تفسير المراغي ٩٠/٢١.

(٣) سورة لقمان: آية ٢٢-٢٤.

(٤) انظر: جامع البيان ٥٦٩/١٨، نظم الدرر ١٨٩/١٥.

(٥) سورة لقمان: آية ٤.

◆ وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أيْ: من أسلم وجهه لله، متوكِّلًا عليه، متذلِّلًا له بالعبودية، مُقِرًّا له بالألوهية، مطيعًا له في أمره ونهيه ، فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه. وهذا مَثَلٌ، يعني به: أنَّه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسنٌ، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة(١).

أمَّا من لم يسلم وجهه لله، أو لم يحسن، لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثَمَّ إلا الهلاك والبوار، ولما كان كلُّهم صائرين إليه سبحانه: من استمسك بالأوهى، ومن لم يستمسك بشيءٍ – إلَّا أنَّ الأول صائر مع السلامة، وغيره مع العطب – قال تعالى مظهرًا عدْلَه وحكمَتَه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أيْ: رجوعها وموئلها ومنتهاها، فيحكم في عباده، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، ووصلت إليه عواقبهم، فليستعدوا لذلك الأمر(٢).

◆ ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾(٣)

تسليةٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ على ما يلقاه من أذى المشركين وعنادهم، فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾، من كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة؛ فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ لا تخفى عليه خافيةٌ، فهو عليمٌ بما لم ينطق به الناطقون، فكيف بما ظهر، وكان شهادة، عليمٌ بما تكنُّه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان، وهذا من تمام عدله تعالى وسعة علمه. ثمَّ بيَّن أنَّ ما يمتعون به في الدنيا عَرَضٌ قليلٌ، وظلٌّ زائلٌ لا ينبغي لعاقلٍ أن يقيم له وزنًا بجانب العذاب الدائم، فقال:

---

(١) انظر: جامع البيان ٥٦٩/١٨.

(٢) انظر: نظم الدرر ١٨٩/١٥، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٠).

(٣) سورة لقمان: آية ٢٣-٢٤.

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ أيْ: نمهلهم في هذه الدنيا مهلًا قليلًا يتمتعون فيها، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أيْ: ثمَّ نوردهم على كُرْهٍ منهم عذابًا غليظًا، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عملٍ يقرِّب منها[١].

جاء في الآيات ذكر نهاية من يُسْلم وجهه إلى الله وهو محسنٌ، ونهاية من يكفر ويخدعه متاع الحياة، مَنْ أَسْلم لله اطمئنَّ في الدنيا، ونجا وارتقى في الآخرة، أمَّا من كفر فإنَّ نهايته في الدنيا تهوينُ شأنه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ فشأنه أهون من أن يحزنك، وأصغر من أن يهمَّك، ونهايته في الأخرى الخسران المبين، فهو في قبضة الله لا يفلت، مأخوذٌ بعمله، يُجازى العذابَ الشاقَّ على كُرْهٍ منه، لا يستطيع دَفْعَه أو الفرارَ منه[٢].

وفي هذه المقابلة بين الفئتين وَجْهُ حكمةٍ من حِكَم الله في آياته، فهو يقابل بين الفريقين بذكر مواقفهم في الدنيا، وذكر جزائهم في الآخرة، حتى ينتبه العاقل، ويسعى لجلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها، فينشط لطاعة الله، ويبتعد عن معصيته.

ولما كان الإخبار في قوله تعالى: ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ قد يثير في نفوس السامعين سؤالًا عن عدم تعجيل الجزاء إليهم، لأن من طبع الإنسان العجلة، بيَّن الله تعالى بأنَّه يمهلهم زمنًا يتمتعون فيه، ثم يوقعهم في عذابٍ لا يجدون منه منجًى، فليس من الحكمة إشغال النفس باستعجال العذاب، لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريب، ولله الحكمة البالغة[٣].

ومن جميل تناسق آيات هذا المقطع أنها جاءت متكاملة مع آيات السورة في بيان ضرورة الاهتداء بكتاب الله، والتأكيد على حكمة آياته، والدعوة إلى التوحيد من خلال لفت الناس إلى نعم الله التي تقتضي شكرًا.

---

(١) انظر: جامع البيان ٥٧٠/١٨، تفسير المراغي ٩١/٢١، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٩٤/٥.

(٣) انظر: نظم الدرر ١٩١/١٥، التحرير والتنوير ١٧٨/٢١.

◆ ففي الآيات الأولى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، تقرر وجوب شكر الله تعالى.

◆ ثم جاءت الآيات الثانية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[2]، لتدلَّ على طريق الشكر.

◆ ثم جاءت الآيات الثالثة لتبين صورة الشكر وحقيقته ومآله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[3].

وهنا ينتهي تفسير المقطع الرابع من السورة، **والله تعالى أعلم**.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢١.

(٣) سورة لقمان: آية ٢٢-٢٤. وانظر: الأساس في التفسير ٤٣٧٣/٨.

المبحث الخامس	تفسير آيات الموضوع الخامس: **إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق واستحقاقه للعبادة. الآيات (٢٥ - ٢٨)**

❖ **قال الله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾.

في هذا المقطع من الآيات استمرار في تقرير المعاني التي احتوتها الآيات السابقة، لكن بأسلوبٍ فيه **إفحامٌ وتفصيلٌ**:

إفحامٌ للمشركين باعترافهم بوجود خالقٍ واحدٍ للكون، واضطرارهم إليه حال الشدة والضيق.

وتفصيلٌ بذكر بعض ما في هذا الكون من آياتٍ وردت بإجمالٍ في الآيات السابقة، تدلُّ على وحدانيته ورحمته وقدرته وسعة علمه سبحانه.

◆ لما بيَّن سبحانه وتعالى عاقبة الكافرين في الآية السابقة لهذه الآيات، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[1]، استدرج هنا عقولهم للإقرار بتوحيد

---

(١) سورة لقمان: آية ٢٣-٢٤.

ربوبية الله تعالى، فإقرارهم هذا وحده حجةٌ عليهم في أنَّه وحده المستحقُّ للحبِّ والذلِّ والخضوع وسائر أنواع العبادة[١]، وحجةٌ عليهم في استحقاقهم للعذاب؛ إذْ أنَّ عقولهم وفطرهم تقرُّ بأن للكون خالق واحد ومع ذلك يشركون معه غيره! ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

• وللرازي ﷺ توجيهٌ لطيفٌ في تناسق هذه الآية التي فيها اعتراف المشركين بربوبية الله تعالى مع ما قبلها من آياتٍ، فيقول: ((الآية متعلِّقةٌ بما قبلها من وجهين، **أحدهما**: أنَّه تعالى لما استدلَّ بخلق السموات بغير عمدٍ، وبنعمه الظاهرة والباطنة، بيَّن أنَّهم معترفون بذلك غير منكرين له، وهذا يقتضي أن يكون الحمد كلُّه لله؛ لأنَّ خالق السموات والأرض يحتاج إليه كلُّ ما في السموات والأرض، وكون الحمد كله لله يقتضي ألَّا يُعبد غيره، لكنَّهم لا يعلمون هذا.

والثاني: أنَّ الله تعالى لما سلَّى قلب النبي ﷺ بقوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم ﴾[٣] أيْ: لا تحزن على تكذيبهم فإنَّ صدقك وكذبهم يتبين عن قريب عند رجوعهم إلينا، قال وليس لا يتبين إلا ذلك اليوم بل هو يتبين قبل يوم القيامة لأنَّهم معترفون بأن خلق السموات والأرض من الله، وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم في الإشراك فقل الحمد لله على ظهور صدقك وكذب مكذبيك بل أكثرهم لا يعلمون))[٤].

❖ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥].

• يقول الطبري ﷺ: ((ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: ﴿مَّنْ خَلَقَ

---

(١) انظر: جنى القلب الهائم في مقاصد السور ومحاورها ص(٢٥٠).

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢٥.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٣.

(٤) مفاتيح الغيب ١٥٦/٢٥.

(٥) سورة لقمان: آية ٢٥.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [١]. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقلْ لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئًا وهم يخلقون. ثمَّ قال تعالى ذكره: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد، وأين موضع الشكر)) [٢].

هذا الاعتراف فيه إلزامٌ لهم: بما أنهم أقرُّوا بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، فبالتالي يجب أن يكون له الحمد والشكر، وألَّا يُعبد معه غيره، لكن: ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ ذلك يلزمهم، وإذا نُبِّهوا عليه لم ينتبهوا، وعلمٌ لا يُعمل به عَدَمٌ، فهم يعرفون أنَّ الله هو الخالق، ولكنها المعرفة الذهنية الباردة التي لا تُنشئ شعورًا ولا عملاً، ومن ثم فمعرفتهم والجهل سواء[٣].

ووصفهم بهذا الوصف: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أيْ: بنفي العلم عنهم، مناسبٌ لجوِّ السورة الذي يدعو إلى الحكمة والمعرفة وإعمال العقل، وعِلْمٌ لا يقود صاحبه إلى التوحيد هو جهلٌ وإنْ بلغ صاحبه في العلوم ما بلغ! والإنسان إذا ضلَّ قلبه لم يستعمل ما وهبه الله ﷻ من عقلٍ وفكرٍ لإدراك أنَّ الخالق سبحانه الذي تفرَّد بالخلق هو وحده المستحقُّ للعبادة.

لذلك غابت الحكمة عن هؤلاء المشركين، وظهر سَفَهُ عقولهم لتناقضهم، فهم يعلمون المقدمات ثم يعرضون عن النتيجة. أمَّا أهل الإيمان والحكمة فيقولون: "الحمد لله على ما هدانا له من دين، وليس الحمد لغيره"[٤]، والحمد لله على اعترافكم، وظهور الحجة عليكم، فكيف تعبدون غيره، وتجعلونه شريكًا له؟! والحمد لله على ما أظهر من حقٍّ، والحمد لله على نعمة العقل.

---

(١) سورة لقمان: من الآية ٢٥.

(٢) جامع البيان ١٨/٥٧٠.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٥/٢٠، مدارك التنزيل ٣/٩١٠، نظم الدرر ١٥/١٩٥، دراسات قرآنية لمحمد قطب ص(٢٠٥).

(٤) مقتبس من: الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٨٨.

و"بين يدي كلِّ نعمةٍ جليلةٍ يجيء حمد الله، منبِّهًا إلى قدر هذه النعمة، ومذكِّرًا بما ينبغي على العباد إزاءها من حمدٍ وشكران"(١).

إنَّ هذا الضلال في الفكر والعمل الذي يجمع بين الإقرار بربوبيَّة الله سبحانه، وبين الاعتقاد الباطل بإلهيَّة غيره، أو بالشرك معه سبحانه، له ارتباطٌ موضوعيٌّ بما ذكر في السورة من مواقف أهل الباطل، ففعلهم هذا الذي يغشاه الضلال:

← يشبه فعل من يترك الحكمة وهي تتلى عليه من آيات الكتاب الحكيم، ويبتدر إلى الضلالات ولهو الحديث ليُضل نفسه ومن معه(٢): ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾(٣).

← ويشبه فعل من يجادل عن الباطل ليدحض به الحق، بلا دليل عقلي أو نقلي أو اقتداء بالمهتدين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾(٤).

← ويشبه فعل من يترك الحق الذي أنزله الله وظهرت أدلته، ويتبع آبائه وأجداده ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٥)، فما أبعد الحكمةَ عن هؤلاء جميعًا!.

ثم ذكر الله جلَّ وعلا في الآيات التي تليها ما يدلُّ على كماله وسعة أوصافه سبحانه، ليدعو عباده إلى معرفته ومحبته وإخلاص الدين له، ولقطع الظنون الفاسدة التي قد يظنها المشركون حين يُدعون إلى الإيمان بالله، وإلى إفراده بالعبادة، فيخيَّل إليهم أنَّ عبادتهم لله هي لحاجة الله إليهم، وافتقاره إلى عبادتهم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. فذكر عموم ملكه، وسعة حمده، وسعة كلامه، وعظمة قوله، وجلالة عزَّته، وكمال حكمته، وعظمة قدرته، وعموم سمعه

---

(١) مقتبس من: التفسير القرآني للقرآن ٥٨١/١١ .

(٢) انظر: التناسب البلاغي في سورة لقمان ص(٧٠).

(٣) سورة لقمان: من الآية ٦.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٥) سورة لقمان: آية ٢١.

لجميع المسموعات، وبصرِهِ لجميع المبصرات، وانفراده بالتصرف والتدبير، واضطرار الخلق إليه(١).

❖ قال الله تعالى:﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾(٢).

بعد أن قامت الحجة على المشركين، وظهر تناقضهم، "جاء التصريح بهذه النتيجة لقصد التهاون بهم في كفرهم بأن الله يملكهم ويملك ما في السماوات والأرض، فهو غنيٌّ عن عبادتهم محمودٌ من غيرهم"(٣).

ولما كانت السورة تشتمل فيما تشتمل عليه على معالجة عقيدة المشركين، وكان هؤلاء يعتقدون أن الله هو وحده الذي خلق السماوات والأرض، ولكنهم كانوا يعتقدون أنَّ آلهتهم لها ربوبيَّةٌ ما في الأرض، كقضايا الرزق، والتوفيق في الأسفار، ونحوها، كان من الحكمة تقريرُهم بشأن عقيدتهم في خلق السماوات والأرض، والانطلاق منها إلى إثبات ربوبيته سبحانه لكلِّ شيءٍ في الكون، ومن ذلك ربوبيته لأرزاقهم وصحتهم، وكلِّ التصاريف التي تتعلق بهم، مما فيه نفعُهم أو ضرُّهم(٤).

فجاء التقرير هنا بطريقين :

١. طريق سؤالهم مباشرة: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٥).

٢. وطريق العقل: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾(٦).

فاعترافهم بحقيقة وجود خالقٍ واحدٍ للكون، من لوازمه العقلية والفكرية إثبات وحدانية

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص (٦٥٠)، التفسير القرآني للقرآن ٥٨٢/١١.

(٢) سورة لقمان: آية ٢٦.

(٣) مقتبس من: التحرير والتنوير ١٨٠/٢١.

(٤) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٤٦/١١.

(٥) سورة لقمان: آية ٢٥.

(٦) سورة لقمان: آية ٢٦.

الخالق سبحانه بملكه ما في السماوات وما في الأرض، وأنَّه هو المتصرِّف فيهما، لا يمكن أن يشاركه أحدٌ في ربوبيته وألوهيته.

وأنوار الحكمة تشعُّ من هذا الترتيب المنطقي للجدال، "فالمنهج الجدليُّ يجب أن يبدأ من قاعدةٍ متَّفقٍ عليها لدى المتحاورين المتناظرين، والانطلاق منها إلى ما بعدها مباشرة مما هما مختلفان فيه، وهذا من أسس الحوار السويِّ الْمُجْدِي، نزل به تعليمٌ ربَّانيٌّ"(١).

فذكر الله سبحانه في هذه الآية – ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ – عُمومَ ملكه؛ بأنَّ له سبحانه كلَّ ما في السموات والأرض مُلكًا وخَلقًا وتصرُّفًا وليس ذلك لأحد سواه، فلا يستحق العبادة فيهما غيره

ومع ذلك هو "**الغنيُّ**" سبحانه عن عبادة الناس، فلا افتقار له لشيء من الموجودات، وأعمال الصالحين لا تنفع الله شيئًا، وإنما تنفع عامليها، وكفر الجاحدين لا يضر الله شيئًا، وإنما يضرهم.

وهو "**الحميد**" سبحانه: المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه، المستحقُّ الحمد على ما أنشأ وأنعم، المحمود بذاته ولو لم يتوجه إليه الناس بالحمد(٢). فالله ﷻ هو (**الحميد**) فهو محمود على جهة الثبوت، وهذا مناسب لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٥) مناسبان لا سمه "**الغنيِّ**"، فارتبط ذكر هذين الاسمين الجليلين بما سبق أجلَّ ارتباط وأحسنه(٦).

---

(١) مقتبس من: معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٤٧/١١.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٥٧١/١٨، البحر المحيط ١٨٥/٧، تفسير المراغي ٩٣/٢١، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥١)، في ظلال القرآن ٢٧٩٥/٥.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٥.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢٥.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٦.

(٦) انظر: على طريق التفسير البياني ٤٢٠/٢.

◆ ثم ذكر الله جل وعلا ما يدل على "سعة كلامه، وعظمة قوله، بشرحٍ يبلغ من القلوب كلَّ مبلغٍ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الألباب والبصائر"(١).

❖ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

ومضمون هذه الآية مرتبطٌ ارتباطًا تكامليًّا بما جاء في السورة بشأن شمول علم الله تعالى، فقد جاء فيما سبق ذكر لقمان عليه السلام الذي وهبه الله شيئًا من العلم والحكمة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾(٣)، وتكرر في الآيات الماضية وصف الله تعالى بإحاطة علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها(٤)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٧).

وللآية ارتباطٌ بآيات السورة التي مُلِئتْ حكمةً، وتنوعت أساليبها في الدعوة إلى التوحيد وشكر الخالق، من وعد ووعيد، وإخبار وأحكام، وجدال وحجج، وفوائد، وآيات تدعو إلى تحريك العقل بالتفكر. فكلُّ تلك الآيات التي أنزلها الله سبحانه في كتابه ما هي إلا شيءٌ قليلٌ من كلامه الذي لو جُعلت أشجار الأرض أقلامًا، والبحر مدادًا لها، لتكتب كلام الله، لنفِدتْ الأقلام والأبحر، ولم تنفد كلماته سبحانه العزيز الحكيم.

---

(١) مقتبس من تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥١).

(٢) سورة لقمان: آية ٢٧.

(٣) سورة لقمان: من الآية ١٢.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ١٨١/٢١، معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٥٠/١١.

(٥) سورة لقمان: من الآية ١٥.

(٦) سورة لقمان: من الآية ١٦.

(٧) سورة لقمان: من الآية ٢٣.

كما أنَّ لهذه الآية ارتباطًا بالآيات التي تسبقها مباشرة، فإنه لما جاء البيان بـ "أنَّ لله ما في السماوات والأرض، أتبعه بما يدل على أنَّ له وراء ذلك ما لا يحيط به عدد، ولا يحصر بحدٍّ"(١).

• يقول الرازي ﷺ في هذا الوجه من التناسب: ((لما قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٢) وكان ذلك موهمًا لتناهي مُلكه؛ لانحصار ما في السموات وما في الأرض فيهما، وحكم العقل الصريح بتناهيهما، بيَّن أَّن في قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ ﴾(٣) يكتب بها، والأبحر مدادٌ لا تفنى عجائب صنع الله))(٤).

• يقول الطبري ﷺ في تفسير هذه الآية: ((ولو أنَّ شجر الأرض كلَّها بريتْ أقلامًا ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ ﴾ يقول: والبحر له مِدادٌ، والهاء في قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ عائدة على البحر. وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾. وفي هذا الكلام محذوفٌ استُغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو: يُكتب كلامُ الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفذ ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله))(٥).

جاء البيان في هذه الآية عن طريق ضرب المثل، لتقريب المعنى، وكان الغرض من هذا المثل الإعلام بسعة علم الله تعالى، وعظمة كلامه الغير متناهي، وإنما قرَّب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة، لا أنَّ كلمات الله تنفد بأكثر من هذه الأقلام والبحور، فإنَّ الأقلام والبحور يتصوَّر نفادها لكونها مخلوقةً، أمَّا كلام الله تعالى فلا يتصوّر نفاده، إنَّه المحدود يواجه غير المحدود، لأنَّ علم الله لا يُحدَّ، وإرادته لا تُكَفَّ، ومشيئته سبحانه ماضيةٌ ليس لها حدودٌ ولا قيودٌ، وكلُّ شيءٍ ينتهي، إلا الباري جل وعلا ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ

---

(١) مقتبس من: فتح القدير ٣١٩/٤.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢٦.

(٣) سورة لقمان: آية ٢٧.

(٤) مفاتيح الغيب ١٥٧/٢٥.

(٥) جامع البيان ٥٧١/١٨.

رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[١].

ومن حكمة الحكيم سبحانه في هذه الآية، ما ورد في هذا المثل من المبالغة في تكثير المداد والأقلام

• يقول أبو حيَّان ﷺ: ((وفي هذا الكلام من المبالغة في تكثير الأقلام والمداد ما ينبغي أن يتأمل، وذلك أن الأشجار مشتملٌ كل واحدةٍ منها على الأغصان الكثيرة، وتلك الأغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم، فيبلغ عدد الأقلام في التناهي إلى ما لا يعلم به، ولا يحيط إلا الله تعالى)) [٢].

لذلك جاء لفظ "**شجرة**" بالتوحُّد والإفراد دون اسم الجنس "شجر"؛ لأنَّ المراد تفصيل الشجر، وتعْقُبها شجرةٌ شجرةٌ، حتى لا يبقى من جنس الشجر شيءٌ، وجاء جمعُ القِلَّة "**كلمات الله**" دون جمع الكثرة (كلم الله)؛ للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل، فكيف بالكثير[٣].

إنَّ الناظر إلى آيات السورة، وما ورد فيها من أدلة وبراهين عقلية وكونية، وما ورد في حكمة لقمان عليه السلام، من أدبٍ وعلمٍ ووعظٍ، وما جاء في هذه الآية من تصوير لسعة علم الله سبحانه، لا يملك إلا أنْ يردِّد : سبحان الله! سبحان الله!

لذلك جاء الختام باسمين من أسماء الله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٤]، أيْ: إنَّ الله عزيزٌ لا يعجزه شيءٌ، عزَّ كلَّ شيءٍ وقهره، فلا مانع لما أراد، ولا معقِّب لحكمه، كامل القدرة سبحانه لا نهاية لقدرته، وهو (الحكيم) في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وشرعه وجميع شؤونه، كامل العلم سبحانه، لا نهاية لعلمه [٥]. أمَّا من عَميتْ بصيرتُه فلم يرَ آثار قدرة الله

---

(١) سورة النجم: من الآية ٤٢. انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٨٩/١٦، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥١)، في ظلال القرآن ٢٧٩٥/٥.

(٢) البحر المحيط ١٨٧/٧.

(٣) انظر: الكشاف ٢١/٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢١٦/٤.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢٧.

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط ١٨٧/٧، تفسير المراغي ٩٣/٢١.

في الكون، فإنه كما بيَّنت ذلك آيات السورة، جاحدٌ منكرٌ لفطرته التي تؤمن بوجود خالق واحد للكون، اتبع الهوى ولهو الدنيا، أو قلَّد الآباءَ تقليدًا أعمى، وزيَّن الشيطانُ لهم أعمالَهم، فصدَّهم عن السبيل القويم.

إنَّ هذه الخاتمة بهذين الاسمين الجليلين قد جاء ذكرهما في مقدمة السورة، حين ذكر الله جل وعلا موقف الكافرين المعرضين عن آياته الحكيمة وجزاؤهم، وموقف المؤمنين وجزاؤهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]، فلما ختم بصفتي العزة والحكمة دلَّ عليهما بعدها بإتقان أفعاله وإحكامها في الدنيا، بأن خَلَق هذا الكون وما فيه من آياتٍ عِظام [2]، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[3].

ولما ختم الآية هنا بهذين الاسمين دلَّ عليهما بعدها بإتقان أفعاله وإحكامها وقدرته على الإبداع في الدنيا والآخرة أيضًا فقال:﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ﴾[4].

ولما كان قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[5]، يُشعر بأن تلك النِّعم والآيات لا نهاية لها، وربما ظُنَّ أنها مبعثرة لا قانون لها، أو أنها لكثرتها يصعب على الله سبحانه تدبيرها وتصريف شؤونها كما يريد، دفع هذا بأمرين:

---

(١) سورة لقمان: آية ٨-٩.

(٢) انظر: نظم الدرر ١٥/١٥٢.

(٣) سورة لقمان: آية ١٠-١١.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢٨.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٧.

١. بهذه الخاتمة التي تؤكد قدرة الله وعزته، وسلطانه على الخلق كلهم، وحكمته في تدبيره وتصريفه.

٢. وبقوله تعالى بعدها: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[١]، فهذا الخلق الذي لا حصر له، هو سبحانه محيطٌ به علمًا، ولا يعجزه شيءٌ فيه متى ما أراد[٢].

وفي مقابل المشهد الرائع الذي صوَّرته الآية السابقة لسعة علم الله، جاء في هذه الآية مشهدٌ آخر يصوِّر عظمة قدرة الله تعالى، ويدلِّل على يسر الخلق وسهولة البعث عليه سبحانه: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٣]، وسلطان الله المهيمن على كل ما في الكون يدل على هذه الحقيقة[٤].

جاء البيان هنا لحقيقة البعث، والردِّ على من أنكرها، بعبارةٍ تهزُّ الوجدان، وتبهر النفوس في مبناها ومعناها: خَلْقُ الخلائق كلِّها وبعثُها، هو كخلقِ نفسٍ واحدةٍ وبعثِها، فأمر الخلق والبعث بالنسبة إلى الله ﷻ يكفي فيها أن يقول للشيء: "كن"، فيمضي القضاء[٥]، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٦]، وقال:﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٧].

وختمت الآية باسمين جليلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[٨]، **سميعٌ**: وَسِع سمعُه جميعَ

---

(١) سورة لقمان: آية ٢٨.

(٢) انظر: تفسير المراغي ٢١/ ٩٣-٩٤.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٨.

(٤) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٥، معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٥٥/١١.

(٥) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٥٥/١١، دراسات قرآنية ص(٢٠٨).

(٦) سورة غافر: آية ٦٨.

(٧) سورة النحل: من الآية ٧٧.

(٨) سورة لقمان: آية ٢٨.

المسموعات، بصيرٌ: وَسِع بصرُه جميعَ المبصرات، لا يشغله إدراك بعضها عن بعضٍ، وكذلك البعث والنشور، وإذا كان المشركون قد سلَّموا بأن الله هو الخالق، فمن المناقضة أن يعترفوا بقدرة الله بدءًا، وينكروها إعادةً، ومن الجهل أن يظنُّوا أنَّ هناك حدودًا لقدرة الله تعالى، فالذي سوَّى هذا الكون بآياته ونواميسه الباهرة، لا فرق بالنسبة إليه بين خَلْق فردٍ وبين خَلْق جميعِ الناس وبعثهم، فإنَّه جلَّ وعلا لا يصعب عليه ما يصعب على العباد(١).

وقد ارتبطت هذه الآية بما قبلها، وبجوِّ السورة عمومًا أحسن ارتباطٍ وأوثقه، فإنَّ الخلق والبعث من كلمات الله، ولما بيَّن سبحانه كمال قدرته في الآيات السابقة ذكر هنا ما يبطل استبعادهم للبعث والحشر، فمن لا نفاد لكلماته، ولا حدود لقدرته، ولا إحاطة بعلمه، إنما يقول للموتى: كونوا، فيكونوا.

وفي الآية تذكيرٌ بضرورة اتباع الكتاب الحكيم، وضرورة الشكر، وتأكيدٌ لسعة علم الله وقدرته وحكمته، وتأكيدٌ لوجود الحساب بعد الموت، وهذا كله يوجب الإحسان، والشكر، واتباع كتاب الله، فلا يتصوَّر أحدٌ أنَّه غير مجازًى على ما اكتسب حينما يرجع إلى ربه، فإن إيجاد الخلق، ثم بعثهم بعد الموت، ومحاسبتهم، كلُّ ذلك لحكمةٍ واضحةٍ بيِّنةٍ، فإنَّه ليس من الحكمة أن يترك الخالق جل جلاله عباده هملًا من دون حساب، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

◆ وارتبطت هذه الآية بما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٣)، فكما أن الله

---

(١) انظر: الكشَّاف ٢٢/٥، الجامع لأحكام القرآن ٤٩١/١٦، التفسير الحديث ٢٥٩/٤، معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٥٥/١١.

(٢) سورة لقمان: من الآية ١٥. انظر: مفاتيح الغيب ١٥٩/٢٥، الأساس في التفسير ٤٣٣٧/٨، معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٥٥/١١، على طريق التفسير البياني ٤٢٤/٢.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٩.

سبحانه يدخل الليل في النهار فيغيب فيه بحيث لا يُرى له أثر، والعكس، فكذلك الخلق والبعث في قدرته سبحانه، فمن قدر على تغيير أحوال ما هو أعظم حالاً من الإنسان، وذلك بتغيير أحوال الأرض بين ليل ونهار تغييرًا يشبه طُرُوَّ الموت على الحياة في دخول الليل على النهار، وطُرُوَّ الحياة على الموت في دخول النهار على الليل، هو قادرٌ بلا شك على تغيير أحوال الإنسان بالموت والبعث، فهذا استدلال على إمكان البعث بقياس التمثيل بإمكان ما هو أعظم منه من شؤون المخلوقات.

والأجل المسمَّى هو يوم القيامة الذي يبعث الله الخلائق فيه، والعباد يجرون كجري الشمس والقمر إلى ذلك اليوم، فكلُّ شيءٍ في هذا العالم المشاهد له نهايةٌ وأجلٌ مسمَّى، يبدأ بعده الحساب والجزاء[1].

❖ يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[2].

في هذه الآيات تقريرٌ للدلائل والبراهين التي تدلُّ على وحدانية الخالق سبحانه، وتأكيدٌ على انفراده سبحانه بالتصرُّف والتدبير، ولفْتُ النظر إلى نعم الله التي تقتضي شكرًا، ودعوةٌ الناس إلى الإيمان بالله وإخلاص العبادة له. ففيها عودٌ لذكر الآيات الكونية المشاهدة كالتي وردت في السورة سابقًا لكن بأسلوب آخر، وبتفصيل أكثر.

---

(١) انظر: نظم الدرر ١٥/٢٠٠، التحرير والتنوير ٢١/١٨٤، على طريق التفسير البياني ٢/٤٢٥، جنى القلب الهائم في مقاصد السور ومحاورها ص(٢٥١).

(٢) سورة لقمان: آية ٢٩-٣٢.

إنَّ هذه الآيات تعود بنا إلى ما ورد في السورة أولًا من خلق السماوات والأرض عندما قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾[١]، ثم ذكر تسخير ما فيهما على وجه العموم، فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ ﴾[٢]، ثم جاء في هذه الآيات ذكْرُ تسخير بعض ما فيهما على وجه الخصوص، قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾[٣]، وقال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾[٤].

◆ يقول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾[٥].

هذا تنبيهٌ خوطب به النبيُّ محمدٌ ﷺ، والمراد به جميع العالم، فالخطاب هنا موجَّه لكلِّ متلقٍ بأسلوب الاستفهام الذي فيه تقريرٌ، ويحمل معنى التلويم لمن لم يستفد من هذا البيان[٦].

ذكر الله جلَّ وعلا آيةً كونيةً عظيمةً، وهي آية الليل والنهار، و"مشهد دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل، وتناقصهما وامتدادهما عند اختلاف الفصول، مشهدٌ عجيبٌ حقًّا، ولكن طول الألفة والتكرار يفقد أكثر الناس الحساسية تجاهه فلا يلحظون هذه العجيبة"[٧]، هذه الآية – ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ – تدلُّ على الخالق المبدع سبحانه؛ إذْ يُدخل أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر، وإذا قصر من أحدهما زيد في الآخر، فمن أحشاء النور يخرج الظلام، ومن أحشاء الظلام يولد النور، كل ذلك بتناسق بديع، وترتيب دقيق، لظاهرة عجيبة جمعت بين الأضداد، فظهر حسنها ودلَّت

---

(١) سورة لقمان: من الآية ١٠.

(٢) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٢٩.

(٤) سورة لقمان: آية ٣١. انظر: مفاتيح الغيب ١٦٠/٢٥، على طريق التفسير البياني ٤٢٩/٢.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٩.

(٦) انظر: المحرر الوجيز ٥٩/٧، معارج التفكر ودقائق التدبر ٧٥٧/١١.

(٧) مقتبس من: في ظلال القرآن ٢٧٩٦/٥.

على قدرة الله الحكيم الخبير[١].

◆ ثم قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾[٢].

هذه آيةٌ كونيةٌ أخرى: أنَّ الله سخَّر الشمس والقمر وذلَّلهما لمصالح خلقه ومنافعهم، فجعل الشمس ضياءً والقمر نورًا، تتجلَّى آية الشمس في النهار، وتتجلَّى آية القمر في الليل، كل واحد منهما يجري في فلكه بتدبير ونظام محكم لم يختل منذ خلقهما الله تعالى[٣].

﴿كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ فـ"إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، وتعطَّل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدئ الدار الآخرة" [٤].

وبعد هاتين الحقيقتين الظاهرتين للعيان جاءت حقيقةٌ أخرى معطوفةٌ عليهما: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[٥]، فمن قدر على هذه الأشياء الكونية لا بدَّ أن يكون عالِمًا بها، والعالم بها عالمٌ بأعمال العباد أيضًا، لا تخفى عليه خافيةٌ، ومجازٍ عليها إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، فجاءت هذه الخاتمة بالإلماح لما في ذلك الأجل المسمى من النظر في الأعمال والمحاسبة عليها[٦].

◆ ثم قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[٧]، أيْ: أنَّ ذلك الذي تقدَّم ذكره من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وتسخير الشمس والقمر، وسعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع، إنَّما ذُكِر ليعلم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٥٩/٧، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٢)، التفسير القرآني للقرآن ٥٨٩/١١.

(٢) سورة لقمان من الآية ٢٩.

(٣) انظر: جامع البيان ٥٧٦/١٨، التفسير القرآني للقرآن ٥٨٩/١١.

(٤) مقتبس من: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٢).

(٥) سورة لقمان: من الآية ٢٩.

(٦) انظر: جامع البيان ٥٧٧/١٨، الجامع لأحكام القرآن ٤٩٢/١٦، على طريق التفسير البياني٤٣٢/٢.

(٧) سورة لقمان: آية ٣٠.

الناس ويُقرّوا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، فكأنَّ هذه الجملة وقعتْ موقع النتيجة من الدليل(١).

فكلُّ ما في الكون إنما هو بإرادة الله جل وعلا، لأنَّه هو الحق الذي لا إله غيره، يقضي بالحق، وطاعته حقٌّ؛ لأنَّه لا يقدر على تدبير الكون سواه، ولا تصلح الألوهية إلا لمن فعل ذلك بقدرته، أما غيره مما يعبده المشركون فباطلٌ يضمحلُّ ويبيد ويفنى، ولا قدرة لهذه المعبودات على تقليب الليل والنهار، أو تسخير الشمس والقمر، بل لولا إيجاد الله لها لما وُجِدت، فإذا كانت هذه المعبودات باطلةً، فإنَّ عبادتها أبطل وأبطل(٢).

ثم ختمت الآية بالتأكيد على كمال الله ﷻ وعلوّه عن كل شيء: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فلمَّا جاءت الأدلة الساطعة، التي قرَّرت وحدانية الله، ووجوب إفراده بالعبادة، وأنَّ كلَّ ما يعبده المشركون من دونه باطل، أثبت الله ﷻ أنَّه **العلي الكبير** دون معبوداتهم(٣)، فهو سبحانه: **العليُّ**، "ذو العلوّ على كلّ شيء، وكلّ ما دونه فله متذلل منقاد، "**الكبير**" الذي كلُّ شيءٍ دونه فله متصاغر"(٤).

◆ ثم قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٥).

لما ذكر بعض ما في السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾(٦)، وذكر بعض ما في السماوات في قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾(١)، ذكر هنا

---

(١) انظر: جامع البيان ٥٧٧/١٨، النكت والعيون ٣٤٦/٤، الجامع لأحكام القرآن ٤٩٢/١٦، أنوار التنزيل ٢١٥/٤، التحرير والتنوير ١٨٦/٢١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٩٢/١٦، التحرير والتنوير ١٨٦/٢١، تفسير المراغي ٩٧/٢١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٨٦/٢١.

(٤) مقتبس من: جامع البيان ٥٧٧/١٨.

(٥) سورة لقمان: من الآية ٣١.

(٦) سورة لقمان من الآية ٢٩.

تسخير بعض ما في الأرض، وهي الفلك: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾. فأعقب ذكر النيِّرين الذين يجريان في السماء بذكر الفلك التي تجري في البحر، وكلا المشهدين ممَّا تكرَّرَ وأَلِفَه النظر، لكنْ دقائق صنع الله الحكيم وتدبيره فيهما لا ينقطع.

فمن بديع صنع الله: خلق البحر، وتيسُّر الانتفاع به بما يحقق مصالح العباد، فجعله قابلاً لحمل السفن، ويسَّر جري الفلك في البحر وفق النواميس التي أودعها الله البحر والفلك والريح والأرض والسماء، ولو اختلَّ شيءٌ من خواص هذه المخلوقات ما جرت تلك السفن، فهي تجري بنعمة الله ولطفه وفضله وإحسانه في تهيئة الأسباب على كلِّ حالٍ، ثم هي تجري حاملةً نعمةَ الله وفضلَه من طعامٍ وتجارةٍ وأرزاقٍ[٢].

ثم قال تعالى: ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ فما هذه السفن التي تجري في البحر إلا آية من آيات الله التي تدلُّ على قدرة الله ﷻ وعظمته وحكمته، ومن كمال عدل الله وحكمته سبحانه أن أظهر آياته للناس ليستدلوا بها على أنه سبحانه هو المستحقُّ وحده للعبادة، فمن رآها بعين البصيرة والعقل أدرك ذلك، وانتفع بالآيات واعتبر، أما من طُمستْ بصيرته وأغفل عقله فإنه سيبقي أسيرًا لضلالته وجهله، ولن تنفعه الآيات والعبر، لذلك قال الله تعالى في ختام الآية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣] ، فهم المنتفعون بالآيات.

ولَمَّا تقدَّم في الآية ذِكْرُ جرْي الفلك في البحر، وكان في ذلك ما لا يخفى على راكبه من الخوف، وتقدَّم ذكْرُ النعمة بتسخير البحر والفلك التي تجري فيه وما قبلها من آياتٍ، ناسب الختم بالصبر على ما يحذر، وبالشكر على ما أنعم به تعالى[٤].

• ويقول الطبري ﷺ مبيِّنًا السرَّ في تخصيص العباد الصابرين الشاكرين دون غيرهم: ((إن قال قائل: وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبَّار الشَّكور دون سائر الخلق؟ قيل: لأنَّ الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكلِّ ذي عقلٍ؛ لأنَّ

=

(١) سورة لقمان من الآية ٢٩.

(٢) انظر: البحر المحيط ١٨٨/٧، المراغي ٢١/ ٩٦، في ظلال القرآن ٢٧٩٧/٥.

(٣) سورة لقمان: من الآية ٣١.

(٤) انظر: البحر المحيط ١٨٨/٧.

الآيات جعلها الله عبرًا لذوي العقول والتمييز))[١].

وفي ذلك ثناءٌ لأهل الإيمان، فإنَّ المنتفع بآيات الله حقيقةً هم أهل الإيمان الوثيق بالله، الذين إذا أصابهم الضرُّ صبروا، وإنْ أصابهم الخير شكروا، وقد جاء ذكر هذين الوصفين بصيغة المبالغة للدلالة على أنَّ الإنسان يحتاج إلى الصبر والشكر على الدوام، فهو في أحواله يتقلَّب بين السراء والضراء، هو ملزمٌ بطاعة الله على الدوام فيحتاج إلى الصبر على الطاعة، ونعمُ الله عليه بالغةٌ مستفيضةٌ فيحتاج إلى الشكر، لذلك فإنَّ هذه النعم والآيات لا يراها إلا كلُّ صبَّارٍ على ما يلقى من شدائد، فلا ييأس من روح الله، ولا يجحد حكمة الله في ابتلائه، وإحسانه إليه، فيصبر على البلاء، ويشكر على العافية.

ولكنَّ بعض الناس لا يصبرون، ولا يشكرون، إنما يصيبهم الضر فيَجْأرون، وينجِّيهم الله من الضرِّ فلا يشكرون، لذلك ذكر الله بعدها حال غير الصبَّار الشكور، الذين يذكرون الله عند الاضطرار، ويغفلون عنه سبحانه وعن آياته حال الرخاء والسلامة، فالكلُّ معترفٌ بوجود الخالق سبحانه، بلسان الحال أو بلسان المقال، إلا أنَّ البصير يدركه أوَّلًا، ومَنْ في بصيرته ضعْفٌ لا يُدركه أوَّلًا، فإذا غشِيَه موجٌ أو وقع في شدة اعترف بأنَّ الكلَّ للَّه ودعاه مخلصًا[٢].

◆ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾[٣].

من كمال عناية الله بعباده ولطفه بهم، أنْ أظهر آياته ليستدلَّ الناس على وحدانيته ﷻ واستحقاقه للعبادة.

وقد جاء في السورة مختلف الأدلة التي تؤكد هذه الحقيقة:

(١) دليلٌ بالنظر في آيات الله المنزَّلة ومقارنتها بغيرها من الكلام: كقوله تعالى:

---

(١) جامع البيان ٥٧٨/١٨.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ١٦٣/٢٥، نظم الدرر ٢٠٧/١٥، التحرير والتنوير ١٩٠/٢١، في ظلال القرآن ٢٧٩٧/٥، التفسير القرآني للقرآن ٥٩١/١١، على طريق التفسير البياني ٤٤٠/٢.

(٣) سورة لقمان: آية ٣٢.

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٢].

(٢) **دليلٌ عقليٌّ بدهيٌّ**: كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٣].

(٣) **دليلُ العناية**: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٤].

(٤) **دليلٌ بإثبات صفات الكمال لله** وتنزيهه عن صفات النقص: كقوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٦ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[٥].

(٥) **دليلُ الاعتراف**: في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٦].

لكن لما كانت النفوس الجاحدة لا تنفعها الآيات والنذر، ولا الدلائل السابقة، ذكر الله ﷻ هنا دليلًا قاطعًا يؤكِّد وحدانيَّته سبحانه واستحقاقه للعبادة، **وهو دليل الفطرة**.

---

(١) سورة لقمان: آية ٢-٣.

(٢) سورة لقمان: آية ٢٦.

(٣) سورة لقمان: آية ١٠-١١.

(٤) سورة لقمان: من الآية ٢٠.

(٥) سورة لقمان: آية ٢٦-٢٨.

(٦) سورة لقمان: من الآية ٢٥.

فقد فطر الله الإنسان على الإيمان به وتوحيده، لكنَّ الإنسانَ قد تغطِّي فطرتَه أتربةُ الأهواء والشبهات، فيشرك بالله، أو ينكر وجوده، فإذا وقع في مهلكة، وانقطعت به أسباب النجاة، وأيقن بالهلاك، انزاح عن فطرته ما كان يغطِّيها، وظهرت الفطرة التي فطره الله عليها على حقيقتها مستغيثة بالله الواحد سبحانه(١).

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾. إذا علا المشركين الموجُ، وغطَّاهم وأحاط بهم، وشبَّه الموج لكبره وشدَّة سواده من كثرة الماء: بما يظلُّ الإنسان من جبلٍ، أو سحابٍ، وإنما شبَّه الموج وهو واحدٌ بالظُّلَل وهي جَمْعٌ، لأنَّ الموج يأتي شيئًا بعد شيءٍ، ويركب بعضُه بعضًا.

فلما صار هذا حالهم والهلاك يحيط بهم من كل جانب: ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ دعوا الله وحده لا يعوِّلون على غيره في خلاصهم؛ لأنَّهم يعلمون أنه لا يضرُّ ولا ينفع سواه، ولكن تغلب على طبائعهم العاداتُ، وتقليد الآباء، واتِّباع الأهواء، وإغفال العقل عن التفكر في آيات الله، فإذا وقعوا في مثل هذه الحال اعترفوا بوحدانية الله، وأخلصوا دينهم له طلبًا للخلاص والسلامة ممَّا وقعوا فيه(٢).

◆ يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾. فلما نجَّى الله هؤلاء مما أخافهم في البحر من الغرق والهلاك، ويسَّر وصولهم إلى البر، **صاروا على قسمين:**

← **قسمٌ مُقْتصِدٌ**، كفَّ عن إعراضه وشركه، ووفَّى بما عاهد الله في البحر من إخلاص الدين له(٣).

← **وقسمٌ نكث وغدر وكفر بنعمة الله**، وما يجحد بآيات الله مع عظمها،

---

(١) انظر: على طريق التفسير البياني ٤٤١/٢.

(٢) انظر: جامع البيان ٥٧٩/١٨، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢١٥/٤، فتح القدير ٣٢١/٤.

(٣) وهناك أقوال أخرى في تفسير: (مُقتَصِد)، انظر: جامع البيان ٥٨٠/١٨، الكشَّاف ٢٣/٥، الجامع لأحكام القرآن ٤٩٤/١٦، تفسير القرآن العظيم ٨٠/١١، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٢).

ولاسيَّما بعد الاعتراف بها: ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾. **والختَّار**: الغدَّار، **والخَتْر**: أسوأ الغَدْر وأقبحه(١). جاءت الصفتان بصيغة المبالغة، لشدَّة الغدر الذي وقعوا فيه حين نقضوا العهد، فإنهم بمجرَّد وصولهم إلى البَرِّ، نسوا نعمة الله عليهم إذ أنجاهم، ونسوا دعاء الله وقت اضطرارهم وإخلاصهم له، فإنَّه كان عليهم أن يفوا بعهدهم حين أدركتهم النجاة، لكنَّهم غدروا ونكثوا العهد، وكان عليهم أن يشكروا الله، ويذكروا فضله وإحسانه عليهم بالنجاة، لكنهم كفروا وجحدوا.

وهذا الانقسام إلى فئتين تكرر ذكره في السورة، فإنَّ الله ﷻ بثَّ دلائل قدرته وحكمته في الكون، وأنزل القرآن الكريم هدايةً ورحمةً، بل إنَّه ﷻ أظهر الدليل على وحدانيته بما لا يدع مجالاً للشكِّ في هذا الموقف المخيف الذي لا ينفَكُّ الإنسان فيه عن إظهار فقره وعبوديته لله ﷻ، إلَّا أنَّ فئةً من الناس غلب عليها الشقاء، وعطَّلت عقولها، وبقيت في ضلالها وجهلها(٢).

ومن جميل التناسق: أنْ جاء ختام هذه الآية في صورة مقابلة لختام الآية السابقة، فإنَّ **الصبَّار الشكور** يعترف بآيات الله ويؤمن بها، أمَّا **الختَّار الكفور** فإنَّه يجحدها ويعرض عنها. جاءت في موازنةٍ لها لفظًا ومعنى؛ فـ (**الختَّار**) في مقابلة (**الصبَّار**)؛ لأنَّ **الختَّار** شديدُ الغدر، يكون غَدْره من قلَّة صبره، لا يصبر على العهد بل ينقضه، و(**الكفور**) في مقابلة (**الشكور**) (٣).

هكذا هي آيات القرآن الحكيمة، تسرد الأدلة التي تدلُّ على كمال الله المطلق، وقدرته التي لا تُحَدُّ، وعلمه الذي يحيط بكلِّ شيءٍ، وتلاحِقُ الآلهةَ المكذوبة بالخزي والعجز، والفضيحة والتهكُّم، والتسليم بأنها لا يتمسك بها عاقل، ولا يرتضي بعبادتها إلا جاهل، وتضيِّق الخِنَاق على المشركين بتبيين جَهْلِهم وسَفَه عقولهم حين يشركون مع الله غيره، مع أنَّ فطرتهم تشهد

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠١/٤، جامع البيان ١٥٧/٢٠، القاموس المحيط مادة "ختر".

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٩٤/١٦، أنوار التنزيل ٢١٥/٤، فتح القدير ٣٢٢/٤، على طريق التفسير البياني ٤٤٢/٢.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ١٦٣/٢٥.

بأنَّ الله وحده هو الخالق، وحالَهم حين يحيط بهم الخطر يؤكِّد يقينَهم بوحدانية الله في الألوهية، فلله الحكمة البالغة [١].

وهنا ينتهي تفسير المقطع الخامس من السورة، **والله تعالى أعلم**.

(١) انظر: عقود الجمان في تفسير سورة لقمان ص(٤٥)، جنى القلب الهايم ص(٢٥١).

المبحث السادس	تفسير آيات الموضوع السادس: **الدعوة إلى التقوى، وبيان اختصاص المولى بمفاتح الغيب. خاتمة السورة (وعظ وتذكير). الآيات (٣٣ - ٣٤)**

❖ **قال الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾.

في هذا المقطع الأخير للسورة الكريمة، يختم الله جل وعلا الآيات بدعوة الناس جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، برَّهم وفاجرهم إلى تقواه سبحانه، والاستعداد لليوم الذي لا مفرَّ منه، يوم لا يغني والدٌ عن ولده شيئًا، وحذَّرهم من الاغترار بالدنيا.

ثمَّ عطف ببيان علم الله الشامل، واختصاصه بأمورٍ تُعَدُّ هي جوامع الغيب كلِّه:

فعنده علم الساعة، وإنزال الغيث، وعلم ما في الأرحام، ويعلم ما تكسبه كلُّ نفس في غَدِها، ويعلم بأيِّ أرضٍ تُقْبَض روحها. هو المختصُّ بعلم ذلك أجمع، وهو العليم الخبير سبحانه.

• يقول البقاعي ﷺ: ((ولما ظهرت - بما ذكر في هذه السورة - دقائق الحكمة، وانتشرت في الخافقين ألوية العظمة ونفوذ الكلمة، وأعربت ألسن القدرة عن دلائل الوحدانية، فلم تدع شيئاً من العجمة، فظهر كالشمس أنَّه لا بدَّ من الصيرورة إلى يوم الفصل وختم بالمكذب، أمر سبحانه عباده عامة عاصيهم ومطيعهم بالإقبال عليه، وخوَّفهم ما هم صائرون إليه))[1].

---

(١) نظم الدرر ١٥/٢١٠.

فجاءت هذه الخاتمة على **سبيل الموعظة والتذكير** بعد كلِّ ما تقدَّم من آياتٍ وحِكمٍ، وبراهين وحججٍ.

فموقع هذه الآية: **موقع مقصد الخطبة بعد مقدِّماتها**؛ إذ كانت المقدِّمات الماضيات قد هيَّأت النفوس إلى قبول الهداية، والتأثر بالموعظة الحسنة، وقد ألمحت إلى تقوى الله ﷻ في مضامينها، ثم جاء الختام هنا بالدعوة إلى تقوى الله صراحة والتحذير من الجزاء في اليوم الآخر(١).

تضمَّنت الخاتمة هتافًا قويًّا للناس، داعيًا إلى الله وتقواه، وإلى الإقبال على كلام الله الحكيم، والنَّهَل من علومه، وحكمه النفيسة، والإيمان بما ورد فيه من وعودٍ صادقة، والاتعاظ بمواعظه الجليلة، فكلام الله تعالى صدر عن علمٍ قطعيٍّ، وحقائقَ ثابتةٍ، فهو منزَّلٌ من الله تعالى الذي يعلم كلَّ شيءٍ(٢).

❖ يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾(٣).

في اتصال هذه الآية بما قبلها وجه مناسبةٍ بديع، فهو سبحانه "لما ذكر هول البحر وخطره الذي يعرِّي النفوس من غرور القوة والعلم والقدرة، ويسقط عنها هذه الحواجز الباطلة، ويقفها وجهًا لوجهٍ أمام منطق الفطرة، بمناسبة هذا الهول يذكرهم بالهول الأكبر الذي يبدو هول البحر في ظلِّه صغيرًا هزيلاً، هول اليوم الذي يقطع أواصر الرحم والنسب، ويشغل الوالد عن الولد، ويحول بين المولود والوالد، وتقف كلُّ نفس فيه وحيدةً فريدةً، مجرَّدةً من كلِّ عونٍ ومن كلِّ سندٍ، موحشةً من كلِّ قربى ومن كلِّ وشيجةٍ"(٤).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢١/١٩٢.

(٢) انظر: التفسير الحديث ٤/٢٦٣، جنى القلب الهايم ص(٢٥٢).

(٣) سورة لقمان: آية ٣٣.

(٤) مقتبس من كتاب: في ظلال القرآن ٥/٢٧٩٧.

يدعو الله ﷻ الناس كلهم إلى تقواه، "**والتقوى** تبتدئ من الاعتراف بوجود الخالق ووحدانيته، وتصديق الرسول ﷺ، وتنتهي إلى اجتناب المنهيات وامتثال المأمورات في الظاهر والباطن في سائر الأحوال"(١).

ويخوِّف العباد مِنْ أنْ يحلَّ عليهم سخطه جلَّ وعلا، في يومٍ لا يغني والدٌ عن ولده، ولا مولودٌ هو مُغْنٍ عن والده شيئًا، ولا ينفع أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، لاشتغال كلِّ واحدٍ بنفسه، قد أتمَّ كلُّ عبدٍ عمله، وتحقَّق عليه جزاؤه، فالأمر يصير هنالك بيد من لا يُغالَب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا (٢).

وفي الحديث القدسي عنْ أبي ذَرٍّ، عن النبيِّ ﷺ، فيما رَوَى عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «يا عبادي إنَّما هي أعمالُكم أُحْصِيها لكم، ثمَّ أُوفِّيكم إيَّاها، فمنْ وجد خيرًا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومَنَّ إلَّا نفسه»(٣).

إنَّ علاقة الأبوَّة والبنوَّة هي من أعمق العلاقات البشريَّة كافَّة، فجاء ذكر الوالد والولد هنا؛ لأنَّهما أشدُّ محبَّةً وحميَّةً من غيرهما، فيعلم أن غيرهما أولى بهذا النفي، كما أنَّ هذا الانتقاء بذكر الوالد والولد في وصف هول يوم الحساب جاء متناسقًا مع قصة لقمان عليه السلام وهو يعظ ابنه من ناحية، وتوصية الإنسان بوالديه من ناحيةٍ أخرى(٤).

❖ ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(٥).

أكَّد البعث والحساب والجزاء، وذلك أنَّ الله قد وعد عباده، ولا خلْفَ لوعده، سواءٌ آمن

---

(١) مقتبس من: التحرير والتنوير ١٩٣/٢١.

(٢) انظر: جامع البيان ٥٨٢/١٨، فتح القدير ٣٢٢/٤، تيسير الكريم المنَّان ص(٦٥٢).

(٣) أخرجه مسلم ١٩٩٤/٤، برقم ٢٥٧٧، كتاب البر والصِّلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ١٩٣/٢١، دراسات قرآنية ص(٢١٢).

(٥) سورة لقمان: من الآية ٣٣.

العباد بذلك أو كذَّبوا، ولا مفرَّ من مواجهة هذا الهول العصيب، ولا مفرَّ من الحساب الدقيق والجزاء العادل.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أيْ: فلا تخدعنَّكم زينةُ الحياة الدنيا ولذَّاتها، وما فيها من متاعٍ ولهْوٍ ومشغلةٍ، فتميلوا إليها، وتَدَعُوا الاستعداد لما فيه خَلاصُكم من عقاب الله ذلك اليوم، فالحياة الدنيا ما هي إلَّا مهلةٌ محدودةٌ للابتلاء والاختبار يعقبها الجزاء والخلود الأبدي.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ ولا يخدعنَّكم بالله خادِعٌ، **والغَرور**: هو ما غرَّ الإنسانَ من شيءٍ كائنًا ما كان، شيطانًا كان أو إنسانًا، أو مالاً أو سلطانًا، وهو بهذا نوعٌ من الضلال الذي حذَّرت منه آيات السورة الكريمة، والعاقل الحكيم هو من علم حقيقة الدنيا، وعمل لآخرته. ومن رحمة الله بعباده، وحكمته في آياته، أنْ لَفَت النظر إلى يوم القيامة، وهذا مما يقوِّي العبد، ويسهِّل عليه تقوى الله، ويسلِّي قلبه عمَّا يفوته من متاع الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة[١].

إنَّ جوَّ هذه الآية الكريمة، هو ذاته جوُّ الموعظة التي وَعَظ بها لقمانُ ابنَه، ومضمونها في الأمر بتقوى الله، ولفت النظر إلى ما في اليوم الآخر من جزاءٍ وحسابٍ متَّفِقٍ مع ما جاءت به الحكمة المنزَّلة، والحكمة المأثورة عن لقمان عليه السلام[٢]، فكأنَّ هذه الخاتمة خلاصةٌ تُجْمِل مضمونَ الحكمة التي ذُكرت في السورة، فتقوى الله جلَّ وعلا، وتذكُّر اليوم الآخر، هما العاصمان بإذن الله من كلِّ ضلالٍ وانحرافٍ حذَّرتْ منه الآيات.

وفي ظلِّ المشهد المرهوب الذي صوَّرته الآية، يأتي ختام السورة قويًّا عميقًا يصوِّر علم الله الشامل، وقصورَ الإنسان المحجوب عن الغيوب، ويقرِّر القضية التي عالجتها السورة بكل أجزائها[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان ٥٨٢/١٨، الجامع لأحكام القرآن ٤٩٥/١٦، تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٢)، في ظلال القرآن ٢٧٩٨/٥.

(٢) انظر: دراسات قرآنية ص(٢١٢)، الموسوعة القرآنية، خصائص السور ٣٥/٧.

(٣) انظر: في ظلال القرآن ٢٧٩٨/٥.

❖ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

بعد ذِكْر دلائل التوحيد من أول السورة إلى آخرها، والدعوة إلى تقوى الله ﷻ والحذر مما سيقع في اليوم الآخر، ختم الله ﷻ آيات السورة ببيان ما استأثر سبحانه بعلمه، وهي **مفاتح الغيب الخمسة**؛ لأنَّه بعد هذا الإنذار، كأنَّ قائلًا يقول: **فمتى يكون هذا اليوم؟**

فأجيب: بأنَّ العلم بهذه الأمور لا يحصل لغير الله، ولكن يوم المعاد كائنٌ لا بدَّ منه، وإن لم يعلم الناس وقته، والله قادرٌ عليه.

ففي هذه الآية تقريرٌ لهذه الحقيقة، وتأكيدٌ لوقوعها كما وعد الله؛ وذلك أنَّ أكثر ما أضلَّ الضَّالين، هو إنكارهم ليوم القيامة، أو تشكُّكهم في وقوعه؛ لأنَّه أمرٌ بعيدٌ عن متناول الحسِّ والإدراك، بعيدٌ عن التصور، إذا قيس بمقاييس المادة، فجاءت هذه الآية؛ لتؤكِّد هذه الحقيقة، ولتبيِّن للناس أنَّ هناك أمورًا حاضرةً يعمل فيها الإنسان، ثم هي مع هذا محجوبةٌ عنه، إنْ عرف مبتداها لم يعرف منتهاها، وإنْ أمسك بأولها أفلت منه آخرها.

ومن ذلك اتجاه مسيرة الإنسان في الحياة، وما يُقرَّر له من رزقٍ فيها، إنَّ أحدًا لا يستطيع أن يخطَّ المصير الذي هو صائرٌ إليه، ولا يدرى ماذا ستطلع به الأيام عليه من خيرٍ أو شرٍّ، فإذا كان ذلك كذلك، فلِمَ يُجادلُ الإنسان في أمر الآخرة؟ ولِمَ يشكُّ في وقوعها إذا كان علمه قاصرًا محدودًا، لا يستطيع أن يكشف به ما يلقاه في غده؟[2].

والمراد **بمفاتح الغيب**: الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلَّا الله ﷻ، شُبِّهتْ تلك المغيَّبات بخزائنَ مغلقةٍ، لها مفاتيحُ بيد علَّام الغيوب وحْدَه، لا يطَّلع عليها غيره[3].

فهذه الأمور الخمسة، ممَّا استأثر الله بعلمها، وفي حديث سؤال جبريلَ النبيَّ ﷺ، ما يبيِّن

---

(١) سورة لقمان: آية ٣٤.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ١٦٥/٢٥، التفسير القرآني للقرآن ٥٩٤/١١، التفسير المنير للزحيلي ١٧٧/٢١.

(٣) انظر: قبس من نور القرآن الكريم ص(٨٢).

ذلك: حين قال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأَمَةُ ربَّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البُهْمُ في البنيان، في خمسٍ لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾»[1].

وأول هذه الأمور الخمسة:

(١) **علم الساعة**، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[2] فهو سبحانه يعلم وقتها الذي تقوم فيه، لا يعلم ذلك أحدٌ غيره، كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾[3]. وفي إخفاء وقت الساعة، حكمةٌ إلهيَّةٌ، ورحمةٌ ربانيَّةٌ؛ حتى يبقى الإنسان في حرصٍ دائمٍ على فعل الخير، واجتناب الشر، وحتى لا يقنط ويتوقف عن العمل، ويعطِّل المصالح الدنيوية لو علم بموعدها.

(٢) **إنزال الغيث**، قال سبحانه: ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ هو سبحانه المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله.

(٣) **العلم بما في الأرحام**، قال ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ فهو الذي أنشأ ما فيها، وعَلِم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء.

(٤) **العلم بكسب العبد غدًا**، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ من كَسْبِ دينها ودنياها.

(٥) **العلم بمكان موت النفس**، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه[4].

---

(١) تقدَّم تخريجه ص(١٢٩) .

(٢) سورة لقمان: آية ٣٤.

(٣) سورة الأعراف من الآية: ١٨٧.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(٦٥٣).

وقد يقول قائل: إنَّ كثيرًا من الناس قد يعرف شيئًا من هذه الأمور بالتجربة:

فهنالك من أهل الزراعة، وأهل علم الأرصاد، من يعرفون الأنواء الممطرة ومواعيدها. وهناك من الأطباء من يعرف بالعلم وطول التجربة إنْ كان الحمل ذكرًا أو أنثى. وهناك من الناس من يرتِّب لنفسه جدولًا بما يعمله غدًا؟!.

لكن هذا كلُّه لا ينقض شيئًا من الآية الكريمة؛ لأنَّ جميع ما ذُكر من التجارب ليس علمًا يقينيًّا. فقد تختلف التجربة، وتنكسر العادة، ويبقى العلم اليقيني لله وحده، والتنبؤات الجويَّة إنما هي استنتاجاتٌ مظنونةٌ من بعض المظاهر الكونية، ومعرفة الأطباء لجنس الجنين لا يقدح في مدلول الآية؛ لأنَّ الطبيب حين يعرف جنس الجنين هو لم يعلم ما في الرحم؛ لأنَّه عرف شيئًا واحدًا، وغابتْ عنه أشياءُ أخرى: ما طبيعة هذا الجنين، وما استعداداته الفطرية، وما شكله، وما لونه، وما مزاجه، وما عقليته، وإلى أيِّ شيءٍ هو ميسَّرٌ، وهل هو شقيٌّ أم سعيدٌ؟ وهذا يعني أنَّ مجرَّد معرفة جنس الجنين ولو معرفة يقينية هو شيءٌ غير الإحاطة التامَّة بمعرفة ما تحمل كلُّ أنثى من البشر والدواب والطيور على امتداد الزمان والمكان والتي يختصُّ الله وحده بالعلم بها[1].

ولَمَّا خصَّص هذه الأشياء، عمَّم عِلمَه بجميع الأشياء، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ محيطٌ بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا. ومن حكمته التامَّة أنْ أخفى علم هذه الخمسة عن العباد؛ لأنَّ في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك.

- إنَّ السورة **افتتحت** بالحديث عن آيات الكتاب الحكيم: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[2].
- وفي **ثناياها** جاء تأكيدٌ على أنَّ كلمات الله لا تنفد: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٩٧/١٦، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ص(٣١٦)، من لطائف التفسير ١١٤/٣.

(٢) سورة لقمان: آية ١-٢.

أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[1].

◆ وكانت **خاتمتها** دليلٌ وبرهانٌ على علم الله المطلق، وحكمته وقدرته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

فالقرآن حكيمٌ، لأنَّه من عند الحكيم سبحانه، الذي أحاط بكلِّ شيءٍ حكمةً وعلمًا.

وبهذا تمَّ بيان **التناسق الموضوعي في سورة لقمان**. **والحمد لله أولًا وآخرًا. والله تعالى أعلم وأحكم**.

(١) سورة لقمان: من الآية ٢٧.

(٢) سورة لقمان: آية ٣٤.

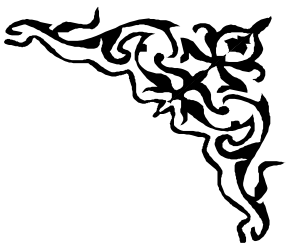

الخاتمة

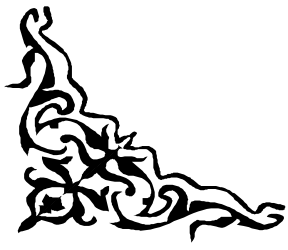

نتائج وتوصيات

الحمد لله أولًا وآخرًا، الحمد لله على ما وفَّق ويسَّر، الحمد لله على ما أعانَ وتمَّم. والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد الأكرم، وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد:**

ففي ختام هذه الرسالة أسطِّر ما وصلتُ إليه **إجْمالًا** من **نتائج**، وما أَقْتَرِحُه من **توصيات**.

النتائج:

(١) أنَّ الكلام في التناسق الموضوعي ليس بِدْعًا من القول، فمصطلح التناسق الموضوعي وإنْ عُدَّ جديدًا في بابه من جهة الإطلاق والتعريف، إلا أنَّه معروفٌ من جهة المضمون والتطبيق، فقد كان للعلماء السابقين اهتمامٌ مبكِّرٌ بالنَّسَق القرآني، ودراسة أسرار النظم القرآني تحت مسمَّى إعجاز النَّظم، أو مناسبات الآيات.

(٢) هناك نوعٌ من الالتقاء والترابط بين: الوحدة الموضوعية للسورة، والتناسق الموضوعي فيها، والمناسبات بين آياتها.

(٣) ليس لسورة لقمان اسم غير هذا الاسم، وقد ثبت وروده في بعض الآثار.

(٤) تشترك سورة لقمان مع السور المثاني في المزية والفضل، ولم يثبت حديثٌ صحيحٌ في فضلها على وجه الخصوص، سوى ما ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ قرأها في صلاة الظهر.

(٥) وقع اختلافٌ في عدد آياتها ما بين: ثلاثٍ وثلاثين آيةً، وأربعٍ وثلاثين آيةً.

(٦) لم أتمكَّن من الجزم يقينيًا بزمن نزول سورة لقمان على وجه التحديد، غاية ما يمكن قوله إنها نزلت في العهد المكي، بعد نزول عدد كبير من السور القرآنية.

(٧) الراجح أنَّ سورة لقمان مكيَّةٌ بأكملها.

(٨) أنَّ علم المناسبات قائمٌ على أساس أنَّ ترتيب سور القرآن وآياته توقيفيٌّ، وهذا الرأي هو الراجح، وعليه أكثر أهل العلم في ترتيب سور القرآن. أمَّا ترتيب الآيات فإنَّهم متَّفقون على توقيف ترتيبها.

(٩) ظهر طَرَفٌ من الإعجاز القرآني في ترتيب سوره، من خلال بيان الترابط الوثيق بين سورة **لقمان** مع السورة التي قبلها (**الروم**)، والسورة التي بعدها (**السجدة**).

(١٠) اختصَّت السورة بذكر **لقمان الحكيم** عليه السلام، وببعض التعبيرات والألفاظ القرآنية التي لم ترد في غيرها، وببيان مفاتيح الغيب.

(١١) أنَّ ما ورد في أسباب نزول سورة لقمان لا يخرج عن حالين: إمَّا أن يكون ضعيفًا، وإمَّا أن يكون صحيحًا، لكنْ جعله سببًا لنزول الآية يعتريه بعض إشكالٍ.

(١٢) تدور سورة لقمان حول مقصدين رئيسين، هما: **الحكمة والشكر**.

(١٣) اتَّضح التناسب بين اسم السورة وموضوعاتها من خلال بيان الترابط بين شخصية لقمان ووصاياه عليه السلام مع موضوعات السورة.

(١٤) ظهرتْ مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها، ومناسبتها لخاتمتها من خلال أوجهٍ معيَّنة جاء ذكرها في البحث بالتفصيل.

(١٥) بعد التأمُّل في السورة وتفسيراتها، لاحتْ القِسْمة اللائقة لموضوعاتها أنْ تكون في **ستة مقاطع**، كلُّ مقطعٍ يحمل عنوانَ موضوعٍ تحدَّثتْ عنه الآيات. وجاءت هذه الموضوعات متناسقةً فيما بينها، ومتناسقةً مع مقاصد السورة، ليس بينها أيُّ تنافرٍ البتَّة.

(١٦) الوقوف على جملة من الفوائد العلمية والبلاغية والتربوية والدعوية التي تخدم التناسق الموضوعي للسورة.

(١٧) أنَّ تفسير السورة في ضوء تناسقها الموضوعي يفتح للقارئ آفاقًا للتدبُّر في الآيات، ويعينه على استخراج الهدايات القرآنية.

مثال: **آيات وصايا لقمان**، الناظر لكلِّ آيةٍ منها يجدها تحمل أدبًا جليلاً، وتوجيهًا ربانيًا رفيعًا، وتعطي معنًى معيَّنًا حين تُفسَّر تحليليًا. ثمَّ لو توسَّع النظر إلى آيات الوصية بأكملها وتسلسلها يظهر له أنَّها تبدأ بالأهمِّ فالمهمِّ. ثمَّ لو عمَّق النظر في تناسق الآيات مع ما قبلها وما بعدها، وتناسقها مع اسم السورة ومقاصدها فستظهر له معانٍ جديدة، وهكذا. وكلُّ هذه المعاني مُرادةٌ، فإنَّ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى معانيه، تعالى قائله وتقدَّس.

مثال آخر: قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، النظر إلى الآية بمفردها يعطي معنىً. ثم لو اتَّسعت النظرة إلى السياق سيظهر أنَّها جاءت في سياق تسلية النبيِّ ﷺ والمؤمنين بعد إعراض الكافرين، ولو كانت النظرة أشملَ للسورة بأكملها، فإنَّها ستبدو متناسقةً مع جوِّ السورة الذي يدعو إلى الحكمة وإعمال العقل، وإلى شكر الخالق والامتنان له سبحانه وتعالى.

التوصيات:

أولاً: آمل العناية والاهتمام بهذا المشروع المبارك (**مشروع التناسق الموضوعي**) في قسم الكتاب والسنة، ومحاولة جمعه في عملٍ موسوعيٍّ، وإخراجه للناس حتى يتم الانتفاع به.

ثانيًا: أوصي بأنَّ يتوسَّع هذا المشروع بحيث يكون عملًا موسوعيًّا ضخمًا، ليشمل على جَمْع كلِّ ألوان وأطياف التفسير المختلفة لكلِّ سورةٍ على حِدَةٍ (التفسير بالمأثور، وبالرأي المحمود، والأدبي، والتربوي، والموضوعي، والتناسقي، وغير ذلك).

ثالثا: باعتبار أنَّ الكتابة في أصل فكرة "**التناسق الموضوعي**" ما زالت حديثةً وقليلةً، فإنِّي أوصي بالاستفادة من الدراسات السابقة التي تختصُّ بالمناسبات القرآنية والوحدة الموضوعية، وإلى زيادة المؤلفات فيه من الناحية النظرية على وجه الخصوص[2].

رابعًا: دراسة السورة بهذه الطريقة تفتح للقارئ والمتدبِّر آفاقًا من التأملات القرآنية، لذلك فإني أوصي قارئ القرآن أنْ ينظر إلى جانب الإعجاز في تناسق موضوعاته.

وأوصي الجامعات متمثلةً في الأقسام القرآنية، والمؤتمرات القرآنية، ومعلِّمي القرآن بلَفْتِ النظر إلى هذا النوع من الدراسات.

خامسًا: أوصي جميع المربين والدعاة والمسلمين عمومًا بأن يجعلوا سورة لقمان نبراسًا ومرجعًا لهم في الدعوة إلى الله، وفي تربية النفس والآخرين على مستوى الفرد والجماعة.

---

(١) سورة لقمان، الآية:٢٥.

(٢) يمكن الاسترشاد بدراسة الأستاذ الدكتور محمد بازمول: ''التناسق الموضوعي في السورة القرآنية''.

وأخيرًا : أسأل الله أن يبارك فيما كتبت، وأن يجعله حجةً لي لا عليَّ، وأن يعفو عمَّا جانبت الصواب فيه، وأنْ يبصِّرني بإصلاحه.

اللهم اجعلني أُعظِّم شُكرك، وأُكثِر ذِكْرك، وأتَّبع كتابَك، وأَحفَظ وصيَّتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهـــارس

وتشتمل على :

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس الألفاظ المشروحة.

٦- قائمة المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة (١) : الفاتحة		
	١	١٧٦
سورة (٢) : البقرة		
﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	١، ٢	٤، ٢٠، ١٧٧
﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾	٩٧	٢١
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾	١٠٣	٢١
﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾	١٨٥	٨٩
سورة (٣) : آل عمران		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	١٠٢	٤
سورة (٤) : النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾	١	٤
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾	٣٦	٢٣٢
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	٨٢	٢٣، ٩٦، ٩٩
سورة (٦) : الأنعام		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾	١	١٧٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾	٨٢	١٤١
﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾	١٣٣	٢١
سورة (٧) : الأعراف		
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾	١٨٧	٢٧٨

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة (١١) : هود		
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	٩٩
سورة (١٤) : إبراهيم		
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	١	٤
سورة (١٥) : الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٨٩
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾	٨٧	٤٢
سورة (١٦) : النحل		
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ ﴾	٩	١٥٢
﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾	٧٧	٢٦١
سورة (١٧) : الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾	٩	٤٧، ١٥٤
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	٨٥	٨٢، ١٤٧
﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾	١٠٧	٨٩
سورة (١٨) : الكهف		
﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾	١٠٩	١٤٧
سورة (٢٠) : طه		
﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾	١٠	٣٢
سورة (٢١) : الأنبياء		
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	٤٧	٢٥
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٢١٥
سورة (٢٧) : النمل		
﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	٣٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾	٧	٣٢
﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٨	٣٣
سورة (٢٨) : القصص		
﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾	٢٩	٣٢
سورة (٢٩) : العنكبوت		
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾	٨	١٤٤
سورة (٣٠) : الروم		
﴿الٓمٓ﴾	١	٩٩
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾	٢	٩٩
﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾	٣	٩٩
﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	٤	٩٩
﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٥	٩٩
﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾	٧	١٠٢
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٩	١١٣
﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾	١٠	١١٣
﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	١١	١٠٩، ١١٤
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾	١٥	١٠٨
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾	١٩	١١٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾	٢٠	١١٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١	١١٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ	٢٢	١١٤

الآيـــة	رقمها	الصفحة
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾		
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٢٣	١١٤
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٤	١١٤
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٢٧	١٠٩، ١١٠
﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	٣٢	١١٣
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾	٣٣	١١١، ١١٢
﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾	٤٤	١١٣
﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٤٥	١١٣
﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾	٥٢	١١٢
﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾	٥٣	١١٢
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾	٥٤	١١٤
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾	٥٥	١٠٣، ١٠٤
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٥٦	١٠٣، ١٠٤
﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾	٥٧	١٠٣، ١٠٤
﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾	٥٨	١٠٣، ١٠٥، ١٠٦
﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٥٩	١٠٣، ١٠٥
﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾	٦٠	١٠٣، ١٠٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة (٣١) : لقمان		
﴿ الٓمٓ ﴾(١) ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٦،١١٧، ١١٨، ١٥٤، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٩، ٢١٠، ٢٧٩.		
﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٢) ٦٦،٨٠، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٥٤، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ٢١٠، ٢٣٣، ٢٦٩، ٢٧٩.		
﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٣) ٦٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١٦، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٦٩.		
﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾(٤) ٦٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١٦، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٤٧.		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٥) ٦٦، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١١٦، ١٧٧، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٥.		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾(٦) ٦٦، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٥، ١٧٠، ١٧٨، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٥٤.		
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٧) ٦٦، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٥٥، ١٧٨، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٨، ٢٣٩.		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾(٨) ١١٦، ١٥٥، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٩، ٢٦٠.		
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(٩) ١١٦، ١٥٩، ١٧٢، ١٨٣، ١٨٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٦٠.		
﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾(١٠) ٦٧، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٥٥، ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٩.		
﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(١١) ٦٧، ١١٦، ١٢٠، ١٥٥، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٦٠، ٢٦٩.		

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾	(١٢)	٤٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٩، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٥٧.
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	(١٣)	٤٠، ٤٥، ١٤١، ١٤٣، ١٥٦، ١٦٩، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠.
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾	(١٤)	١٤٣، ١٥٨، ١٧١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣١.
﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	(١٥)	١٢٨، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٨، ١٧٣، ١٩٥، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٥٧.
﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾	(١٦)	١٥٨، ١٧٠، ١٨١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٥٧.
﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	(١٧) ١٢٣، ١٥٨، ١٧١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٤١.	
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾	(١٨) ١٢٨، ١٥٨، ١٧١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤١.	
﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾	(١٩) ١٢٨، ١٥٨، ١٧١، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦.	
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾	(٢٠) ٦٦، ١١٤، ١٢٨، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٩، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٦٩.	
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	(٢١) ٦٦، ١١٤، ١٥٦، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٨، ٢١٥، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٤.	
﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾	(٢٢) ٦٦، ١١٣، ١٢١، ١٥٥، ١٧٩، ١٩٨، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٠.	
﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	(٢٣) ٦٦، ١١٣، ١٢١،	

الآيـــة	رقمها	الصفحة
١٥٥، ١٧٩، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧.		
﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾	(٢٤)	١١٣، ١٥٥، ١٩٨، ٢١٢، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥١.
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	(٢٥)	١٢٠، ١٥٦، ١٧٢، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٦٩.
﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾	(٢٦)	١٢٠، ٢٠٢، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٩.
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	(٢٧)	٨١، ٨٢، ١١٥، ١٢٠، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٢، ١٨١، ١٨٤، ٢٠٢، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٨٠.
﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	(٢٨)	٦٧، ٨١، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١٢٨، ١٤٨، ١٨١، ٢٠٢، ٢٥١، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٩.
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	(٢٩)	٦٧، ٨١، ١١٥، ١٢٠، ١٥٩، ١٧٩، ٢٠٢، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧.
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾	(٣٠)	٦٧، ١٢١، ٢٠٢، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٦.
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	(٣١)	٦٧، ١١١، ١٢١، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٩، ٢٠٢، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٦.
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾	(٣٢)	٥٦، ٦٧، ١١١، ١١٢، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٨.
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾	(٣٣)	١٢١، ١٧١، ١٨٢، ١٨٤، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥.
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ		

الآيـــة	رقمها	الصفحة
بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾	١١٩، ١٢١، ١٢٩، ١٤٩، ١٥٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٠.	
سورة (٣٢) : السجدة		
﴿الٓمٓ﴾	١	١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢١
﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢	١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢١
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾	٣	١١٦، ١٢١
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾	٤	١١٦، ١٢٢
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾	٥	١٢١، ١٢٢
﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾	٧	١٢٢
﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾	٨	١٢٢
﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	٩	١٢٢
﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾	١٠	١٢٢
﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	١١	١٢٢
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾	١٢	١٢٢
﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	١٥	١٢٤
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٦	١٢٤

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	١٢٤
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾	٢٤	١٢٣، ١٢٥
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾	٢٧	١٢٢
سورة (٣٣) : الأحزاب		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٠-٧١	٤
سورة (٣٥) : فاطر		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٢٩-٣٠	٤٧
﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾	٣٢	١٥٢، ٢٣٩
سورة (٣٧) : الصافات		
﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴾	١	٩٥
﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾	١٦٥	٩٥
سورة (٣٩) : الزمر		
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾	٢٣	٤٢
سورة (٤٠) : غافر		
	٦٨	١١٠، ٢٦١
سورة (٤١) : فصلت		
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾	٤٢	٥
﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾	٤٤	٣٤
سورة (٤٦) : الأحقاف		
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾	١٥	١٤٤
سورة (٥٢) : الطور		
﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾	٣٤	٣٣

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة (٥٣) : النجم		
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾	٤٢	٢٥٩
سورة (٨٤) : الانشقاق		
﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾	١٨	١٩
سورة (٩٧) : القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾	١	٨٩

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث **الصفحة**

اتَّقِ اللَّه حيْثُما كنت ١٧٣
أُعْطِيتُ مكانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ، وأُعْطِيتُ مكانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ ٤١
أمَا والله إنَّكم لَتَعْرِفُونَ أنَّه مِنْ عندِ الله ٣١
خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ٤٧
لا تبيعوا القَيْنات ولا تشتروهنَّ..... ١٣٩
لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مِثقالُ ذرَّةٍ من كِبْر ٢٣٧
ليس ذلك إنما هو الشرك ١٤١
ما المسئول عنها بأعلم من السائل..... ١٢٩
مفاتِح الغيب خمسٌ..... ١٢٩
مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي ؟ قال: «أمُّك» ٢٣٢
مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ٤٧
مَن قَرأَ سُورةَ لُقمَانَ كانَ لقمانُ ٥٠
مَنْ قَرَأَ سورةَ لُقمانَ وتَبَارَكَ ٥١
يا عبادي إنَّما هي أعمالُكم أُحْصِيها لكم..... ٢٧٥
يا عليُّ! مَن قرأ لُقمَانَ كان آمِنًا مِن شِدَّةِ يومِ القِيَامة ٥١
يا محمد، أرأيت قوله: ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْم إلا قَلِيلا﴾..... ١٤٦

فهرس الآثار

الأثر **الصفحة**

أكثروا قراءةَ سورة لقمان؛ فإنَّ فيها أعاجيب [الزهري رحمه الله] ٥١
أنَّ النبيَّ ﷺ كان يصلِّي عند البيتِ [ابن مسعود رضي الله عنه]..... ٨٠
إنَّ امرأتي حُبْلَى، فأخبرني ماذا تلد؟ [مجاهد رحمه الله] ١٤٩
أنزل الله من القرآن بمكة: اقرأ باسم ربك الذي خلق [عكرمة والحسن البصري رحمهما الله] ٦١
أنزل على النبي ﷺ من القرآن أول ما أنزل بمكة: اقرأ [جابر بن زيد رضي الله عنه]..... ٦٢
أُنزِلتْ سُورة لقمانَ بمكَّة [ابن عباس رضي الله عنه]..... ٣٩
أنزلت في النَّضْر بن الحارث، اشترى قَيْنةً [ابن عباس رضي الله عنه] ١٤٠
إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه [عمر رضي الله عنه] ٧٣
أولُ ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل منه بالمدينة [ابن عباس رضي الله عنه] ٦٠
أيُّ الناس شرٌّ؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئًا [لقمان عليه السلام]..... ٤٥
بحسب المرء من الضلالة أنْ يختار [قتادة رحمه الله]..... ٢١٨
بينا أنا مع النبي ﷺ في حَرْث وهو متكئٌ على عَسِيْبٍ [ابن مسعود رضي الله عنه] ١٤٧
حلفتْ أمُّ سعد ألَّا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه [سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه] ١٤٣
سورة لقمان نزلت بمكة فهي مكية سوى ثلاث آياتٍ منها [ابن عباس رضي الله عنه] ٨٢
قال المشركون إنَّما هذا كلام يوشك أن ينفد [قتادة رحمه الله]..... ٨٢
قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل [ابن عباس رضي الله عنه] ١٤٧
قالت قريش: ما أكثر كلام محمد، فنزلت [السُّدي رحمه الله]..... ٨٣
كان المسلمون يحبُّون أن تَغلِب الرومُ أهلُ الكتاب [ابن عباس رضي الله عنه](هامش)..... ١٠١
كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي بنا الظُّهرَ، فنسمَعُ منه الآيةَ [البراء بن عازب رضي الله عنه] ٣٩
لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [ابن مسعود رضي الله عنه]..... ١٤١
نزل في المدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران... [قتادة رحمه الله]..... ٧٨

الأثر **الصفحة**

نزلتْ في رجلٍ من قريشٍ اشترى جاريةً مُغَنِّيةً [ابن عباس رضي الله عنه] ١٤٠
هذا كتاب تنزيل القرآن، وما شاء الله أن يعلم الناسُ ما أُنزل بمكة [الزهري رحمه الله] ٦٤
يا بني أكثر من قول رب اغفر لي [لقمان عليه السلام] ٤٥
يقال يوم القيامة: أين الذين كانوا يُنَزِّهُونَ أنفسَهم وأسماءَهم عن اللهو [بن الْمُنْكَدِر رحمه الله] ١٠٩

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم **الصفحة**

إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط البقاعي ٣٥
إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي المالكي ٢٩
أُبَيُّ بن كَعْب بن قيس الأنصاري ﷺ ٥٠
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي المالكي ٣٥
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرَّانيُّ الدمشقيُّ ١٣٦
أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعي (ابن حجر) ١٤٢
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدِّي الكبير ٨٣
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٤٤
البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ﷺ ٣٩
جابر بن زيد الأزدي ٦٢
الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ٦١
الحسن بن محمد بن الحسين القُمِّيُّ النيسابوري ١٠٦
الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب النيسابوري ٧٢
الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي ٨٨
سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ﷺ ١٤٣
سيِّد قُطْب بن إبراهيم ٢٣
صُديُّ بن عجلان بن وهب أبو أمامة الباهلي ﷺ ١٣٩
عبد الحقِّ بن غالب بن عبد الملك ابن عطيَّة الغرناطي الأندلسي ٢١
عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخُضيري السيوطي ٣٥
عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ٣٣
عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ﷺ ٤٧
عطاء بن يسار الهلالي المدني ٨١

الاسم **الصفحة**

عكرمة القرشي الهاشمي..... ٦١
عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي ﷺ ١٤٩
علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي..... ١٣٤
قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري ٧٨
مجاهد بن جبر المكي..... ٢٣٨
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور..... ٤١
محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرْعي الدِّمشقي (ابن قيم الجوزية) ١٦٦
محمد بن أحمد بن إبراهيم المنفلوطي الملوي الشافعي..... ٩٣
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي الأنصاري المالكي..... ١٤٤
محمد بن الطيِّب بن محمد الباقلاني ٣٢
محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشى التيمي المدني ١٠٩
محمد بن بَهَادر بن عبد الله الزَّرْكَشي..... ٤٠
محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافِري الأندلسي المالكي..... ٢٩
محمد بن عبد الله دراز..... ٢٢
محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي (فخر الدين) ٣٤
محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرِيُّ..... ٥١
محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي..... ١٦٠
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجَيَّاني..... ٢١
محمد عبد العظيم الزُّرْقاني..... ٢٢
محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي..... ٨٩
محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزَّمَخْشَري..... ٢٠
النَّضْر بن الحارث بن كلدة..... ١٤٠
واثلة بن الأَسْقَع بن عبد العُزَّى الليثي ﷺ ٤١

فهرس الألفاظ المشروحة

◄يُنْتبه إلى أنَّ الترتيب الألفبائي لهذه الألفاظ رُوعِي في صفوف الجدول دون الأعمدة►

اللفـــظ	الصفحة	اللفـــظ	الصفحة	اللفـــظ	الصفحة
الآية	٥٣	الاشتراء	٢١٧	أناب	٢٣٥
براعة الاستهلال	١٧٧	التفسير الموضوعي	٣٠	التناسق	١٩
التناسق الموضوعي	٢٧	الحديث المرفوع حكمًا	١٣٤	حسن الابتداء	١٧٦
حسن المطلع	١٧٦	الحِكْمة	٢٢٨	الختَّار	٢٧١
الزهراوان	٣٩	سبب النزول	١٣٣	السَّبْع الطِّوال	٤٢
السبع المثاني	٤٢	السورة	٢٦	الصَّعَر	٢٣٨
الطِّبَاق	١٠٧	العَسِيْب	١٤٧	الفَخُور	٢٣٨
الفواصل	٥٣	القَيْنَة	١٣٩	لهو الحديث	٢١٧
المثاني	٤١	الْمُختال	٢٣٨	المدني	٧٢
المطابقة	١٠٧	المعوذتان	٣٩	مفاتح الغيب	٢٧٧
الْمُفَصَّل	٤٢	المقاصد (المقصد)	١٥٢	المكي	٧٢
المناسبات	٢٨	المناسبة – المناسبات	٢٨، ٩٠	الموضوعي	٢٥
الْمِئُون	٤٢	الوحدة الموضوعية	٢٨		

فائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**.
- **إتقان البرهان في علوم القرآن**، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط ١، ١٩٩٧م.
- **الإتقان في علوم القرآن**، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، ١٤٢٦هـ.
- **أحسن ما سمعت**، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية،لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.
- **أساس البلاغة**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- **الأساس في التفسير**، سعيد حوَّى، دار السلام ، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- **أسباب النزول**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تخريج وتدقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ.
- **الاستيعاب في بيان الأسباب**، أول موسوعة علمية حديثية في محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم، تأليف: سليم الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لأبي الحسن علي بن أبي الأكرم، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ.
- **أسماء سور القرآن الكريم وفضائلها**، د. منيرة الدوسري، تقديم: د. فهد الرومي، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٦هـ.

- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، ١٤١٥هـ
- **أضواء من سورة لقمان**، حنان لحام، دار الثقافة للجميع سوريا، ط١، ١٤٠٣هـ.
- **الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان وما ينطوي عليه من قيم**، د. مصطفى المشني، بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية المجلد ٧ العدد ٢ بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ، وهو منشور استقلالاً في الانترنت.
- **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، ط٣.
- **إعجاز القرآن**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، مطابع دار المعارف بمصر.
- **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ " تفسير البيضاوي"** لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي، إعداد وتقديم: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- **أهداف كل سورة مقاصدها في القرآن** ، د. عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر ، ٢٠٠٢م.
- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، لجابر بن موسى بن عبد القادر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ.
- **بحر العلوم**، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي — القاهرة، ١٤١٩.

- **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، د. فهد الرومي، مكتبة التوبة.
- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- **بديع القرآن**، لابن أبي الاصبع المصري، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر.
- **براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور**، د.محمد بدري عبد الجليل، المكتب الإسلامي.
- **البرهان في تناسب سور القرآن**، للإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق د. سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام ، ط١ ، ١٤٢٨هـ
- **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- **البرهان في نظام القرآن**، لمحمد سبحاني، دار الكتب، ط١.
- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، لبنان.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة**، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.
- **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو الداني تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط١، ١٤١٤هـ.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، دار الهداية.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م.

- **تاريخ الطبري"تاريخ الرسل والملوك**، وصلة تاريخ الطبري"، لمحمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، "صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي" دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
- **تاريخ بغداد**، لأبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- **تاريخ قضاة الأندلس** (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، لأبي الحسن بن عبد الله المالقي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٥، ١٤٠٣هـ.
- **تاريخ نزول القرآن**، د.محمد رأفت سعيد، دار الوفاء – المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ.
- تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، د.محمد بازمول، بحث منشور في صفحة الدكتور في موقع جامعة أم القرى https://uqu.edu.sa/page/ar/93190570
- **ترجمة للشيخ محمد عبد الله دراز** في موقع المكتبة الشاملة على الانترنت .http://shamela.ws/index.php/author/1119
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبي القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- **التصوير الفني في القرآن**، لسيد قطب، دار الشروق، ط ١٧، ١٤٢٥هـ.
- **تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، المحقق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ.
- **تفسير ابن عطية "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"**، لأبي محمد عبد الحق بن عطيّة الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن ʿبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ.
- **تفسير أبي السعود أو "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"**، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- **التفسير الأدبي لسورة لقمان**، د. كامل سلامة الدقس، دار الشروق جدة، ط ٢.
- **تفسير البحر المحيط**، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، بمشاركة آخرين، قرّظه: د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- **تفسير البغوي "معالم التنزيل"**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرّج أحاديثه: محمد النمر، عثمان جمعة، سليمان الحرش، دار طيبة – الرياض، ١٤٠٩هـ.
- **تفسير التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر.
- **التفسير التربوي للقرآن الكريم**، أنور باز، دار النشر للجامعات ، مصر ، ط١، ٢٠٠٧.
- **التفسير الحديث** (ترتيب السور حسب النزول)، محمد عزة دوْزة دار الغرب الإسلامي، ط٢.
- **تفسير الخازن "لباب التأويل في معاني التنزيل"** لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، ضبطه وصححه: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- **التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- **تفسير الفاتحة والبقرة**، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.
- **تفسير الفخر الرازي، الشهير بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب**، لفخر الدين محمد الرازي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١هـ.
- **تفسير القاسمي المسمى "محاسن التأويل"**، لمحمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيح وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٣٧٦هـ.
- **تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"**، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- **تفسير القرآن العزيز**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة ، مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد، محمد السيد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
- **تفسير القرآن الكريم**، لمحمد المنتصر بالله بن محمد لكتاني الإدريسي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، (ضمن المكتبة الشاملة)
- **تفسير القرآن**، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- **التفسير القرآني للقرآن**، د.عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- **تفسير الماتريدي "تأويلات أهل السنة"**، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.
- **تفسير الماوردي "النكت والعيون"**، لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **تفسير المراغي**، لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ.
- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
- **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: أ.د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ.
- **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، د. زياد الدغامين، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ.
- **تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"**، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: سيّد زكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز.
- **التفسير الواضح**، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.

- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١
- **تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها**، د. عبد الله سلقيني، دار المكتبي، سوريا، ط١، ١٤٢٣هـ
- **تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان**، للإمام عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، ط١، ٢٠٠٨م.
- **التفسير والمفسرون**، د. محمد الذهبي، مكتبة وهبة ، القاهرة.
- **تقريب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم** ، د. فاضل السامرائي، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.
- **تناسق الدرر في تناسب السور**، لجلال الدين السيوطي، المحقق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان.
- **التناسق الموضوعي في السورة القرآنية**، د.محمد بازمول، بحث منشور في صفحة الدكتور في موقع جامعة أم القرى: https://uqu.edu.sa/page/ar/93190571
- **التناسق الموضوعي في سورة الأحزاب**، لمحمد القرشي، رسالة ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.
- **التناسق الموضوعي في سورة الأنفال**، لبدر الذيابي، رسالة ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.
- **التناسق الموضوعي في سورة الجمعة والمنافقون والتغابن**، أحمد محمد رشاد، رسالة ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.
- **التناسق الموضوعي في سورة المجادلة**، لناهد سريجي، رسالة ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.

- **التناسق الموضوعي في سورتي التحريم والمعارج**، لعمر السلمي، رسالة ماجستير ضمن مشروع التناسق الموضوعي في جامعة أم القرى.
- **تنزيل القرآن للزهري**، (مطبوع ضمن كتاب نصوص محققة في علوم القرآن، د. حاتم الضامن).
- **تنزيل القرآن وعدد آياته**، لابن زنجلة (مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد الثاني) ص٢٩٠.
- **التنزيل وترتيبه**، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (نسخة مخطوطة بالجامعة الإسلامية برقم ٩٦٥.
- **تهذيب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
- **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقًا ومقابلة: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر** من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن** والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد لقرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- **جمال القراء وكمال الإقراء**، لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بعلم الدين السخاوي، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١.
- **جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث**، لمحمد شرعي أبو زيد، بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامع الكويت، ١٤١٩ هـ.

- **جمهرة اللغة**، لأبي بكر محمد بن الحسن بم دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- **جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها**، عدنان عبد القادر، دار كنوز أشبيليا، السعودية، دار حامل المسك، الكويت ، ط١، ١٤٣٥هـ.
- **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- **حديث أبيّ بن كعب في فضائل السور وموقف المفسرين منه**، د.ناصر المنيع، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد السادس.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأيو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.
- **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- **دراسات في علوم القرآن**، لمحمد بكر إسماعيل ، دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ.
- **دراسات في علوم القرآن الكريم**، د. فهد الرومي، ط١٤، ١٤٢٦هـ.
- **دراسات قرآنية**، محمد قطب، دار الشروق ، القاهرة.
- **درة الغواص في أوهام الخواص**، للقاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: مراقبة/محمد عبد المعيد ضان، مجلس دار المعارف العثمانية، الهند، ط ٨، ١٣٩٢هـ.
- **دلائل الإعجاز**، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر،

مطبعة المدني، ط ٣، ١٤١٣هـ.

- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، لأحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- **ديوان الإسلام**، لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ.
- **ديوان الضعفاء والمتروكين** وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، لشمس الدين بن عثمان الذهبي، حققه وعلق عليه: حماد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة.
- **ذيل طبقات الحنابلة**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المعروف بابن رجب، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.
- **الزهد والرقائق** لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المرْوزي، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **زهر الآداب وثمر الألباب**، لإبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق القيرواني،تحقيق: أ.د. يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.
- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، لابن عقيلة المكي، مركز البحوث والدراسات، ٢٠٠٦م.
- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ.

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، دار المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.
- **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- **السنن الكبرى**، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- **سورة لقمان بين حكمة التنزيل وتناسب الترتيب**، د.محمد رأفت سعيد، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ.
- **سيرة ابن إسحاق** (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر ، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد محمد مخلوف، دار الكتاب العربي
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لعبد الحي بن أحمد العكري، دار الكتب العلمية.
- **شرح التبصرة والتذكرة**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المحقق: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.
- **شرح السنة**، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- **شرح المخللاتي** المسمَّى بالقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزر للإمام

الشاطبي، حققه وعلَّق عليه: عبد الزراق بن علي، طبع بإذن من وزارة الإعلام فرع المدينة، ط١، ١٤١٢هـ.

- **شعب الإيمان**، لأحمد بن الحسين الخراساني أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور**، لبلقاسم الغالي، دار ابن حزم.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧.
- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- **الصحيح المسند من أسباب النزول**، للشيخ أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، ط٢، ١٤٢٥هـ.
- **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية
- **صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم**، لابن أبي الدنيا، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، مكتبة العلم، جدة.
- **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧.
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- **طبقات الشافعية**، لأبي بكر بن أحمد ابن قاضى شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- **طبقات الشافعية ال**كبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق:محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- **الطبقات الكبرى،** لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد، المحقق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- **طبقات المفسرين،** لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ.
- **طبقات المفسرين،** لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، راجع النسخة وضبط اعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
- **طبقات المفسرين،** لمحمد بن علي، شمس الدين الداوودي، راجَع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **عقود الجمان في تفسير سورة لقمان،** إبراهيم أبو خشب، مكتبة الجندي، ط ١، ١٣٧٣م.
- **علم المناسبات في السور والآيات،** للدكتور محمد بازمول، ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للحافظ السيوطي، المكتبة المكيَّة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- **علم المناسبات في القرآن،** لمحمد الخضيري، مجلة البيان العدد(١٤٦).
- **علم مقاصد السور،** د. محمد الربيعة، ط١، ١٤٢٣هـ، البحث موجود في الانترنت.
- **علوم القرآن الكريم،** لنور الدين محمد عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.
- **على طريق التفسير البياني** ، د. فاضل السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه،** لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دال الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- **غريب القرآن،** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز.
- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لأبي الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المِكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ.
- **فتح الرحمن في سورتي الفاتحة والرحمن**، د. علي العريض، دار الإصلاح، السعودية.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي الشوكاني، حققه وخرّج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء ٣/٣٥٩،
- **فتوحات الرحمن في تفسير سورة لقمان**، د. محمود لطفي ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط١، ١٤١٣هـ
- **الفرائد الحسان ومعه شرحه نفائس البيان**، لعبد الفتاح القاضي، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٤هـ.
- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة، وما أنزل بالمدينة**، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي، تحقيق عزوة بدير، دار الفكر، سوريا، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- **فضائل القرآن**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٥هـ.
- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار البشائر، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، لمحمد بن علي الشوكاني، المحقق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الفوائد المشوِّق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان.

- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢.
- **فيض الرحمن بتفسير سورة لقمان**، د. فؤاد الحطاب، ط١ ، ١٤٠٣هـ.
- **القاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ط ٨، ١٤٢٦هـ.
- **قبس من نور القرآن الكريم**، محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق.
- **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**، نقد مطاعن ورد شبهات، د. فضل عباس، دار الفتح، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.
- **قفو الأثر في صفوة علوم الأثر**، لمحمد بن إبراهيم القادري، المعروف بابن الحنبلي، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- **قواعد الترجيح عند المفسرين**، د.حسين الحربي، دار القاسم، ط١، ١٤١٧هـ.
- **القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور**، لإياس محمد حرب آل خطاب، مطابع برنتك للطباعة والتغليف - السودان — الخرطوم، ط١، ٢٠١١م.
- **كتاب العدد** لأبي القاسم الهذلي (مجلة الشريعة والقانون، العدد الخامس والعشرون) ص١١١.
- **كتاب مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم)** د.خالد السبت، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه د.فتحي حجازي، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٨هـ.
- **كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لإسماعيل العجلوني، دار إحياء التراث العربي.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، الناشر: مكتبة المثنى — بغداد ١٩٤١م (وصورتها عدة

دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية).

- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة : نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- **اللآليء المصنوعة**، لجلال الدين السيوطي. المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م
- **لباب النقول في أسباب النزول**، لجلال الدين السيوطي، خرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **اللباب في علوم الكتاب**، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي،المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.
- **لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ
- **لسان الميزان**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٢م.
- **لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة**، للدكتور عبد الله الغامدي، وَ لقمان الحكيم في الكتاب والسنَّة لمحمد خلف.
- **لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وريّ الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن**، لمحمد الغافقي، دراسة وتحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ.
- **اللمحة في شرح الملحة**، لمحمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.

- **مباحث في التفسير الموضوعي**، د.مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ.
- **مباحث في علوم القرآن**، للشيخ مناع القطان، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الكاتب، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- **المجموع شرح المهذب** ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.
- **المحاسن والأضداد**، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.
- **محاضرات في التفسير الموضوعي**، د.عباس عوض الله عباس، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧م.
- **محتويات سور القرآن أحمد الطويل** ، مدار الوطن للنشر بالسعودية، ط١، ١٤٣٤هـ
- **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة** د.خالد المزيني، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ.
- **المحرر في علوم القرآن**، د.مساعد الطيار، مركز الدراسات والعلوم القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.
- **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، د.عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط ٢، ١٤١١هـ.

- **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، لمحمد فاروق نبهان، دار عالم القرآن، حلب، ط١٤٢٦،١هـ.
- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، لمحمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبه السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- **مرشد الخلان إلى معرفة عدِّ آي القرآن** لعبد الرزاق علي إبراهيم موسى، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، قدم له وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
- **مسند ابن الجعد**، لعلي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- **مسند أبي داود الطيالسي**، تحقيق: عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، ط ١، ١٤١٩هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ.
- **المسند الصحيح المختصر** بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعرف، الرياض، ط١/ ١٤٠٨هـ.
- **المضامين التربوية لوصايا لقمان**، د. نوف التميمي، دار طيبة بالسعودية، ١٤٢٩هـ
- **معارج التفكر ودقائق التدبر**، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، سوريا، ط١، ١٤٢٥هـ.

- **معاني القرآن وإعرابه**، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ،المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة ،مصر، ط١.
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- **المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، المكتبة الشاملة، من إعداد أعضاء ملتقى أهل الحديث.
- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٩٨٣م.
- **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- **المعجم الوسيط**، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ
- **المغازي**، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي، أبي عبد الله، الواقدي، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- **المغني**، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي، تحقيق: د.عبد الله التركي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.
- **مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير** للشيخ صالح آل الشيخ (محاضرة مفرغة كتابيًّا في المكتبة الشاملة).

- **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، لمحمد سعد اليوبي، دار الهجرة.
- **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**، د. مساعد الطيار، دار المحدث، ط١، ١٤٢٥هـ.
- **المقدمات الأساسية في علوم القرآن** لعبد الله الجديع ، مؤسسة الريان، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **مقدمة في أصول التفسير** لا بن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرزور، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- **المكي والمدني في القرآن الكريم**، دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء، لعبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان للنشر، ط١٤٢٠،١هـ.
- **المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس**، د. محمد الفالح، ط١، ١٤٣٣هـ.
- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل** في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، لبنان.
- **من لطائف التفسير**، أحمد فرح عقيلات، دار اليقين للنشر والتوزيع ، مصر، ط٢، ١٤٢٩-٢٠٠٨
- **المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير من سورة العنكبوت إلى سورة الحجرات**، لعبد الله معايل القحطاني، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، حققه واعتنى به: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي.
- **موارد الظمآن لدروس الزمان** خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان، ط ٣٠، ١٤٢٤هـ.
- **الموافقات**، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ.

- **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ.
- **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، لجعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، لمحمد بن علي الفاروقي، إشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- **الموضوعات**، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١.
- **موطأ الإمام مالك** رواية سويد بن سعيد الحدثاني، المحقق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٤م.
- **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك**، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، دراسة وتحقيق: د. سليمان اللاحم.
- **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن**، لمحمد عبد الله دراز، اعتنى به وخرَّج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ.
- **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، ط ٢، ١٤٢٩هـ.
- **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة ط٢، ١٤١٦هـ
- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، لابن حجر العسقلاني، المحقق: عبد الله بن ضيف الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن** ، محمد مصطفى النابلسي، دار الفرقان،

١٤١٥هـ.

- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: فيليب حتي، المكتبة العلمية – بيروت.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، لأحمد بابا التنبكتي، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.
- **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المحقق:أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- **وحدة النسق في السورة القرآنية**، د.رشيد حمداوي، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلّكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدّمة **٤**
أهمية الموضوع..... ٥
دواعي اختيار الموضوع.. ..... ٦
أهداف البحث... ..... ٦
الدراسات السابقة... ..... ٧
خطة البحث..... ١١
منهج البحث... ..... ١٥
الباب الأول: التناسق الموضوعي: مقدّمات تعريفية... ..... ١٧
التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة ١٨
المطلب الأول: التعريف بالتناسق لغةً واصطلاحًا... ..... ١٩
المطلب الثاني: التعريف بالموضوعي لغة واصطلاحًا... ..... ٢٥
المطلب الثالث: التعريف بالسورة لغة واصطلاحًا... ..... ٢٦
المطلب الرابع: تعريف التناسق الموضوعي في السورة والألفاظ ذات الصلة... ..... ٢٧
المطلب الخامس: بدايات التناسق الموضوعي ومراحله..... ٣١
الفصل الأول: اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها... ..... ٣٦
المبحث الأول: اسم السورة الكريمة المشهور، وما ذُكِر لها من أسماء..... **٣٧**
المطلب الأول: اسم السورة الكريمة المشهور... ..... ٣٨
المطلب الثاني: ما ذُكِر لسورة لقمان من أسماء... ..... ٤١
المطلب الثالث: التعريف بلقمان الحكيم..... ٤٣
هل كان لقمان حكيمًا أو نبيًّا؟... ..... ٤٤
المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة ، أو بعض آياتها..... **٤٦**

الموضوع **الصفحة**

المطلب الأول: مزايا معرفة فضائل السور... ٤٧
المطلب الثاني: ما ورد لسورة لقمان من فضائل.... ٤٩
المبحث الثالث: عدد آيات السورة، واختلاف العلماء في ذلك..... **٥٢**
المطلب الأول: طريق معرفة الآية، والخلاف في ذلك... ٥٣
فوائد معرفة عدد الآيات..... ٥٤
المطلب الثاني: عدد آيات سورة لقمان، والخلاف في ذلك..... ٥٥
المبحث الرابع: تاريخ نزول سورة لقمان.... ..... **٥٨**
المطلب الأول: أهميَّة معرفة تاريخ نزول القرآن... ..... ٥٩
المطلب الثاني: تاريخ نزول سورة لقمان وترتيبها... ..... ٦٠
الفصل الثاني: مكيُّ السورة ومدنيُّتها، ومناسبتها لما قبلها، ووجه اختصاصها ٦٩
المبحث الأول: مكيُّ السورة ومدنيُّتها. **٧٠**
المطلب الأول: المراد بالمكي والمدني، وطريق معرفتهما وفوائد معرفتهما..... ٧١
الفرع الأول: المراد بالمكي والمدني... ..... ٧٢
الفرع الثاني: طريق معرفة المكي والمدني... ..... ٧٤
خصائص المكِّي والمدني..... ٧٤
الفرع الثالث: فوائد معرفة المكي والمدني... ..... ٧٦
المطلب الثاني: المكي والمدني في سورة لقمان..... ٧٧
الفرع الأول: سورة لقمان مكيَّةٌ في الجملة... ..... ٧٨
الفرع الثاني: الخلاف في مدنيَّة بعض آياتها... ..... ٨٠
المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها..... **٨٦**
المطلب الأول: معنى المناسبة، وحكمها، وفائدتها..... ٨٧
الفرع الأول: معنى المناسبة... ..... ٨٨
ترتيب السور توقيفي أم اجتهادي ؟..... ٨٨
الفرع الثاني: حكم المناسبة وموقف العلماء منها..... ٩٢
ضوابط مراعاة المناسبة..... ٩٣
الفرع الثالث: فائدة معرفة المناسبة... ..... ٩٥

الموضوع **الصفحة**

المطلب الثاني: مناسبة سورة لقمان لما قبلها وما بعدها..... ٩٨
الفرع الأول: مناسبة سورة لقمان لما قبلها ٩٩
أوجه المناسبة بين سورة لقمان وسورة الروم..... ٩٩
الفرع الثاني: مناسبة سورة لقمان لما بعدها..... ١١٦
أوجه المناسبة بين سورة لقمان وسورة السجدة. ١١٦
المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات... ..... **١٢٦**
اختصاصات سورة لقمان..... ١٢٧
الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها وأهدافها ١٣٠
المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة **١٣١**
المطلب الأول: معنى سبب النزول، وطريق معرفته، وفائدته..... ١٣٢
الفرع الأول: معنى سبب النزول... ..... ١٣٣
الفرع الثاني: طريق معرفة سبب النزول..... ١٣٤
الفرع الثالث: فوائد معرفة سبب النزول..... ١٣٦
المطلب الثاني: أسباب النزول الواردة في سورة لقمان..... ١٣٧
الفرع الأول: ما ورد في سبب نزول السورة إجمالاً..... ١٣٨
الفرع الثاني: ما ورد في سبب نزول آياتٍ من السورة..... ١٣٩
الراجح فيما قيل في أسباب نزول آيات سورة لقمان..... ١٥٠
المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها **١٥١**
المطلب الأول: المراد بمقاصد السور وأهميتها..... ١٥٢
المطلب الثاني: المقاصد والأهداف في سورة لقمان ١٥٤
أولاً: مقصد الحكمة... ..... ١٥٤
ثانيًا: مقصد الشكر... ..... ١٥٨
ثالثًا: المقاصد الجزئية في السورة..... ١٥٩
الباب الثاني: التناسق الموضوعي: دراسة تطبيقية ١٦٣
الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة ١٦٤

الموضوع **الصفحة**

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها **١٦٥**
المطلب الأول: دلالة أسماء السور على مسمَّياتها ١٦٦
المطلب الثاني: مناسبة اسم سورة لقمان لموضوعاتها ١٦٩
المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها..... **١٧٥**
المطلب الأول: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها..... ١٧٦
المطلب الثاني: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها..... ١٨٢
الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها..... ١٨٦
مدخل: كيفية انقسام موضوعات سورة لقمان..... ١٨٧
المبحث الأول: موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. الآيات(١-٩) **١٨٩**
المبحث الثاني: دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. الآيات(١٠-١١) **١٩٢**
المبحث الثالث: لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. الآيات(١٢-١٩) **١٩٥**
المبحث الرابع: تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس. الآيات(٢٠-٢٤) **١٩٨**
المبحث الخامس: إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق وقدرته، واستحقاقه للعبادة. الآيات: (٢٥-٣٢)..... **٢٠٢**
المبحث السادس: الدعوة إلى التقوى، وبيان اختصاص المولى بجوامع الغيب، خاتمة السورة (وعظ وتذكير). الآيات (٣٣- ٣٤) **٢٠٦**
الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي ٢٠٩
المبحث الأول: تفسير آيات الموضوع الأول: موقف الناس من القرآن الحكيم، وبيان جزائهم. الآيات (١ - ٩) **٢١٠**
المبحث الثاني: تفسير آيات الموضوع الثاني: دلائل قدرة المولى سبحانه، وبديع خلقه. الآيات (١٠ - ١١) **٢٢١**
المبحث الثالث: تفسير آيات الموضوع الثالث: لقمان الحكيم ووصاياه لابنه. الآيات (١٢ - ١٩)..... **٢٢٦**
وصايا لقمان عليه السلام ٢٣٠

الموضوع **الصفحة**

المبحث الرابع: تفسير آيات الموضوع الرابع: تسخير الكون، وإسباغ النعم، وانقسام الناس حيال ذلك. الآيات (٢٠ – ٢٤) **٢٤٣**

المبحث الخامس: تفسير آيات الموضوع الخامس: إقرار الخلق بربوبية الله، وبيان عظمة الخالق واستحقاقه للعبادة. الآيات (٢٥ – ٣٢) **٢٥١**

المبحث السادس: تفسير آيات الموضوع السادس: الدعوة إلى التقوى، وبيان اختصاص المولى بمفاتح الغيب. خاتمة السورة (وعظ وتذكير). الآيات (٣٣ – ٣٤) **٢٧٣**

مفاتيح الغيب الخمسة ٢٧٨

الخاتمة **٢٨١**

نتائج وتوصيات ٢٨٢

الفهارس **٢٨٦**

فهرس الآيات القرآنية ٢٨٧

فهرس الأحاديث النبوية ٢٩٧

فهرس الآثار ٢٩٨

فهرس الأعلام المترجم لهم ٣٠٠

فهرس الألفاظ المشروحة ٣٠٢

فهرس المصادر والمراجع ٣٠٣

فهرس الموضوعات **٣٢٥**

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلى الله على محمد الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين